الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة: سطيف – 2 –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة لنيل شهادة الماجستير

التخصص: النحو الوظيفي

إعداد الطالب: عزالدين لعناني

العنوان:

الوظائف التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة في النحو الوظيفي

دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
د.يوسف وسطاني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف "2"	رئيسًا
د.صلاح الدين زرال	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف "2"	مشرفًا ومقرّرًا
د.محمد بوادي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة سطيف "2"	عضوًا مناقشًا
أ.د.محمد زهار	أستاذ	جامعة المسيلة	عضوًا مناقشًا

السنة الجامعيّة:

2014/2013

شكر وتقدير:

أوجهه إلى الأستاذ المشرف الدكتور صلاح الدين زرال حفظه الله - على توجيهاته التي أسداها لي في بحثي هذا. وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي في قسم اللغة العربية بكلية الآداب واللغات في جامعة سطيف 2 أتقدم بالشكر لهم جميعا.

لقد شهد الدرس اللّساني الحديث تطورات واسعة مسّت مجال التركيب والدّلالة وتعدّتها إلى التّداولية، باحثة عن كل الملابسات التي لها تعلق بالملفوظ من أجل تحقيق فهم جيّد له وإدراك لكيفية اشتغال وحداته ومختلف التعالقات التي تحكمه، ونتيجة هذا لم يعد الاتجاهان البنيوي والتوليدي التحويلي الاتجاهين المهيمنين على ساحة الدراسات اللّسانية إذ؛ أتاحت المعرفة المعاصرة نماذج لسانية تحليليّة أكملت النقص أو الزوايا التي لم تطرقها الدراسات السابقة، ويعدّ التوجه الوظيفي المؤسّس على الأبعاد التداوليّة أبرز هذه النماذج وأدقها.

هذه المعرفة التي يمكن مقاربتها أو النظر إليها على أنّها صدمة العقل في وعي الظواهر، وما يستتبعها من تصحيح وإعادة نظر؛ فما إن يستقر العقل على حال حتى يغيّر وجهة نظره باحثا عن زاوية أخرى، وذلك لإدراكه نسبيّة المعرفة والعقل البشريين.

فبعدما جرّب العقل اللّساني التيار البنيوي والتوليدي في معالجة الظاهرة اللّغوية وعرف قصورهما إذ؛ لم ينتبها إلى أنّ اللّغة ليست قوالب مغلقة معزولة وإنّما اللّغة استعمال وتداول وحركة مجتمعيّة وأداة تأثير وتغيّير، فأراد بعد هذا أن يصحّح جهاز مفاهيمه، وكان من نتيجة هذا أن تولد المنهج الوظيفي التداولي.

إنّها سياسة البدائل وتعديد أوجه النظر من أجل إدراك الحقائق وتدقيقها، هذا الأمر الذي يعدّ إمكانيّة مرنة يتوسل بها في فهم الظاهرة والإحاطة بها، وهو ما نلمسه في هذا التوجه الأخير (الوظيفي التداولي) حيث صار يعتنى بالبحث ودراسة القرابة التي تربط اللّغة كبنية بمستعمليها، وما ينشأ عن هذا الربط من تفسير وفهم لهذه الخصيصة التي امتاز بها الكائن البشري، وكان من اسْتِتبَاعاتها أن بدأ العلماء يدركون شروط نجاح الخطاب وطبيعته، وأنّه أنتج لغرض تواصلي، وأنّ الوظيفة التي استدعته تترك لا محالة بصمتها على بنيته التي تركّب منها.

وإنّ التعرض لدراسة الجمل والنصوص وتحليلها من هذا المنظور يضعنا في موقع متميّز؛ خصوصًا إذا كان النّص المراد تحليله عربيًا معجزًا، فلاشك أنّه سيسعفنا على كشف كثير من خصائص هذا النّص المعجز، الذي لم يعزل في يوم من الأيام عن ظروف استدعت إنجازه؛ فكلّ عبارة وكلّ تركيب له مقتضاه الذي استدعاه، ممّا يدعونا إلى التدقيق في النّظر والتفكير المتعمق من أجل كشف أسرار هذا التركيب القرآني، رابطين بين البنية والوظيفة، مقدمين أسبقية الأخيرة على الأولى.

ولا شكّ أنّ لكل موضوع مختار مبرراته وأسبابه، ولعلّ أهم سبب هو أنّ هذا الموضوع يندرج في لحمة هذه النظرية إذ؛ يعالج مختلف العلاقات التي يتصورها النّحو الوظيفي بين مختلف وحدات الجملة، علما أنّ العلاقات تختزل، بذكرها، مرحلة كاملة من المراحل التي مرّت بها هذه النّظرية، ألا وهي مرحلة ما قبل المعيار.

ويمكن إضافة أسباب أخرى بعضها عام وبعضها الآخر خاص، فمن الأسباب التي يمكن إيرادها في هذا السيّاق أنّ الحركة النحويّة الغربيّة (البنيويّة والتوليديّة التحويليّة تخصيصا) في تحليلها للجملة لا تجعل من أهمّ منطلقاتها ومرتكزاتها الوظيفة بل تركّز على الجانب التركيبي التقعيدي الذي يرى استقلاليّة البنية عن الوظيفة وأن لا تأثير للثانية على الأولى، والنّظر إليها (الوظيفة) نظرة مركزية تدعونا إلى معرفة مختلف عطاءات التحليل (سواء التفسيريّة أو الدلاليّة أو التقعيديّة) كما تدعونا إلى معرفة الوجوه التي يفضل فيها هذا التّوجه التوجّهات الأخرى.

كما يمكن أن نضيف سببًا آخر مرده أنّ التّوجه الوظيفي توجّه لساني حديث لم يجرّب من قبل في قراءة النصوص، ولم يستثمر الاستثمار الجيّد في فهم مختلف دلالاته، خصوصا إذا علمنا أنّه قدّم جهازا واصفًا قارب بين البنية والوظيفة، وهذا ما حفزني إلى المبادرة إلى إجراء دراسة تطبيقية مقاربة تتغيًّا الوصول إلى هذا الهدف.

ومن الأهداف العامة أيضا محاولة الاطلاع على هذه النّظريّة وفهم أهمّ الأسس التي تقوم عليها، وتوسيع أفق النظر في عطاءات الفكر اللّساني الحديث.

وإنّ المتتبع لموضوع التحليل النحوي (في مختلف الأنظار اللّسانية القديمة والحديثة) للجملة من أجل فهم مختلف التعالقات التي تحكم وحداته يجده موضوعا قد تعدّدت فيه الرؤى أو زوايا النّظر؛ فقدّم كل توجه جهازه الواصف (الكفاية التنظيريّة) محاولاً تعضيده وبيان أهميته، في كثير من الأحيان، بالعديد من الممارسات التطبيقيّة (أملا في تحقيق الكفاية التطبيقيّة)، ولعل الباعث على مختلف هذه الأنظار هو محاولة تحقيق كفاية تفسيريّة أفضل للّغة البشريّة، وما يستتبع هذا من كشف عن الطاقات الدلاليّة التي يحوزها النّص الذي بني وأسّس هيكله باعتمادها.

وقدم الدّرس الوظيفي المعاصر نّظرية في النّحو أسماها نّظرية النّحو الوظيفي، ساعيًا إلى تحقيق العديد من الأهداف أهمّها (عند المتوكل):

1_ رصد ظواهر اللّغة العربيّة (فصحى ودوارج) ووصفها ومحاولة تفسيرها تزامنًا وتطورًا انطلاقًا من مبدإ ترابط الوظيفة والبنية وتبعيّة الثانية للأولى.

2_ إعادة قراءة التراث اللّغوي العربي، وربط الصّلة بينه وبين امتداداته اللّسانية الحديثة.

3_ نقل البحث اللّساني الوظيفي إلى مجال الإجراء والتطبيق ليلج القطاعات الاجتماعية، الاقتصادية كالترجمة وتعليم اللّغة وتحليل النصوص باختلاف أنماطها والطب النفسي المهتم بالاضطرابات اللّغوية.

4_ تعميمه ليشمل مختلف أنساق التواصل وقنواته اللّغوية وغير اللّغوية.

كل هذه الأهداف تغرينا على الولوج إلى هذه النظريّة فهما ومدَارسة وتطبيقًا، وتحقيقًا لهذا فقد وضعت صوب عيني مجموعة من الأسئلة تشكل في مجموعتها إشكاليّة لهذه المذكرة منها: ما أصول هذه النّظريّة؟ وما هي أهمّ مبادئها المؤسّسة عليها؟ وما جهازها الواصف؟ وما هي أهمّ مكوناته؟ وهل هناك مطابقة بينه وبين تلك المبادئ؟ وما هي مختلف العلاقات التي يمكن أن تقيمها هذه النّظرية بين مختلف وحدات الجملة؟ وكيف تنشأ الوظيفة انطلاقا من تلك العلاقات؟ وكيف أمكن حصر الجوانب التداوليّة رغم تغيّرها وتعدّدها؟ وهل هي واردة في وصف النّصوص والخطابات المختلفة؟

وممّا تقدم فدراستي ستكون معنونة بـ **"الوظائف التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة في النحو الوظيفي – دراسة تطبيقيّة في سورة يوسف–"**، في محاولة للإجابة عن بعض الأسئلة التي طرحت سابقا، والكشف عن مختلف هذه الوظائف تنظيريا وبيان قيمتها في تحليل النصوص ومعالجتها، وهذا ما يتطلب عادة قراءات عديدة لكتب "المتوكل" والتعمق فيها، هذه الكتب التي تعدّ الأساس لفهم هذه النّظريّة باللّغة العربيّة، إضافة إلى مؤلفات وكتب أخرى لها تعلق بها.

ويعد المنهج السبيل المعتمد الذي يضمن لسالكه الوصول إلى الأهداف المرجوة، أو بالأحرى يحدّد وجهة النّظر، ومعلوم أنّه لكل موضوع منهجه الذي يتلاءم معه، وموضوعي ذو وجهة تركز على التحليل، وجمع شتات المادة من بطون الكتب، لذا سأعتمد المنهج الوصفي ؛ حيث سأحلّل علاقات الجملة في سورة يوسف، التركيبيّة والدّلاليّة والتداوليّة، استنادًا إلى ما استقرأته من معطيات نظرية في هذه النّظرية موضوع الّدراسة.

وسأحاول أن أصف هذه الوظائف وأبحث عن تفعيلها في السورة، ولتحقيق هذا فسوف تُعرض مادة البحث باتباع الخطة الآتية: سيبدأ البحث بمقدمة تبرز فيها زوايا

البحث اللّساني الحديث لّلغة والنماذج الحديثة في تحليل النّصوص وفهم أفضل للّغة المحلّلة، ثمّ ستردف هذه المقدمة بفصل تمهيدي أتطرق فيه لمختلف التّحولات اللّسانيّة الغربيّة من البنية إلى الوظيفة، مركزا على الملامح الكبرى التي تتميز بها وصولا إلى النماذج الوظيفيّة، وبهذا سنتناول في الفصل الأول نّظرية النّحو الوظيفي (منشؤها، مبادئها المنهجيّة، جهازها الواصف، وتصورها للجملة ولمختلف العلاقات التي تحكم وحداتها)، أمّا الفصل الثاني فسأركز فيه على مختلف الوظائف (التركيبيّة الدلاليّة والتداوليّة)، أمّا الفصل الثالث والأخير فسأبحث عن كيفية تفعيل هذه الوظائف بتطبيقها على سورة يوسف، وذلك أملاً في تقديم تصور أكثر دقّة وشمولاً وإحاطة بمختلف العلاقات التي تحكم مختلف التراكيب العربيّة.

وفي سبيل بناء الموضوع وصياغته اعتمد البحث مجموعة من المصادر والمراجع منها: الوظائف التداولية في اللّغة العربيّة، دراسات في نحو اللّغة العربيّة الوظيفي، من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة – الوظيفة المفعول في اللّغة العربيّة –، الجملة المركبة في اللّغة العربيّة ... لـ "أحمد المتوكل"، محاضرات في علم اللّسان العام لـ "فرديناند دي سوسير"، اللّسانيات النشأة والتطور لـ "أحمد مومن"، اللّسانيات التوليديّة لـ"مصطفى غلفان"، التفسير الكبير لـ "فخر الدين الرازي"، تفسير التحرير والتنوير لـ "محمد الطاهر بن عاشور"، ...

وبالنسبة للصعوبات التي واجهها البحث، فإنّ أهم صعوبة هي قلة مصادر ومراجع نّظرية النّحو الوظيفي خصوصا التّطبيقيّة والتي عزّت كثيرا، والصعوبات إذ؛ تكون فإنّه لابدّ منها لأيّ بحث ولولاها لما سميّ البحث بحثا، فالبحث محاط بالجهد والمشقة.

وفي الختام لا يسعني إلاّ أن أحمد الله على توفيقه ومنّه وكرمه ولطفه، ثم الشكر الجزيل للأستاذ المشرف؛ الدكتور **"صلاح الدين زرال"** الذي لا نجد له جزاء خيرا

من الدعاء له في ظهر الغيب، وكل أساتذة جامعة سطيف الذين لهم عليّ فضل كبير وأخص بالذكر الأستاذ **"الزايدي بودرامة"** ، أمّا إخوان الصفا وخلان الوفا فلا أجد لهم خيرا مما قال ابن الحاجب – رحمه الله –:

إن غبتم صورة عن ناظريّ فما ***** زلتم حضورا على التحقيق في خلدي

مثل الحقائق في الأذهان حاضرة ***** وإن ترد صورة في الخارج تجد

والحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم.

الفصل التمهيدي:

تحولات الدّرس اللّساني (من البنية إلى الوظيفة)

بدأ "فرديناند دي سوسير" محاضراته في علم اللّسان بتقديم فصل عنونه بـ "نظرة موجزة عن تاريخ علم اللّسان"[1]؛ وهو بذلك يروم تقديم نظرة تحليليّة نقدية لتاريخ علم اللّسان إذ؛ يتناول المبادئ والفروض والنتائج بالتحليل والنقد، بغية تحديد قيمة هذه الدراسات على مرّ التاريخ، ومن ثمة فهو ينبهنا إلى سؤال يجب استحضاره باستمرار، مفاد هذا السؤال هل يملك العقل البشري اللّساني أن يطمئن فيثبت ويستقر؟، أو يتحوّل على نفسه مراجعة وتصحيحًا وإضافة ؟...

يظهر لنا بحسم واضح أنّ "دي سوسير" يروم بحث الثغرات والبياضات التي وقع فيها علماء اللّسان الغربيّون على مرّ التاريخ، بغية تقديم دراسات تفيد من سابقتها وتختلف عنها. وهو بذلك يحقّق الفلسفة العلميّة التي تهدف إلى تحديد قيمة النتائج العلميّة.

وما يمكن أن نؤكده أنّ أيّة مركزيّة تأخذها أي نظريّة علميّة في فترة من فترات التاريخ لم تتأتَّ من فراغ، وإنّما من خلال مراجعات وتحليلات نقدية لما هو ساكن في الذات من تراث، هذا التراث الذي يحكم العقل في لغة أو بمعجم له مصطلحاته المنتظمة، والتي تهيكل رؤية العقل للعالم في فترة من فترات التاريخ. فـ " دي سوسير" بنقده للمركزيّة التاريخيّة في التحليل اللّساني يروم تحقيق مركزيّة أخرى انطلاقًا من الأولى ومخالفة لها في الآن ذاته، فغدت الوصفيّة المقترحة من قبله بديلاً للتاريخيّة، وبذلك أضحت التاريخيّة هامشًا لكل تحليل وصفي.

هكذا العقل الغربي يمارس نفسه في الكشف عن حياته، فكل إنجاز علمي أو كل اجتهاد للعقل يتيح مركزيّة علميّة يعدّ حداثة على تراث مصحّح أو منقود. فالتاريخيّة يمكن عدّها تراثا بالنسبة لحداثة "دي سوسير"، ووصفيّة "دي سوسير" يمكن عدّها

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، 2008، ص11.

تراثا بالنسبة لحداثة" تشومسكي"، وتوليدية "تشومسكي" يمكن أن تعدّ تراثا بالنسبة لحداثة "هايمس"، "لابوف"، و"ديك"... وكل اقتراح وظيفي تداولي.

إنّ كل اجتهاد للعقل يحوّل المركزيّة إلى هامش نملك أن نعدّه حداثة. فإشكاليّة البدائل هذه إشكاليّة تدلّ على صحة العقل في توفير الحياة لنفسه، فكل مشروع يتيحه العقل يدلّ على أنّه يعيش واقعًا حيويًا أو حاضرًا داخل سيرورة التاريخ.

إنّ العقل الغربي يبحث مصطرعًا كيف يستثمر الثروة الماضيّة كي يستمرّ مستقبلاً، ويحضر فعلاً. فالعقل الغربي يغتال نفسه من أجل أن يوجد نفسه بخصوبة واضحة وعليه :. "فإنّ الفكر الغربي قد شقّ طريقه من المعاصرة إلى الحداثة دون قفز مولّد للقطيعة. وقد تسنّى له ذلك بفضل انصهار المادة والموضوع في تفكير روّاده العلمانيّين فكان الصراع المنهجيّ خصيبًا إلى حدّ الطفرة أحيانًا"[1].

إنّ النّاظر في العقل اللّسانيّ الغربيّ يجده مليئًا بالبياضات، لأنّه ببساطة لا يملك أن يحيط بالظواهر، فنسبيته هذه تتيح ترك الفجوات وعدم الإكمال، فيمارس العقل الحاضر بالنسبة للعقل الماضي إكمالاته ونقوده على ما بات مشيّدًا ورسميًا. وانطلاقًا ممّا أقررنا نملك أن نعدّ اللّسانيات التاريخيّة تراثًا لحداثة "دي سوسير"، فالدّراسات اللّسانيّة التاريخيّة تعدّ بمثابة رسالة لسانيّة لا بأس أن تفكّ شفرتها، ويتفاعل معها قراءة بغيّة تنقيح مبادئها وفروضها ونتائجها، لذا: "فكل قراءة – كما هو معلوم في اللّسانيات العامة – هي تفكيك لرسالة قائمة بنفسها، وما التراث إلاّ

[1]– عبد السلام المسدي: التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط2، 1986، ص11.

موجود لغويّ قائم الذات باعتباره كتلة من الدوال المتراصفة، وإعادة قراءته هي تجديد لتفكيك رسالته عبر الزمن. وهي بذلك إثبات لديمومة وجوده"[1].

والحال هذه؛ فتفكير " دي سوسير" في التأسيس لمشروع ما بعد اللّسانيات التاريخيّة هو في حدّ ذاته تفكير في الحاضر واحتفاء بالماضي في آن، هو تفكير يتغيَّا تقويم بنية العقل الماضي من خلال اقتراح أسئلة الحاضر، التي تطلب فهمًا وأسلوبًا وبنيانًا جديدًا للحياة. فتفكير "دي سوسير" فيما بعد اللّسانيات التاريخيّة هو احتفاء باللّسانيات التاريخيّة، ولكن بتقدير مخالف وانطلاق مغاير؛ فدي سوسير يطلب عقلاً يتخالف مع التقاليد السَّائدة، عقلاً يتفجّر بالتربيّة الانفصاليّة، فكل انفصال هو نقد لكل ماض لا يطمأن إليه، ولذلك نجده قد درس النحو القديم وعرف مكامن قوته وتميزه كما حدّد مواطن ضعفه وحاول أن يسلّط عليها الضوء، لأنّها السبب الرئيس في عدم نضج الدّرس اللّساني الغربي فهي، كما يقول: "... عرية عن كل نظرة علميّة ومن ثم أهملت اللّسان ذاته، وكانت غاية هذه الدراسة تنحصر على وجه التحديد، في إيجاد قواعد من شأنها أن تميّز الصيغ الإعرابيّة الصحيحة من الصيغ الخاطئة. فهي إذن دراسة معياريّة بعيدة كل البعد عن الملاحظة الخالصة وهي بالضرورة كانت وجهة نظر ضيقة من هذه الناحية [2]".

ولم يتوقف في نقده هذا على النحو القديم، لأنّه جعل من بين أهدافه الكبرى إثبات قصور كل هذه الدراسات اللّغوية الغربيّة القديمة، ومن ثمة أضاف منتقدًا: "ولكن النقد الفيلولوجي (والمسمى بفقه اللّغة) في هذا الميدان لم يحالفه التوفيق في نقطة: وهي كونه قد ارتبط – كارتباط العبد – باللّغة المكتوبة، ونسي اللّغة الحيّة المنطوقة. وفضلا عن هذا، فإنّ العصر الإغريقي واللاتيني هو الذي كان يستغرقه

[1]– المرجع نفسه، ص12.

[2]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص11.

استغراقا كاملا[1]"، فكان القدم إذا المكون الأساس لهذا الدّرس، يقول "تمام حسّان": "وكان عنصر "القدم" من أهم العناصر التي يتكون منها معنى الفيلولوجيا[2]".

وبعد ذلك يتابع "دي سوسير" المرحلة الثالثة من مراحل تطور الدّرس اللّساني الغربي، فيتحدث عن فقه اللّغة المقارن/النحو المقارن، وقد تعرض لأعظم الأبحاث التي أسّست لمشاريع فقه اللّغة المقارن ابتداءً من "وليام جونز" ثم "بوب"، "غريم"، "بوت"، "كوهن"، "مولر"، "كورتيوس"، وصولاً إلى "شليشر" الذي حاول بكتابه "في النحو المقارن للّغات الهندو أوربية" أن ينظّم العلم المؤسّس من قبل "بوب"؛ فيحتفي "دي سوسير" بهؤلاء الأعلام كثيرًا، وفي الآن ذاته ينتقدهم، فيحسم موقفه تجاه هذا العقل اللّساني الذي تمركز في فترة من فترات التاريخ بأنّ: "هذا الكتاب الذي ظلّ زمنًا طويلاً ذا فوائد ومنافع عظيمة ليثير أكثر من غيره ملامح هذه المدرسة بإظهاره خصائصها، باعتبار أنّ هذه المدرسة ذات النزعة المقارنة تكون المرحلة الأولى للّسانيات الهندوأوربيّة. غير أنّ هذه المدرسة – وإن كانت تستحق تقديرا لا ينكر بافتتاحها مجالاً جديدًا وخصيبًا – لم توّفق ولم تتوصل إلى تأسيس علم اللّسان الحقيقي؛ فهي لم تشغل نفسها أبدًا كي تستخلص طبيعة موضوع دراستها. ومن ثمّ فإنّه بدون القيّام بهذه العمليّة الأولى، يكون من غير الممكن لأي علم أن يضع منهاجه الخاص[3]"، وبناء عليه ف "دي سوسير" كأنّه يكتب تقريرًا عن نهاية فترة تاريخيّة، وقد أسلف قولاً عن "بوب" كونه المؤسس لهذه الدراسات فيقول: "فلم يستحق إذن "bopp" كل تقدير لكونه قد اكتشف بأنّ اللّغة السنسكرتية ذات قرابة ببعض اللّغات الأوربيّة والآسيوية بل لكونه قد فهم بأنّ العلاقات بين اللّغات ذات

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص12.

[2]– تمام حسّان: الأصول – دراسة إبيستمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب، النحو، فقه اللّغة، البلاغة–، عالم الكتب، القاهرة، 2000، ص235.

[3]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، 14–15.

الأصل الواحد يمكن أن تصبح موضوعًا ومادة لعلم مستقل، أمّا كون الإنسان يوّضح لسانا بواسطة لسان آخر ويفسّر صيغ لسان من صيغ أخرى فذلك ما لم يقم به أحد بعد[1]".

ويمكن جدّا؛ أن تعدّ المقارنة الإمكانيّة الرئيسة التي تسرّب بها الدّرس المقارن إلى اللّسانيات الحديثة فـ : "لقد كان هذا الظّل الجديد (ظلّ فكرة المقارنة) هو الطريق الخلفي الذي تسللت منه "الفيلولوجيا" إلى الدراسات الحديثة وإلى دراسة اللّغات الحديثة فيما بعد[2]".

وبناء عليه فلا نملك إلّا أن نقول بأنّ "دي سوسير" يتحدث عن تلك التصحيحات التي كان العقل اللّساني الغربي يمارسها على نفسه، فمن النحو القديم إلى فقه اللّغة إلى فقه اللّغة المقارن. فيوضّح الإخفاقات المقارنة ويصحّحها من قبل المقارنين المهتمّين باللّغات الرومانيّة والجرمانيّة. يقول "دي سوسير": "ويقتضي هذا المنهاج المقارن الضيّق مجموعة من التصورات الخاطئة التي لا نجد ما يقابلها في الواقع، وتظل غريبة عن الشروط الحقيقيّة لكل لغّة؛ ... إلاّ أنّه من وجهة النظر المنهجيّة، لا تخلو من فائدة، معرفة هذه الأخطاء، ذلك أن أغاليط علم ما في مستهل بداياته تكون صورة مكبرة لما يرتكبه الأفراد من أخطاء في أبحاثهم العلميّة الأولى، وستتاح لنا مناسبة سنشير فيها إلى معظم هذه الأخطاء في عرضنا هذا. أمّا اللّسانيات في معناها الحقيقي فهي التي قد نشأت من دراسة اللّغات الرمانيّة والجرمانيّة، إذ كانت اللّسانيات قد ردّت المنهاج المقارن إلى مكانه الصحيح[3]".

---

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص12.

[2]– تمام حسان: الأصول– دراسة إبيستمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب، النحو، فقه اللّغ، البلاغة–، ص236.

[3]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص16.

ويقدم" دي سوسير" أهميّة "ويتني" والنحاة الشبان قائلاً: "وتكمن أهميّة هؤلاء في كونهم وضعوا كل نتائج دراسات النحو المقارن في الاتجاه التاريخي،... فبفضل هؤلاء لم نعد نرى في اللّغة بنية عضوية تتطور من تلقاء ذاتها، بل أصبحت إنتاجًا للفكر الجماعي لمجموعات لسانيّة. وما لبث أن فهم النّاس كم كانت آراء فقه اللّغة والنحو المقارن خاطئة وغير كافيّة، غير أنّه مهما كانت مجهودات هذه المدرسة عظيمة ومهما كان فضل علمائها علينا؛ فلا يمكن التأكيد بأنّها أوضحت لنا المسألة برمتها، إذ لا تزال المسائل الأساسيّة لعلم اللّسان العام تنتظر منا وإلى يومنا هذا إيجاد حل لها[1]".

ويمكن التأكيد بأنّ "دي سوسير" ومن موقعه كأستاذ للدراسات التاريخيّة للغة قد حسم الأمر بأنّ هذه الدراسات يجب أن تقوّم وتنتقد، وذلك بأن تدرس اللّغة في ذاتها ولذاتها، ويأتي هذا الحسم بصيغته هذه؛ ذلك أنّ الدراسات السابقة لمشروعه كانت خاضعة ومؤطرة من قبل المادة اللّغوية كظاهرة عامة، إذ تحتوي هذه المادة على عديد الوقائع المبعثرة التي لا سبيل إلى إيجاد علاقات وفاقية بينها، فهي ذلك الواقع الخام غير المتآلف، يقول "دي سوسير" في المادة اللّغوية العامة: "يتكون موضوع علم اللّسان أو مادته أولا من جميع مظاهر اللّغة الإنسانية وتعبيراتها، سواء منها لغة الشعوب البدائيّة أو الشعوب المتحضرة، وسواء تعلق الأمر بالعصور المغرقة في القدم، نقصد العصور الكلاسيكيّة أو عصور عهد الانحطاط آخذين بعين الاعتبار بالنسبة لكل مرحلة لا اللّغة السليمة الممتازة فقط بل جميع أصناف التعبير وأشكاله. وهذا وحده لا يكفي، إذ لمّا كانت اللّغة كثيرا ما يذهل الناس عن ملاحظاتها، تعيّن

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص17.

على عالم اللّسان أن يعتبر النصوص المكتوبة، ما دامت هي وحدها قادرة على أن تجعله يعرف أصناف التراكيب الخاصة القديمة منها أو العتيقة جدّا[1]".

فالمادة اللّغوية بهذا الشكل كتبت عليها تحاليل توازيها في التبعثر والتضارب، ولم تحدّد نفسها كموضوع له منهج يدرسه من خلال معطياته، وقد كانت محطّ اهتمامات العلوم الأخرى إذ خالطتها فكانت جزءا من دراستها. فكانت المادة اللّغوية خاضعة لربق العلوم الأخرى، إذ تقتطع منها هذه العلوم ما يناسبها ويخدمها لتدرسه. فحدث هذا التبعثر داخل المادة اللّغوية لأنّ اللّغة ملك الجميع، وهي اختزال لهذا العالم، فلذلك نجدها مشتركة، فهي بيت الوجود كما يصفها "هايدغر" فطبيعي إذن أن تشاركها العلوم ويصيبها الاختلاف والتباين.

وأمام هذه الوقائع اللّغوية الموفورة التباين أقبل "دي سوسير" على تأمّلها وتصنيفها من خلال النظر إليها باعتماد مجموعة ثنائيات؛ وتعدّ الثنائيّة المضمنة في القول التالي من بين الثنائيات التي ساعدته لكي يحدّد أو يبتكر موضوعه: "... فللّغة جانب فردي وجانب مجتمعي ولا يمكن أن ندرك أحد الجانبين في استقلال عن الآخر؛ وأكثر من هذا[2]".

وهو إذ يصنّف اللّغة إلى ثنائيات نجده يعرض صعوبة تناولها للمادة اللّغوية قائلاً: "...فإمّا أن نقتصر على ناحيّة واحدة من كل مسألة فنقع في خطر عدم الإدراك للثنائيّة المشار إليها آنفًا؛ وإمّا أنّنا ندرس اللّغة من سائر جهاتها في ذات

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص18.

[2]– المصدر نفسه: ص22.

الوقت، فيظهر لنا حينئذ أنّ علم اللّسان عبارة عن ركام من الموضوعات المختلطة، غير المتجانسة ولا رابط بينها[1]".

وأمام هذه الصعوبات الموجودة في المادة اللّغوية الموفورة التباين، قلّب "دي سوسير" نظره فيها، وحسم موقفه انطلاقًا من وجهة نظره التي تتسم بالعلميّة – فكل تصرف علمي يتميز بالموضوعية والشمول والتماسك والاقتصاد– فهو – أي "دي سوسير"– يتطلّع إلى أن يتقدّم بمشروع علمي لساني يستند إلى رصيد تنظيري ينبني على مجموعة من المنطلقات والفروض والغايات تضمن للمحلل اللّساني الوضوح والتوازن والصرامة العلميّة. ويحدّد موقفه منتقيًا من الوقائع اللّغوية ما يصلح لأن يدرس دراسة علميّة يقول: "وبالنسبة لموقفنا، فإنّه لا يوجد إلاّ حلّ واحد لجميع هذه الصعوبات: ذلك أنّه يتعيّن علينا أوّل الأمر أن نضع أقدامنا وأن نثبتها على أرض اللّسان وميدانه فنجعله معيارا لجميع المظاهر الأخرى للّغة. ولا شك أنّ اللّسان وحده، من بين كثير ممّا له ثنائية، يكون قابلاً متهيّئا لتعريف مستقل فيطمئن بذلك فكرنا إلى قبول هذا السناد وهذه الدعامة التي يقدمها لنا اللّسان[2]".

وبهذا الموقف الحاسم كان اللّسان هو موضوع مشروعه، ذلك أنّه يتوفر على النظام، ومن ثمة تكون الدراسة علميّة، إذ تحقّق أكبر قدر من التجريد والتماسك، فتجعل وحدات الموضوع المبعثرة والمتناثرة في أصناف تلملمها وفاقًا وخلافًا، ويحدّد "دي سوسير" موضوعه الذي ارتضاه مقارنًا إيّاه باللّغة فيقول: "فيما يخصنا فإنّنا نفرّق بين اللّسان (la langue) وبين اللّغة (langage) فليس اللّسان إلاّ جزءا محدّدا من اللّغة ... وتأبى اللّغة أن تصنّف في أيّ صنف من أصناف الظواهر الإنسانيّة، ذلك لأنّنا نجهل الكيفية والجهة التي بها نستخلص وحدتها. أمّا اللّسان فهو

[1]– المصدر نفسه: ص22–23.

[2]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ، ص23.

خلاف لذلك، عبارة عن كل قائم بذاته وهو مبدأ للتصنيف[1]". وبهذا الفعل السوسيري يكون موضوع اللّسانيات قد حدّد انسلالاً من الوقائع اللّغوية المتباينة.

ويكون بذلك "دي سوسير" قد قوّم الاعوجاج الذي أصاب الدراسات اللّغوية سابقا؛ إذ كان موضوعها هو المادة اللّغوية المتباينة والمختلفة، أمّا مع "دي سوسير" فقد حدّد الموضوع انطلاقًا من وجهة النظر التي تتميز بالعلميّة وتصبو إلى الوصف والتصنيف، فيكون اللّسان بذلك ذلك الواقع المجرد الذي يستطيع العلم حصره والتحكم فيه.

وبهذا الفهم؛ فقد كلف "دي سوسير" المحلّل اللّساني بثلاث مهمّات. يقول: "أمّا مهمة علم اللّسان وغايته فيصبح من شأنها:

أ- أن تصف وأن تؤرخ لجميع أصناف اللّغات التي يمكن أن تتوصّل إليها، ممّا يقتضي التأريخ للّغات الفرديّة ذات القرابة المشتركة وإعادة بناء اللّغات الأصليّة الأمّ لكل أسرة لغوية على قدر المستطاع.

ب- وأن تبحث عن القوى والأسباب المتعارضة بشكل دائم وكلي في جميع اللّغات، وأن تستخلص القوانين العامة التي يمكن أن تردّ إليها جميع الظواهر الجزئيّة في التاريخ.

ج- وأن تحدّد أخيرًا نطاقها بأن تصل إلى تعريفها الخاص[2]".

أكد البحث سابقًا أنّ كل مشروع نقدي تصحيحي لا يلغي الدراسات السابقة ويضطهدها، وإنّما يسعى منقحًا مكمّلا ومضيفا ... فالنقطتان (أ، ب) من مهام اللّسانيّ تعبّران عن احتفاظ "دي سوسير" بالمعرفة اللّسانيّة التاريخيّة ومشروع النّحو

[1]-المصدر نفسه: ص23.

[2]- فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص18.

الذي يسعى إلى إقامة قواعد كليّة، وهي دراسات وفيرة الفائدة لا يمكن إلغاؤها؛ إذ هي من مهام اللّسانيّ كما يقول. في حين أنّ التشيّيد النقدي الذي أضافه، هو المهمّة (ج) التي أوكلها لعلماء اللّسانيات إذ؛ من الضروري أن تحدّد اللّسانيات نفسها بنفسها. ويتمثل هذا التحديد في أن تحدّد اللّسانيات موضوعها من المادة اللغويّة العامة الموفورة الوقائع والتي تشاركها فيها العلوم الأخرى، والموضوع أي (اللّغة) إذ يتحدّد، فإنّه يتحدّد انطلاقًا من وجهة النّظر أو المنهج، وهو ذلك المنهج العلمي الذي يتميز بالوصف والتصنيف/التجريد، ومن ثمة تملك اللّسانيات أن تعلن نفسها كعلم قائم بذاته له منهجه وموضوعه كباقي العلوم، وتتخلّص دراسة اللّغة من تبعيّتها للعلوم الأخرى، وكذا الدراسات اللّغويّة التي تفتقد ابستمولوجيتها الخاصة بها.

فدي سوسير بذلك يروم عرض مشروع اسمه اللّسانيات يتكفل بتحليل اللّغة، له ابستمولجيّته الخاصة به، هذه الابستمولوجيا تحمل همَّ توضيح الأسس المنهجيّة والنظريّة والمنطلقات والأطروحات ووجهات النظر التي تضمن للّسانيّ الشرعيّة بأن يوجد بعلمه بين العلوم.

ولا ضير بأن نعرض لبعض النقاط الهامة لهذا الفتح اللّساني الجديد، بعدما حاولنا تقديم النقد الذي وجهه "دي سوسير" للدراسات التي سبقته ووجد أنّها غارقة – وهو معهم – في المادة اللّغويّة العامة الموفورة الوقائع التي يستحيل تحليلها – في نظره – تحليلاً علميًّا، وحاولنا أن نعرض كيف استطاع أن يبتكر مشروع اللّسانيات الوصفيّة،إذ؛ أخرج به الدّراسات اللّغويّة إلى الوجود الشرعي بين العلوم، كعلم مستقل بذاته ومن أهم النقاط التي مكنت لمشروعه:

– **التاريخيّة والآنيّة:** إذ سادت في القرن التاسع عشر التاريخيّة، ولم يكن هناك تمييز بين الآنيّة والتاريخيّة، إلى أن افتتح "دي سوسير" مشروعه الآني حيث يصف ويصنف فيه اللّغة في فترة زمنيّة محدّدة، باحثًا عن العلاقات الداخليّة للّغة في هذه

الفترة، وهو إذ يفعل ذلك لا يبعد أو يلغي التاريخيّة، وإنّما يقدّم تصويبًا تكون به الدراسة أقوم وأفيد، فالتاريخيّة قد تهمل كثيرًا من الجزئيّات، إذ يصعب عليها التحكم في المادة اللّغويّة في فترة معيّنة في حين أنّ الآنيّة تكفل لهذا القصور التّمام، يقول: "سيختص علم اللّسان التزامني السانكروني بدراسة العلاقات المنطقيّة والسيكولوجيّة، إذ تربط هذه العلاقات الحدود المتقاربة في الوجود (وتشكل نسقًا) ارتباطًا يكون بالصفة التي تراها عليه الجماعة ويدركها وعيها الجماعي (ضميرها الجمعي). أمّا علم اللّسان الدياكروني فسيدرس خلافًا لذلك العلاقات التي تربط الحدود المتعاقبة المتواترة، فلا يدركها الشعور الجماعي وهذه الحدود قد يحلّ بعضها محلّ بعض بدون أن تكوّن نسقًا فيما بينها[1]".

– **اللسان ظاهرة اِجتماعيّة:** إذ اللّسان كونه ظاهرة اِجتماعيّة تكفل للعرف الاجتماعي بأن يبعث فيه حيويّة متجانسة ومتماسكة تمكنه من الاستقلال بنفسه، إذ لا يمكن إقامة علاقات تواصليّة بين أفراد المجتمع دون أن يكون هناك تجانس لغوي، فيتنزل اللّسان كحادثة اِجتماعيّة تموج علاقات بين أفراد المجتمع من الملكة الإنسانيّة الفطريّة العامة / اللّغة ، يقول "دي سوسير" في شأن اِجتماعيّة اللّسان: "وبهذا الاعتبار يكون اللّسان في ذات الوقت إنتاجًا مجتمعيًا حادثًا عن ملكة اللّغة...[2]".

– **اللّغة نظام:** إذ: "اللّغة نظام؛ حيث لا يمكن تحليل الظواهر اللّغويّة بعزلها عن غيرها، فهي أجزاء في نسق أكبر[3]". والقول هذا تموج فيه حيويّة النّظام إذا تمعنا في

---

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص148.

[2]– المصدر نفسه: ص23.

[3]– خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة –مع محاولة تأصليّة في الدرس العربي القديم–، بيت الحكمة، العلمة، ط1، 2009، ص18.

التشبيه السوسيري لنظام اللّغة بلعبة الشطرنج إذ: "اللّسان نظام لا يخرج عن ترتيبه الخاص. وتشبيهه بلعبة الشطرنج يقربه إلى إدراكنا الحسي[1]".

وتعدّ النقطة السابقة، أي (اللّغة نظام) أهمّ ما مكّن لمشروع "دي سوسير" بأن ينماز عن المشاريع السابقة، إذ بالنظام حدّدت اللّسانيات الداخليّة؛ فاللّغة ما هي إلاّ نظام؛ يقول "أحمد مومن": "إنّ اللّغة في نظر "دي سوسير" لا يمكن أن تكون إلاّ نظامًا من القيّم المجردة[2]". وبهذا الفهم العام يثبت "دي سوسير" مشروعه في التّحليل اللّسانيّ، وذلك في آخر محاضراته بقوله: "الفكرة الأساسيّة التي تقوم عليها محاضراتنا وهي أنّ موضوع علم اللّسان الحق والوحيد: إنّما هو اللّسان معتبرًا في ذاته ولذاته[3]"، وبهذا يكون "دي سوسير" قد جعل موضوع اللّسانيات هو اللّغة، التي هي نظام من العلامات، ولتحليلها علميّا لابدّ أن يتمّ تحليلها لذاتها (فهي وجود مغلق له زمان محدّد) ومن أجل ذاتها؛ فيكون الهدف استنباط القوانين التي تحكم اللّغة البشريّة، وبهذا لا يجوز ربط اللّغة بأهداف خارجيّة، ذلك أن كل ربط قد يقلل علميّة التحليل والفهم الدقيق.

ولم ينحصر هذا النضج في التحليل اللّسانيّ في بيئة معينة بل تعدّى إلى بيئات مختلفة، فتلقفه الباحثون الأوربيّون استيعابا وتطويرا، فتشكلت مدارس تحمل نظريات ومبادئ ضمن الإطار الشمولي البنيوي ومن أهمها رواجًا: مدرسة جنيف، حلقة براغ، المدرسة الغلوسيميّة، اتجاه الوظيفية التركيبيّة ... يقول الباحث "الطيب دبّة" معلّقًا عن الازدهار الذي لحق بمحاضرات "دي سوسير": "وحينما وجدت

---

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص40.

[2]– أحمد مومن: اللّسانيات – النشأة والتطور –، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، ق3، ص129.

[3]–فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص344.

محاضرات "دي سوسير" من يقرؤها باهتمام ويدرك وجاهة طروحاتها وأهميّة الثورة اللّسانيّة التي جاءت بها، وقد كان ذلك – في البداية – على يد لفيف من اللّسانيين الأوروبيين أمثال: شارل بالي، وأ. سيشهاي، ورومان ياكبسون، و.ن. تروبتسكوي، و.أ.مارتيني، ول.يلمسليف،... فكانوا التلاميذ الأوفياء، والشرّاح المقتدرين، والمنّظرين المبدعين بما شرحوه ووضحوه من تلك المبادئ السوسيريّة وما أضافوه إليها من نظريات ومبادئ[1]".

ومن أهم المدارس البنيويّة:

– **المدرسة الغلوسيميّة:** إذ تعدّ هذه المدرسة نسخة سوسيريّة أخرى أوربيًّا؛ برَزت في "كوبنهاجن" وقد مثلها جهود "يالمسليف" و "بروندال"، وتخلى هذا الاتجاه عن الدراسات اللّغويّة المتأثرة بالفلسفة، والأنثروبولوجيا واللّسانيات المقارنة، ويحاول أن يُنظم لسانيات علميّة رياضيّة منطقيّة. وتتماز هذه النظريّة عن النظريات اللّسانيّة الأخرى بالإغراق في التجريد النظري، وجاءت أيضا بمصطلحات علميّة منها: مادة المحتوى، شكل المحتوى، شكل التعبير، مادة التعبير[2]. فـ"هلمسليف" طوّر التّحليل اللّسانيّ بإقحام إجراءات عمليّة رياضيّة، فهو بذلك قد: "حاول عصرنة الدراسات اللّغويّة باستخدام مناهج علميّة رياضيّة[3]". وعمومًا يمكن القول أنّ هذه المدرسة تقترب كثيرا من وصفيّة "دي سوسير"، ولذلك: "ألحّ كثيرًا على أنّ بحوثه في هذا الموضوع تنتمي إلى بحوث سوسير[4]".

---

[1]– الطيب دبة: مبادئ اللّسانيات البنيويّة – دراسة تحليليّة إبستمولوجيّة– دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001، ص99.

[2]– أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص159.

[3]– المرجع نفسه: ص169.

[4]– خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم، ص26.

– **حلقة براغ:** وقد تأسّست سنة (1926م) ببراغ من قبل "فلم ماتيسيوس" وطلابه، وقد انضمّ إليها عديد اللّسانيين المقتدرين مثل: "ياكبسون"، "كارسفسكي"، "مارتيني"، "بنفنيست"،... وقد تميّزت هذه المدرسة بالأعمال الفونولوجيّة، إذ أقبلوا على تقديم دراسات وظيفيّة. ومن أهمّ مبادئ هذه المدرسة[1]:

_ عدّ اللّغة واقعا فعليّا خاضعًا لظروف التواصل.

_ الاعتداد كثيرا بالمنهج التزامني في تحليل اللّغة.

_ الاستثمار في المفاهيم السوسيريّة.

_ دراسة الوحدات الصوتيّة وظيفيًّا.

– **الوظيفية التركيبيّة:** وقد أسّسها اللّسانيّ الفرنسيّ "أندري مارتيني"، إذ هو: "أحد أبرز مؤسّسي اللّسانيات البنيويّة في أوروبا وقد كان من بين أهمّ إسهاماته في هذا المذهب اللّساني الكبير مفاهيمه ونظرياته التي أسّس بها اللّسانيات الوظيفيّة على المستوى التركيبي للّغة[2]". ومن أهمّ النقاط التي تناولها: وظيفة اللّغة، مبدأ التقطيع المزدوج، مبدأ الاقتصاد اللّغوي، مبادئ التحليل الوظيفي ...

وينظر "مارتيني" إلى اللّغة ككل على أنّها ظاهرة تبليغيّة إذ؛ الوظيفة الأساسيّة للّغة من بين عديد الوظائف هي التبليغ إذ؛ بالتبليغ يسمح الإنسان لنفسه بأن يتواصل مع الأفراد في المجتمع. يقول "مارتيني": "فالإشارة إلى اللّسان بكونه أداة أو وسيلة يجلب بشكل مفيد جدّا الانتباه إلى ما يميّز اللّغة عن كثير من الأنظمة الأخرى، فالوظيفة الأساسيّة لهذه الأداة هي التبليغ، فالعربيّة مثلاً هي قبل كل شيء الوسيلة التي تمكن أهل اللّسان العربي من أن تكون لهم علاقات فيما بينهم، سنرى أنّ أي

وينظر أيضا: ميلكا إيفيتش: اتجاهات البحث اللّساني، تر: سعد مصلوح، وفاء كامل، الجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، ط2، 2000، ص317 وما بعدها.

[1]– ينظر: المرجع نفسه: ص247 وما يليها. والطيب دبة: مبادئ اللّسانيات البنيوية، ص103 وما بعدها.

[2]– الطيب دبة: مبادئ اللّسانيات البنيوية، ص109–110.

لسان يتغير بمرور الزمن. وهذا الأمر يحصل أساسًا استجابة لحاجيات التبليغ في المجتمع الذي يستعمل اللّسان ويتمّ ذلك بالوجه الاقتصادي الأمثل[1]". و"مارتيني" إذ؛ يفعل ذلك فإنّه لا ينسى عدد الوظائف الثانويّة الأخرى للّغة كتعبير عن الفكر، ووظيفة التعبير عن المشاعر دون التبليغ للآخرين، والوظيفة الجماليّة...[2]".

- **مدرسة جنيف:** وتعدّ هذه المدرسة امتدادًا في صيغته المباشرة لمشروع "دي سوسير"، وقد حمل هذا المشروع تلامذته، أي "شارل بالي"، و"ألبرت سيشهاي"، و"هنري فراي"و"روبرت كوديل"... وقد التزموا بمشروع أستاذهم وباشروه إكمالا وإضافة؛ إذ ناقشوا مثلاً: ثنائيّة (اللغة/الكلام) فأصبح الكلام أيضا محطّ الدراسة. وهم إذ يتبنون هذه المناقشة فإنّهم: "كانوا يعلمون ... أنّ مجالها لا يخرج عن إطار علم اللّسان الحديث. وحتى "دي سوسير" ذاته لم يلغه تماما بل اعترف به من حيث هو ميدان خاص في البحث اللّسانيّ يمكنه أن يحتفظ باسم اللّسانيات لصالحه ولكن مع بذل الجهد دائما لئلاّ تطمس الحدود الفاصلة بينه وبين مجال لسانيات اللغة[3]". فالتلاميذ وهم يفعلون ذلك فإنّهم يمارسون إضافات، حتى "دي سوسير" نفسه صرح في أحد المواضع وهو يحدّد موضوع اللّسانيات، بأنّ الكلام ما يزال الجهد الفكري اللّساني يحتاج إلى تأسيس وطريقة يدرسه بها. يقول: "وتأبى اللّغة أن تصنف في أي صنف من أصناف الظواهر الإنسانيّة، ذلك لأنّنا نجهل الكيفيّة والجهة التي بها نستخلص وحدتها[4]".

---

[1]- أندريه مارتيني: مبادئ اللّسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الأبيار، الجزائر، ص14.

[2]- أندريه مارتيني: مبادئ اللّسانيات العامة، ص14-15.

[3]- الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنيويّة، ص100.

[4]- فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ص23.

هذه هي أهمّ المدارس التي انْبثقت عن المشروع السوسيري؛ إذ أتاح مشروعًا لسانيّا خصبًا، التّف حوله اللّسانيون مراجعة وتوضيحًا وإكمالاً ونقدًا وإضافة ... ونشير إلى أنّ هناك مدارس حملت الهمّ البنيوي اللّساني، أي؛ المدارس البنيويّة الروسيّة (مدرسة قازان، مدرسة موسكو)، والمدرسة الإنجليزية، إلاّ أن بعضها تأثر بالمشروع السوسيري لاحقًا[1]".

ونشير بحسم واضح، إلى أنّ "دي سوسير" هو من أسّس لمستقبل التأمّل في اللّسانيات في أوروبا أمّا بالنسبة للّسانيات البنيويّة الأمريكيّة فإنّها جاءت استجابة لاحتياجات أنثروبولوجيّة، فقد نتجت عن واقع يبحث مشكلة الأجناس البشريّة، فباللّسانيات يفهم الجنس البشري. يقول "الطيب دبة" موضحًا هذا الأمر: "...فإنّ اللّسانيات الأمريكيّة قد قامت استجابة لتوجهات أنثروبولوجيّة تسعى – في ظل شروط معطيات البحث العلمي البراغماتي– إلى دراسة اللغات الهنديّة الأمريكيّة بغرض التعرف على البنيّة الفكريّة والنفسيّة للهنود الحمر[2]". وإذا كان هذا هو منطلق اللّسانيات الأمريكيّة، فإنّه مخالف بشكل كبير لمنطلق اللّسانيات الأوربيّة؛ إذ جاءت الدراسات اللّغويّة الأوروبيّة لتحليل واقع تمزق اللّغات والانتشار الهائل للّهجات. ورغم الاختلاف في المنطلقات، فإنّ الجامع بين اللّسانيات الأوربيّة والأمريكيّة هو منهج الدراسة، فكلاهما كان يحلّل اللّغة بطريقة وصفيّة بنيويّة، وقد يعود ذلك إلى الانتشار الواسع لنظريّة "دي سوسير" في مقاربة اللّغة؛ إذ أنّ نظرية البنية السوسيريّة انتشرت في أوروبا وهيمنت على الدراسات اللّغويّة وانتقلت حتى إلى العلوم الأخرى، ونملك أن نقول: إنّها تعدّت إلى البيئة الأمريكيّة، ويضبط الباحث "مبارك حنون" الانتشاريّة الواسعة للمشروع البنيوي السوسيري قائلا: "وأخيرا جاء سوسير فاتّخذ الدرس اللّساني

---

[1]– ينظر: الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنيويّة، ص132. وما بعدها.

[2]– ينظر: المرجع نفسه ، ص132. وما بعدها.

منحى جديدا على إثر نشر كتابه (دروس في اللّسانيات العامة سنة) (1916م) على يد كل من شارل بالي (charles bally) وألبير سيشهاي (Albert sechehaye) وهكذا نقل كتابه إلى اليابانيّة سنة (1928) ثم إلى الألمانيّة سنة (1931) وإلى الروسيّة سنة (1933م) ... ولقد كان لأفكار سوسير تأثير واسع ومتنوع على حلقة براغ اللّسانيّة وحلقة كوبنهاجن، ... وفي أمريكا على يد "بلومفيلد« الذي كتب عرضا عن دروس في اللّسانيات العامة سنة (1924م) قائلا عن سوسير: لقد أمدّنا بالأساس المنهجي لعلم اللّغة الإنسانيّة[1]". وبهذا المشروع السوسيري البنيوي، فقد غدا القرن العشرون وصفيًّا بنيويًا، خلافًا للقرن التاسع عشر التاريخي، ممّا أدّى إلى انتشار البنيويّة في أمريكا فـ "كان نفوذ المذهب الميكانيكي لا يزال يحْسن في بداية هذا القرن فبدت صورة أمريكيّة منه في شكل نفسي هو مذهب السلوكيين الذي لون الدراسات الأمريكيّة بلونه تماما كما يمكن أن يرى ذلك بوضوح في كتابات (Bloomfield) "[2].

وعليه؛ وإكمالاً للنسخ البنيويّة، لا بأس أن نستأنس بالدرس الأمريكي قبل أن نغادر الوصف والبنية، فاللّسانيات الأمريكيّة تتقاطع مع اللّسانيات الأوربيّة في سيطرة الدراسة الوصفيّة على اللغة، وإن كانا يختلفان في دوافع الدراسة كما أشرنا، وباختصار نملك أن نقول إنّ أهمّ من قاد الدراسات الأمريكيّة الوصفيّة البنيوية: "فرانز بواس"، و"إدوارد سابير"، و"ليونارد بلومفيلد".

فـ"بواس" عني باللّغات المنطوقة المنتشرة في أمريكا، والتي تتوفّر على خصائص متفردة. واعتنى "سابير" بدراسة اللّغة تحليلاً دون أن تحكمه أحكام سابقة جاهزة، أمّا "بلومفيلد" رائد المدرسة الوصفيّة الأمريكيّة من خلال كتابه "اللّغة"؛ فقد أسّس لدراسة

[1]– مبارك حنون: مدخل للّسانيات سوسير، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987، ص5.

[2]-تمام حسان: مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979، ص37.

اللّغة علميّا انطلاقًا من مبادئ سلوكيّة، وانطلاقًا من نزعة فلسفيّة وضعيّة لا تؤمن إلاّ بالمرئي التجريبي وقد عدّ الدلالّة في اللّغة أصعب شيء يدرس لأنّه مبحث معنوي[1].

ومنذ أن كسبت اللّسانيات شرعيتها بين العلوم من خلال التأسيس المنهجي والنظري السوسيري، بات العقل البشري اللّساني يمارس على هذا المشروع العلمي الإكمالات والانتقادات والإضافات... وإذا كانت الإكمالات والانتقادات قد مورست على التّشييد البنيوي الوصفي السوسيري نفسه فتشعبت المدارس البنيوية، فأصبحت البنيوية بنيويات، فإنّه يمكن للانتقادات والإكمالات التوغل أكثر في شقوق وثغرات هذا الكتاب/المشروع، حتى جعلت الوقائع الموفورة التي تتشكل منها المادة اللّغوية في عمومها – كما أسلفنا – موضوع دراسة، والتي كان "دي سوسير" قد علّق عليها بأنّه لا يمكن دراستها ما دمنا نجهل الكيفيّة التي نقتحمها بها، فـ"دي سوسير" وإن كان قد أبعد مثلاً: اللّسان (كظاهرة إنسانيّة) والكلام كفعل فردي من الدراسة، وتموقع في اللغة كظاهرة اِجتماعيّة، فإنّه من خلال قراءة الإكمالات والانتقادات والإضافات التي تبحث في شقوق هذا الكتاب قد توصلت إلى وجهات نظر ومناهج لدراسة ما كان مستعصيا في زمن "دي سوسير"، فأصبح اللّسان كظاهرة إنسانيّة محطّ اهتمام اللّسانيات التوليديّة، والكلام محطّ اهتمام اللّسانيات التوليدية واللّسانيات الوظيفيّة /التداوليّة والدراسات اللّسانيّة الاجتماعيّة. والحال هذه فإنّه يمكن تصنيف هذا التهاطل اللّساني في الخطاطة التي قدمها الباحث "الطيب دبّة"[2]

[1]– ينظر: خليفة بوجادي: في اللّسانيات التداولية –مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم–، ص27–28. وينظر: ميلكاإيفتش: إتجاهات البحث اللّساني، ص273 وما بعدها. والكتب التي اشتهرت بها اللّسانيات الأمريكيّة هي: اللّغة ل"بلومفيلد"، دليل اللّغات الهنديّة الأوربيّة ل"بوعز" واللغة ل"سابير".

[2]– الطيب دبة: مبادئ اللّسانيات البنيويّة– دراسة تحليليّة إبستمولوجيّة – ، ص98.

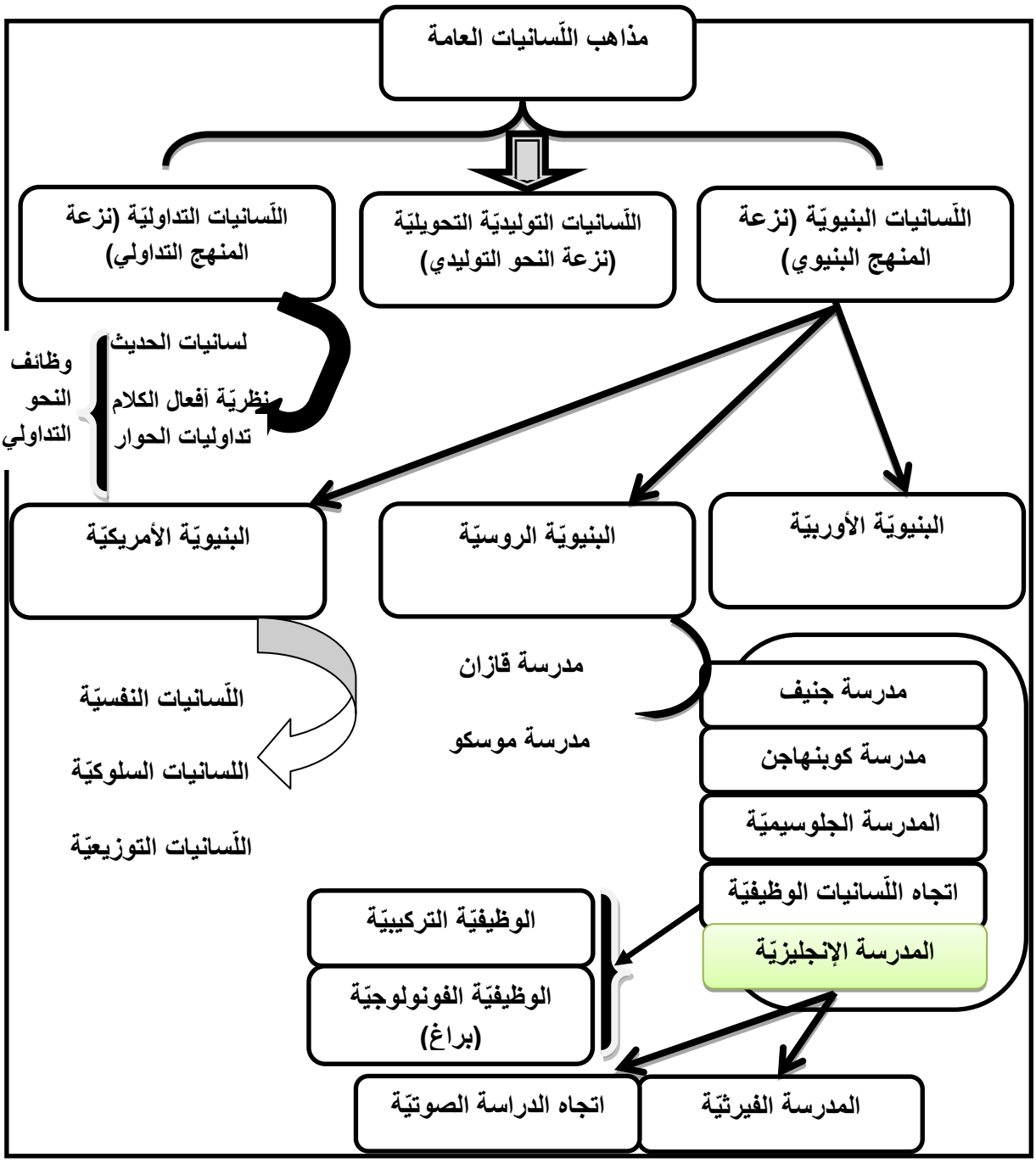
مذاهب اللّسانيات العامة
اللّسانيات البنيويّة (نزعة المنهج البنيوي)
اللّسانيات التوليديّة التحويليّة (نزعة النحو التوليدي)
اللّسانيات التداوليّة (نزعة المنهج التداولي)
لسانيات الحديث
نظريّة أفعال الكلام
تداوليات الحوار
وظائف النحو التداولي
البنيويّة الأوربيّة
البنيويّة الروسيّة
البنيويّة الأمريكيّة
مدرسة جنيف
مدرسة كوبنهاجن
المدرسة الجلوسيميّة
اتجاه اللّسانيات الوظيفيّة
المدرسة الإنجليزيّة
مدرسة قازان
مدرسة موسكو
اللّسانيات النفسيّة
اللسانيات السلوكيّة
اللّسانيات التوزيعيّة
الوظيفيّة التركيبيّة
الوظيفيّة الفونولوجيّة (براغ)
المدرسة الفيرثيّة
اتجاه الدراسة الصوتيّة

والفكر البشري تختلف غاياته، من حيث التوجه البنيوي إلى التّوجه التوليدي التحويلي، وقد ارتبط بغايات متعدّدة، فهناك غايات يعرضها التصور التصنيفي للفكر وأخرى يعرضها التصور الافتراضي، فالتصور التصنيفي يكون فيه: "هدف العلم هو جمع المعطيات الموضوعيّة المُمَحصة أو القابلة للتمحيص (vorification)، إنّ العلم يسعى إلى استخلاص القوانين العامة، انطلاقا من المعطيات، فترتيب المعطيات وتصنيفها (Tascionomie) يعدّ من أولى الخطوات نحو محاولة فهم موضوعي للعالم المحيط بنا، وبذلك يصبح العلم معرفة موضوعيّة للعالم الخارجي[1]". أمّا التصور الافتراضي فيقوم على التفسير، وبذلك فـ: "إنّ هدف العلم ليس جمع المعطيات الموضوعيّة وترتيبها ووصفها؛ بل ينبغي تفسيرها في ضوء فرضيّات عامة. من هنا كان للفرضيات دور حاسم في النشاط العلمي وتقدّمه المثمر.

إنّ تقدّم العلوم لا يرجع أساسًا للتجارب المخبريّة التجريبيّة والتحليلات التكنولوجيّة فحسب، بل إنّ النضج العلمي الذي وصلته كثير من العلوم البحتة راجع لكونها تقوم على تصور افتراضي في تفسير الظواهر المعروضة للتّحليل العلمي، إنّ المقاربة العلميّة الافتراضيّة لا تقوم على جمع الوقائع والأحداث وملاحظتها موضوعيًّا بترتيبها وتصنيفها[2] ".

وبناء عليه، يمكن أن نطمئن إلى أنّ اللّسانيات البنيويّة تستقرّ ضمن التصور التصنيفي، ذلك أنّها لسانيات تعاين الواقع وتصنفه، فهي جامعة منظمة مصنفة: فـ"الوصف في اللّسانيات البنيويّة عمومًا ليس سوى إعادة تنظيم المعطيات اللّغويّة المتوافرة بشكل مختصر بحسب معايير وصفيّة تهدف في نهاية الأمر إلى إعادة

[1]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليديّة – من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة – ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010، ص14.

[2]– المرجع نفسه: ص14.

ترتيب ما هو موجود فعلاً ضمن المعطيات المحصل عليها[1]". وبهذا تكون اللّسانيات البنيويّة قد استقرت تصنيفا ورفضت كل افتراض وتفسير: "فمن العبث أن نطالب بالتفسير، نحن نسعى إلى الوصف بكل دقّة نحن لا نحاول أن نفسر، فكل ما هو من قبيل التفسير في الوصف يعتبر بكل بساطة مضيعة للوقت[2]".

وعليه فمن الضروري جدّا، أن لا تتوقف العقول عند هذا المسعى، فعليها أن تثوِّر أسئلة من شأنها أن تقود إلى مسؤوليّة فكريّة جديدة، فكل تقويض وإعادة تشكيل للتّحليل اللّساني، هو في حدّ ذاته فهم أوضح للظاهرة اللّغويّة جوهر التفكير الإنسانيّ، والذي لا بدّ للإنسان أن يبقى مطاردًا لها بتعدّد الأفهام، فما أن يشيخ فكر في تاريخ ويَكُفّ الإنسان إبداعًا حتّى تثمر هذه الشيخوخة إنسانًا آخر يصوغ نموذجًا جديدًا، وعليه: "وبالنسبة لتشومسكي، فإنّ اللّسانيات التقليديّة والبنيويّة قد راكمتها ما يكفي من المعلومات؛ ما يجعل من الممكن تجاوز المرحلة التصنيفيّة، وأن نشرع في إعداد النماذج الافتراضيّة حول اللّغات البشريّة والألسن خاصة[3]". وهكذا تنحو اللّسانيات التوليديّة التشومسكيّة منحى التصور الافتراضي بغية إثبات تحليل لسانيّ جديد و"بالفعل حاول تشومسكي منذ نموذج البنيات التركيبيّة (1957) أن يسير بالبحث اللّساني في هذا الاتجاه العلمي متجاوزا حدود الوصف اللّساني الذي اعتمده الدرس اللّساني البنيوي القائم أساسًا على الملاحظة المباشرة ثم التصنيف[4]".

فالعقل الغربيّ يمارس حاضره، ويبدع فنّ حياته في التحليل اللّسانيّ، فيمكن عدّ كتاب تشومسكي الصادر عام (1957) حدثًا في تاريخ التّحليل اللّساني، يقول "جون

---

[1]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليديّة ، ص16.

[2]– كورناي: اللّسانيات البنيوية، ص21، نقلا عن مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية،ص17.

[3]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليديّة ، ص16.

[4]– المرجع نفسه: ص18.

ليونز": "لعب تشومسكي في ميدان اللّسانيات الحديثة دورًا بالغ الأهميّة في تاريخ هذا العلم، فقد أحدث كتابه الأول الذي صدر عام 1957 ثورة كبرى في دراسة اللّغة دراسة علميّة[1]"، و"الجدير بالذكر هنا، أنّ غالبيّة المدارس الألسنيّة الحاليّة تحدّد مبادئها بالنسبة إلى موقفها من هذه النظريّة بالذات وأنّ التأريخ الألسني يتكلّم عن الألسنيّة ما قبل النظريّة التوليديّة التحويليّة والألسنيّة ما بعد النظريّة التوليديّة والتحويليّة، أي؛ أنّ هذه النظريّة قد فجّرت ثورة ألسنيّة طبعت الدراسات الألسنيّة بطابعها الخاص.

تعادل المرحلة التوليديّة والتحويليّة في الألسنيّة، في نظر الباحث، من حيث الأهميّة، مرحلة نشوء الألسنيّة على يد الألسني "فرديناند دي سوسير"، فالمؤلفات التي وضعها "دي سوسير" وتلاميذه ثبّتت الألسنيّة كمنهجيّة وصفيّة. وثبّتت مؤلفات "تشومسكي" ورفاقه وتلاميذه، بالمقابل، الألسنيّة كمنهجيّة وصفيّة وتفسيريّة[2]".

وقد تمّ نقل قاعدة المثلث الاصطلاحي من النّص في عهد "دي سوسير" إلى المتكلم في فتح "تشومسكي"، "فالنظريّة الألسنيّة التوليدية تؤمن أنّ بنية اللّغة تحدّدها بنية العقل الإنساني[3]".

فقد جعل "تشومسكي" موضوع اللّسانيات هو اللّسان، الذي يعدّ ملكة يتميّز بها الإنسان في هذا الوجود، فيرمي إلى وصفها وتوضيحها وفي الآن ذاته يقدم تفسيرًا للكيفية التي بها ينتج ويفهم متكلم مثالي لغته، يقول "تشومسكي": "إنّ الموضوع الأول للنظريّة اللّسانية هو المتكلم المستمع المثالي المنتمي لعشيرة لغوية متجانسة

---

[1]– جون ليونز: تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1988، ص8.

[2]– ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللّغة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1985، ص99.

[3]– المرجع نفسه: ص101.

كليًا والذي يعرف لغته، وعندما يطبّق معرفته هذه في إنجاز فعلي فإنّه لا يخضع للشروط النحويّة غير الملائمة كقصور الذاكرة أو عدم الانتباه أو الأخطاء[1]"، وفي الوقت ذاته نلحظ أنّ "تشومسكي" أبعد الإنجاز وما يلحقه من ظروف مقاميّة، وذلك لاعتقاده أنّ: "دراسة الإنجاز؛ أي استعمال اللّغة، بحسب "تشومسكي"، لن تكون ممكنة، من الناحيّة اللّسانيّة على الأقل، قبل دراسة شاملة وتامة لطبيعة القدرة وخصائصها. كما أنّه لا يمكن انتظار الشيء الكثير من دراسته "الإنجاز" دون اعتناء دراسة شاملة ومعمقة للمعرفة الضمنية التي يتوافر عليها مستعمل اللّغة[2]".

ولا بأس أن نشير إلى أنّ العقل الغربي يراجع نفسه حتى داخل النموذج الواحد، فـ"تشومسكي" في "البنى التركيبية" 1957، غيره في "مظاهر النظرية التركيبية" 1965، وغيره في "دراسة الدلالة في القواعد التوليدية"1972، فالنموذج لم يجهر دفعة واحدة وإنّما تدرّج حتى أوجد نفسه ولا يزال يتدرج سواء مع "تشومسكي" أو مع تلامذته الذين أقحموا المكون التداولي وتبعهم في ذلك؛ يقول "ميشال زكريا" في النماذج الثلاثة الأولى للنظريّة التوليديّة التحويليّة: "نجد من الضروري التشديد هنا على أنّ النّظريّة لم يتم وضعها على الشكل التي هي عليه حاليا دفعة واحدة بل مرّت في تطورها الذاتي بالمراحل الثلاثة التالية:

1- مرحلة "البنى التركيبية".

2- مرحلة النظرية الألسنية النموذجية .

3-مرحلة النظرية الألسنية النموذجية الموسّعة.[3]"

---

[1]- تشومسكي: مظاهر في النظرية التركيبية، ص 12، نقلا عن: مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص45.

[2]- مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص45.

[3]- ميشال زكريا: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللّغة، ص101.

ولذلك نجد أن النظرة قد تغيرت وطرحت قضايا أخرى في التوليديّة التحويليّة ابتداءً من أواسط الستينات، وكان الجدل ينبعث من علمائِها أنفسهم؛ إذ نوقشت قضيّة الدلالة في هذه النّظريّة، وأدّى هذا النقاش إلى نتائج عظيمة فكان: "انطلاقة لمنعطف هام داخل هذه النّظريّة حيث انقسم اللّغويون التوليديون قسمين: لغويين (على رأسهم تشومسكي) ينادون بمبدإ "تأويليّة" الدلالة شأنها في ذلك شأن القواعد الصوتية، ولغويين (منهم على الخصوص لاكوف وروس وماك كولي) يدافعون عن أطروحة "توليدية" الدّلالة[1]"، وقد كانت هذه الجهود المبذولة سببًا واضحًا في إقحام المكون التداولي داخل النّظريّة التوليديّة التحويليّة كمكون رئيس، وبهذا استعيرت مفاهيم هامة وأقحمت بمرونة داخل النّظريّة التوليديّة، يضيف المتوكل: "كان مبدأ توليدية الدلالة المعتمد في إطار "الدلالة التوليدية" من الأسباب التي وطّأت لإدخال التداول في النحو كعنصر من عناصر البنية مصدر الاشتقاق المصوغة على أساس أنّها بنية "دلاليّة تركيبيّة تداوليّة"، في هذه البنية مثّل للمفاهيم التداوليّة المستعارة إمّا من فلسفة اللّغة العادية كمفهومي القوة الإنجازية والاقتضاء أو من نظريتي "النسقية" و"الوجهة الوظيفية للجملة"، كمفهوم البؤرة[2]".

وعليه تكون الكيفية الجديدة منعرجًا حاسمًا داخل النّظريّة، إذ أثثت النّظريّة بطريقة جديدة، من شأن هذه الكيفية أن تخصّب النّظريّة بغية التكاثر والاجتهاد لعقود جديدة، وبالفعل كان لإقحام المكونين – الدلالة والتداول – أن تنافس هذه النّظريّة النظريات الوظيفية التداوليّة المسيطرة حاليا على الساحة اللّسانيّة، ويعد نموذج البركمانتاكس والتركيب الوظيفي نموذجين خصيبين للمنافسة♣.

[1]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري – منشورات عكاظ، المغرب، ص33–34.

[2]– أحمد المتوكل : اللّسانيات الوظيفية – مخل نظري – منشورات عكاظ، المغرب، ص34.

♣– لمزيد من التفصيل ينظر: أحمد المتوكل، الفصل الثالث من كتاب اللّسانيات الوظيفية.

ومهما يكن من أمر فإنّ النموذج التشومسكي يعدّ ثورة واضحة على كل فهم بنيوي وصفي، إذ قلبت قاعدة المثلث من اللّغة في التقاليد السوسيريّة البنيوية إلى اللّسان في الفتح التشومسكي؛ ومن ثمة فالاهتمام بالإنسان المبدع الحاضر عكس الاهتمام بالنّص، و"تشومسكي" إذ يفعل ذلك؛ يكون قد صاغ نظريته وفق التصور الافتراضي فـ: "رفض تشومسكي المنهج الوصفي معتبرا إياه أسلوبًا ميكانيكيًا لا شيء فيه سوى الوصف للمادة اللّغوية، فلكي يحلل عالم اللّسان يجب عليه أن يقترب أكثر من المتكلمين الناطقين بلغتهم، وذلك لسبر القدرة اللّغوية الفاعلة التي تمكنه من الكلام، ثم عليه أن يبدأ بصياغة الفرضيات الشكلية المؤدية إلى نظرية لسانية شاملة، ثم عليه أيضا أن يبرهن على صحة نتائجه بدقة وموضوعية[1]".

ليس هذا فحسب بل إنّ الإسهام التشومسكي لا يعدّ اهتمامًا باللّغة وجوانبها فقط بل محاولة لفلسفة لغوية تثير أسئلة من مثل: ما طبيعة اللّغة؟، وكيف يتعلمها الطفل؟، وكيف تتطور القدرة؟[2].

وقبل أن نغادر هذه الثورة في التّحليل اللّسانيّ لا بأس أن نستأنس بأهمّ الكلمات المفاتيح التي تشكل في الحقيقة معجمًا يحاول أن يبذل فهمًا وأسلوبًا للتحليل اللّساني[3].

– اللّغة: عرّف "تشومسكي" اللّغة في "البنى التركيبية" قائلاً: "سأعتبر منذ الآن؛ اللّغة مجموعة (محدودة أو غير محدودة) من الجمل، كل جملة فيها محدودة في طولها، قد أنشئت من مجموعة محدودة من العناصر؛ فجميع اللّغات الطبيعية في

[1]– التواتي بن التواتي: المدارس اللّسانية في العصر الحديث ومنهاجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، 2008، ص52.

[2] – محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة، دار النهضة العربية، بيروت،1985،ص191.

[3]– أحمد مومن: اللّسانيات النشأة والتطور، ص206–212.

صيغتها المنطوقة أو المكتوبة هي لغات بهذا المفهوم، طالما أنّ كل لغة طبيعية لها عدد محدود من الفونيمات (الوحدات الصوتية) (أو حروف الألف باء)، ويمكن تمثيل كل جملة بمتوالية محدودة من هذه الفونيمات (أو الحروف)، مع وجود عدد كثير غير محدود من الجمل[1]".

– النحو: (في البنى التركيبيّة): جهاز لتوليد الجمل النحوية في اللّغة.

–التوليد: القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأمّ.

– التحويل: وهو نقل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية.

– البنية العميقة: تمثل التفسير الدلالي الذي تشتقّ منه البنية السطحيّة من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية.

– البنية السطحيّة: وتمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل.

– الكفاءة: المعرفة اللّغوية الباطنيّة للفرد.

– الأداء: الاستعمال الفعلي للّغة في المواقف الحقيقية.

وانطلاقا ممّا أسلفنا؛ يكون موضوع اللّسانيات الوحيد بالنسبة للتوليدية التحويلية هو المتكلم المستمع المثالي بدل اللسان في ذاته ومن أجل ذاته بالنسبة للوصفيين.

هذا وسيكون موضوع اللّسانيات – فيما بعد التوليدية التحويلية – ليس هو القدرة المتوفرة لدى المتكلم تشومسكيا، وإنّما موضوع اللّسانيات هو تحليل البنية اللّغوية وتطوّرها في ضوء السياق الإجتماعي الذي يتشكل داخل العشائر اللّغوية، فاللّسانيات

[1]– نعوم تشومسكي: البنى التركيبية، تر: يؤيل يوسف عبد العزيز، منشورات عيون بالإشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص17.

العامة لابدّ أن تدرس اللّغة كما يتواصل بها داخل الحياة اليومية، ومن ثمة تغدو السوسيولسانيات هي اللّسانيات قائمة على قدميها، وليست فرعًا لسانيا كما جرت العادة[1]، كل هذا يمثل مشروعًا وتصحيحًا جديدًا شنه "لايبوف" على كل وصف وتوليد، أو على كل تصنيف وافتراض وتفسير، وبذلك تتحوّل قاعدة المثلث في التحليل اللّساني من اللّغة وصفيًا بنيويًّا إلى اللّسان توليديًا تحويليًا، إلى الكلام سوسيولسانيًا فبات البحث في الكلام مشروعًا ومركزًا منذ أواسط السبعينيات، فهذا "هايمس" يقدّم مشاريع في الكلام، أو ما يمكن أن نصفه بنحو أو مشروع القدرة التواصلية بدل القدرة التوليدية، فـ"ديل هايمس" يعدّ قولا: "أنّ ما يتميز به، الفرد المتكلم هو امتلاكه لقدرة أكبر وأشمل وأكثر وظيفية ممّا يقترحة النّحو التوليدي، وهي القدرة التواصليّة (compétence communicative) التي لا تمكن من القدرة على إنتاج وفهم ما لا حصر له منه الجمل النحويّة فقط، بل تتعلّق باشتغال السلوك اللّغوي في شموليته وواقعيته وهي مختلف السياقات والمقامات الممكنة لتحقيق كل أغراضه التواصليّة في أبعادها الفرديّة والجماعيّة[2]".

وهكذا يكون "هايمس" قد فتح مشروعًا جديدًا غزا به التشومسكيّة فقد: "انتقد تشومسكي في مقال شهير له سنة (1971م) قائلاً: "إنّ نظريّة تشومسكي القائمة على الجمل اللّغويّة المختلفة صحيحة تمامًا، إذا كان المقصود منها وصف اللّغة ككيان مستقل بذاتها، بعيدًا عن المواقف الإجتماعيّة، والحياة التي تستخدم فيها اللّغة، لكن اللّغة لا قيمة لها ككيان مستقل ... فهي ليست قوالب وصيغًا وتراكيب مقصودة لذاتها، وإنّما هي موجودة للتعبير عن الوظائف المختلفة: كالطلب والترجي والأمر والنهي والدعاء والوصف والتقرير... وغير ذلك من آلاف الوظائف اللّغويّة. وبهذا

[1]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص49.

[2]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص49.

الانتقاد الشهير "لهايمس" أعيد الاعتبار للنظريات السياقيّة، حيث دخلت مجال اللّسانيات بقوة، كنظريات أفعال الكلام لفلاسفة اللّغة العادية، ونظريات التداول والملفوظيّة، ونظريات النحو الوظيفي وخاصة نظريّة النحو الوظيفي لسيمون ديك[1]".

وقد شهدت هذه العقود مشهدًا اِقتراضيا خصبًا زاد العلوم نماءً، إذ اقترضت اللّسانيات من التداوليات كثيرًا من المفاهيم فـ: "من المعلوم أنّ الجوانب التداوليّة دُرست أول ما درست، في إطار التيار الفلسفي المُسمّى "فلسفة اللغة العاديّة" حيث عُولجت الظواهر التي من قبيل "الإحالة" و "الأفعال اللّغويّة" و "الاستلزام الحواري"... وقد انتقلت المفاهيم المرتبطة بهذه الزمرة من الظواهر، عن طريق الاقتراض، إلى حقل الدراسات اللّغويّة إذ إنّ مجموعة من النظريات اللّغويّة – التوليديّة منها وغير التوليديّة – وظفت هذه المفاهيم في وصفها اللّغات الطبيعيّة[2]". وهكذا أولى اللّغويون اهتماما متزايدًا لدور المقام في فهم الجمل[3]، فغدَا بحث التحليل اللّسانيّ ذا نظرة تفاعليّة، وعلى محلّل الخطاب أن يتسلح بعلم اللّغة الاجتماعي، وبذلك يكون قد: "تمّ اختراق ساحة العلوم اللّغويّة بتيارات فلسفيّة ونفسيّة واتصاليّة، وتمّ تقسيم البحث اللّغوي في اللّسانيات الغربيّة إلى نموذجين لسانيين متنافسين: المنحى الشكلي الصوري، والمنحى الوظيفي التواصلي الذي ظهر متأخرًا عن الأول بعض الشيء، وقد كانت التداوليّة من أسباب تعميق هوّة الخلاف بين هذين التوجّهين، إذ أذكت جذوة الخلاف ومعركة التنافس بين التيارين، بل إنّ الكفّة قد رجّحت لصالح الثاني منهما، أي الاتجاه الوظيفي بدعم وتأييد من التداوليّة باثقة مفاهيم ورؤى اشتدّ بها

---

[1]– يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفيّة للنحو العربي، أطروحة دكتوراه في اللّسانيات الوظيفيّة الحديثة، جامعة منتوري، قسنطينة،2006، ص31.

[2]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفيّة، ص15.

[3]– جيليان براون وجورج يول: تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994، ص44.

عضد التيار الوظيفي الجديد[1]"، وتغدو بذلك الدراسات اللّغويّة تهتمّ بالطبقات المقاميّة أي عند استعمالها: "أي باعتبارها كلامًا محددًا صادرًا من متكلم محدّد وموجها إلى مخاطب محدّد بـ "لفظ محدد" في "مقام تواصلي محدّد" لتحقيق غرض تواصلي محدد[2]".

وإذا كنا أسلفنا الذكر بأنّ اللّسانيات البنيويّة صنّفت داخل التصور العلمي التصنيفي، وصنّفت التوليديّة التحويليّة ضمن التصور العلمي الافتراضي التفسيري، فما موقع هذه النظريات اللّغويّة السياقية الجديدة، والتي فرضت مركزيتها على التّحليل اللّساني؟، وهل نملك أن نتساءل عن معايير أو إمكانات لتصنيف هذه اللّسانيات الجديدة؟

نملك أن نجيب بأنّه توجد إمكانات أخرى، نظرًا لعدم احتواء التصنيف والافتراض، لمشاكل التكاثر في النظريات اللّسانيّة، وحتّى التكاثر داخل النظريّة اللّغويّة الواحدة، كل هذا حدث بعد سنوات السبعينيات، فهذا المشهد الانفجاري للنظريات اللّغويّة لم يعد يغطيه التصنيف والافتراض. يقول المتوكل: "هذا المعيار في تصنيف التيارات اللّسانيّة المعاصرة، وإن ظلّ واردًا، لم يعد وحده كافيًا للتمييز بين مختلف النّظريات اللّسانيّة التي نلاحظ أنّها تكاثرت في السنوات الثلاثين الأخيرة سواء داخل إطار النحو التوليدي أم خارجه[3]".

وعليه تمّ اقتراح معايير كي تنماز النظريات عن بعضها و "من المعايير التي يمكن اعتمادها في هذا الباب، معيار "الوظيفية" الذي يتيح التمييز بين تيارين عامين

---

[1]– مسعود صحراوي: التداوليّة عند علماء العرب –دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي–، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005، ص5.

[2]– المرجع نفسه، ص26.

[3]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفيّة – مدخل نظري –، ص10.

اثنين: التيار "الوظيفي" والتيار "غير الوظيفي" أو (الصوري)، واعتمادًا على هذا المعيار يمكن التمييز بين نظريات لسانيّة تسعى إلى تفسير الخصائص الصوريّة للّغات الطبيعيّة بربط هذه الخصائص ووظيفة اللسان الطبيعي التواصليّة ونظريات لسانيّة تجعل من مبادئها المنهجيّة العامة أنّ بنيّة اللّغات الطبيعيّة يسوّغ وصفها وتفسيرها بمعزل عن وظيفتها التواصليّة[1]".

وقد بسط "المتوكل" جوابًا – يتمثل في نقاط الاختلاف والائتلاف – للسؤال التالي: ما الضابط الذي يجعلنا نقول عن توجه ما أنّه توجه وظيفي؟ وعليه فوجوه الاختلاف والإئتلاف موجزة كالتالي[2]:

أ. **نقاط الائتلاف:** تأتلف النظريات الوظيفيّة وغير الوظيفيّة حسب "المتوكل" في: موضوع الدراسة، وهدفها وكذا حدود الدراسة؛ وعليه تشترك في اتخاذ اللّسان الطبيعي موضوعًا للدراسة ولا تقف عند وصفه بل تتعدّى ذلك إلى تفسيره، وتهدف في الوقت ذاته إلى كشف الخصائص الجامعة بين اللّغات الطبيعيّة. والأنحاء التي تصوغها هذه النظريات أنحاء قدرة، والنظريات إذ؛ تقيم هذه الأنحاء تفرد بدرجات ليست بالمتساويّة مستويات للتمثيل للجوانب التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة.

ب. **نقاط الاختلاف:** اقترح "المتوكل" عدّة نقاط للتمييز بين ما هو وظيفي وغير وظيفي:

_ فوظيفة اللّغة في النظريات الوظيفيّة هي وسيلة للتواصل الاجتماعي في حين نجدها في النظريات غير الوظيفيّة أداة للتعبير عن الفكر، ومن ثمّة تعتمد النظريات الوظيفيّة مبدأ تعالق البنيّة بالوظيفة، فلا نملك رصد خصائص

[1]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري –، ص11.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية –مدخل نظري–، ص12 وما بعدها.

اللّسان الطبيعي إلاّ بهذا التعالق، وتخالف بذلك النظريات غير الوظيفيّة، إذ تروم وصف البنية وحدها وتعزلها عن كل وظيفة، وعليه فكل حديث عن القدرة اللّغويّة للمتكلم السامع هو معرفة القواعد اللّغويّة بطريقة مجردة عند غير الوظيفيين، في حين يؤسّس الاتجاه الوظيفي مشروعًا استثماريًا فعليًا للقدرة يجعلها قدرة تواصليّة تحقّق نظارتها وهي تتفاعل استخدامًا.

_ يمثل التداول مركزًا رئيسًا هو والدّلالة في النحو، إذ التداول والدّلالة تحدّد البنيّة في نظر الوظيفيين، في حين أنّ غير الوظيفيين إذا وجد التداول إلى جانب الدّلالة فإنّه لا يقوم إلاّ بدور تأويلي.

والذي يجمع بين النظريات السياقيّة السالفة الذكر هو مبدأ تعالق البنيّة بالاستعمال والتداول، والذي يهمّنا تاليًا هو النظريات الوظيفيّة عمومًا ونظريّة النحو الوظيفي خصوصًا التي طبقها "أحمد المتوكل" على اللّغة العربيّة والتي استلهمها من مشروع اللّساني الهولندي "سمون ديك"، وعليه سأحاول أن أعرض لأهم النظريات الوظيفيّة على أن أرجئ نظريّة النحو الوظيفي لأفردها بفصل خاص لاحقًا.

- أهم النظريات الوظيفيّة:

1- نظريّة الوجهة الوظيفيّة: للجملة التي أفرزتها مدرسة "براغ"، ونظريّة النحو النسقي التي تولدت عن مدرسة لندن، فاللّسانيات الوظيفيّة لم تستقر في فترة معيّنة، ويمكن الرجوع بها إلى جهود حلقة براغ، حينما ميّزوا بين علم الأصوات والفونولوجيا، وكذا لطرح "ماثيزيوس" للتحليل الوظيفي للجملة المسمى بالوجهة الوظيفيّة للجملة وتقديم "ياكبسون" مخطط التواصل والذي انتقد في الستينيات من قبل "دانش" و"سبوفودا"، و"فيرباس" و"سكال"، إذ يؤكدون على ديناميّة التواصل

بدل ثبوتيته[1]. هذا وتزاحم المدرسة النسقيّة المدرسة البراغيّة بالاعتداد بالجانب الوظيفي، إذ يحاول فيرث وضع تحليل للّغة ينطلق من العلاقة الوطيدة بين اللّغة والمجتمع، يقول أحمد مومن: "العلاقات الموقفيّة (situationnal relations) وتغطي شبكتين من العلاقات: جميع العلاقات: الموجودة ضمن سياق الموقف، العلاقات القائمة بين أجزاء النص ومظاهر الموقف ... وهي علاقات بين مفردات اللّغة ومكونات الموقف غير اللّفظية، وبما أنّ وحدات اللّغة تدخل في كلا النوعين من العلاقات فإنّها تكتسب معاني شكليّة وموقفيّة[2]". وسياق الموقف بالنسبة لـ "فيرث" هو: "حفل من العلاقات، علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع، مستعملين في ذلك لغات مختلفة ومرتبطين بحوادث وأشياء متنوعة[3]".

ونحن نرجع بالتاريخ اللّساني قليلا إلى الوراء لا بأس أن نستأنس "بمارتيني" الوظيفي: "لا سيما في "نظرة وظيفيّة للّغة/1962" حيث اعتمد مبادئ (سوسير) في التقطيع المزدوج للّغة، وكثيرًا من آراء البراغيين في مجال الصوتيات الوظيفيّة، وقدّم وصفًا وظيفيًّا عامًا للّغة، وغاية الدراسة اللّغويّة في نظر الوظيفيين هي تحديد المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة[4]".

وانطلاقًا ممّا أسلفنا؛ نملك أن نقول أنّ مدرسة براغ و مدرسة لندن كُلّلتا بنظريتين نحويتين هامّتين سيطرتا حتى نهاية السبعينات فـ: "صفة القول أنّ الأفكار الوظيفيّة لمدرسة براغ في شرق أوربا، ومدرسة لندن في غربها، تكاملت وتوجت بنظريتين

---

[1]– مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة الحديثة، – دراسة نقديّة في المصادر والأسس النظريّة والمنهجيّة–، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل وأطروحات رقم: 4، ص252–253.

[2]– أحمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور: ص175.

[3]– المرجع نفسه: ص178.

[4]– خليفة بوجادي، في اللسانيات التداوليّة – مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم– ، ص40.

نحويتين وظيفيتين، ظلت كلتاهما موازية للنظريات النحويّة من جهة وسيطرت على الدراسات النحويّة الوظيفيّة في نهاية السبعينات، ولا تزال مؤثرة على النظريات النحويّة الوظيفيّة التي ظهرت بعدهما من جهة أخرى[1]". وتتمثل مستويات التحليل في نظرية الوجهة الوظيفيّة في ثلاثة مستويات: البنية الدلاليّة والبنية النحويّة والبنية الوظيفيّة، ويفترض داخل النظريّة النسقيّة أنّ اللّغات لها ثلاث وظائف: وظيفة تمثيليّة وأخرى تعالقيّة وأخرى نصيّة[2]، وتقوم النظريّة النسقية على مفاهيم: البنيّة، النسق، الوظيفة. هذا ويتزعم الوجهة الوظيفيّة للجملة، (ماثيزيوس، فيرباس، دانيش) ويتزعم المدرسة النسقيّة (فيرث وهاليداي).

2- البركمانتاكس/والتركيب الوظيفي: وهما من النماذج التوليديّة التحويليّة التي اقترحت بعدما صححّت التوليديّة التحويليّة نفسها في أواسط الستينيات، إذ تمّ التجادل حول وضع الدلالة داخل النحو. وانعطف بالتوليديّة التحويليّة، فنادى "تشومسكي" واتباعه بتأويليّة الدلالة ونادى الفريق الآخر المنشق (لاكوف، روس وماك كولي) بتوليديّة الدلالة. وقد كان لإقحام المكّون الدلّالي شأن حاسم في إدخال التداول كمكوّن رئيس في الجملة مصدر الاشتقاق، والتي تمّ التمثيل فيها للمفاهيم المقترضة من التداوليّة، وبذلك تنعرج الكيفيّة الأخيرة هذه عن "النظريّة المعيار الموسعة" إذ؛ الخصائص التداوليّة تحدّد البنية، أو الخصائص التداوليّة/البنية العميقة تحدّد الخصائص الصوريّة/البنية السطحيّة.

---

[1]- يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، ص37.

[2]- ينظر: أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفيّة، ص107/31 وما بعدها. وينظر أيضا: مصطفى غلفان: اللسانيات العربيّة الحديثة، – دراسة نقديّة في المصادر والأسس النظريّة والمنهجيّة –، ص255 وما بعدها. يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة، ص33، وما بعدها.

وبذلك تكون التوليديّة التحويليّة في هذا النموذج على غير عادة النّظريّة المعيار الموسعة، التي تمثل للتداول على أنّه خصائص سطحيّة تسهم في التأويل الدلالي للتركيب/البنية السطحيّة.

في حين أنّ نظريّة التركيب الوظيفي تعتمد مبدأ أنّ الدلالة والتداول تحدّد الخصائص الصوريّة، وبذلك يكون النموذج: بنية تداوليّة، بنيّة دلاليّة، وبنية تركيبيّة. وتحدّد البنيّة التركيبيّة بالتفاعل الحاصل بين البنية التداوليّة والدلاليّة ويتزعم هذا النحو (فون فالين وفالي)[1].

أمّا بالنسبة **لنظريّة النحو الوظيفي** "لسمون ديك" والتي هي موضوع بحثنا، والتي سنقف معها تفصيلاً في الفصل الأول من هذا البحث فيقول عنها "أحمد المتوكل": "ومن المبادئ المنهجيّة الأساسيّة المعتمدة في "النحو الوظيفي" أن التركيب والصرف يحدّدهما إلى بعيد حدّ التداول والدلالة، انطلاقًا من هذا المبدأ، بني النموذج في هذا النحو على الشكل التالي: تشكّل مصدر اشتقاق الجملة "بنية حمليّة" تتحدّد فيها الخصائص الدلاليّة للمحمول وصوره.

وتنقل هذه البنيّة إلى "بنيّة وظيفيّة" عن طريق إسناد الوظائف التركيبيّة (الفاعل، المفعول).

والوظائف التداوليّة (البؤرة، المحور....) وتحديد مخصّص الحمل (مؤشر القوة الإنجازيّة التي تواكبه، هذه البنية تمثل للمعلومات الدلاليّة والتداوليّة التي يستلزمها

[1]– ينظر: أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفة – مدخل نظري –، ص33 وما بعدها. وبتفصيل واضح ينظر الفصل الثالث من نفس الكتاب.

بناء "البنية المكوّنية" المحدودة فيها الخصائص التركيبيّة (ترتيب المكونات) والصرفيّة (الإعراب، المطابقة...)[1]".

فهذا الصراع والتسابق في النشاط اللّساني يمكن أن نسميه وعيًا، هذا الوعي يمثل صحوة العقل والتي تمثل إنسانيّة الإنسان بما هو كينونة على الأرض، يكرّس هذا الإنسان حياته/حاضره مشروعا لإنجاز العقل بما هو ذاكرة وإبداع/ماض ومستقبل... فيغدو بذلك البحث عن حقيقة المستقبل الغائبة بالنسبة للماضي رغبة وإرادة كل إنسان، فلا اجترار ولا تكرار ولا أحداث ولا وقائع فكريّة ماضيّة، باتت مدوَّنة/ذاكرة تتحكم في العقل؛ فالعقل بإمكانيّة النقد يملك تجاوز كل ماضٍ، ولعل "الجابري" يمكِّن بإفصاح هذا فيقول: "مشروعنا هادف إذًا، فنحن لا نمارس النقد من أجل النقد، بل من أجل التحرّر ممّا هو ميّت أو متخشب في كياننا العقلي وإرثنا الثقافي، والهدف: فسح المجال للحياة كي تستأنف فِينا دورتها وتعيد فينا زرعها[2]". وقد لملَمَ "طه عبد الرحمان" هذا الوعي اللّساني في ثلاث مراحل: إذ يصف المرحلة البنيويّة بمرحلة الدّاليات، والمرحلة التوليديّة في شقها الثاني بمرحلة الدلاليات[3]".

ويمكن جدًّا أن نشير بأنّ الدراسات نظريًا/تطبيقيّا كانت مكثفة على اللّغات الطبيعيّة، بُغية تحقيق التجربة، وما إن يُرتضى لكفايتها النظريّة والتطبيقيّة حتى ينعرج بها، مراجعة ونقدًا وإضافة... ويعدّ النحو الوظيفي من أحدث إفرازات هذا التكاثر العلمي اللّساني، إنّه حدث حاسم في تاريخ بناء الأنحاء، فهو نموذج ظهرت بواكيره سنة (1978م) بإصدار "سيمون ديك" وبذلك فهو لا يزال يصارع من أجل أن يحقّق

[1]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية،– مدخل نظري –، ص33. وأيضا: يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، الفصل الأول.

[2]– محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، 1984، ص8.

[3]– طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص20.

كفايته النظريّة وفي الآن ذاته كفايته التطبيقيّة، وقد التفّ حول هذا المشروع بحاثة كثر بغية تحقيقه حاضرًا فاعلاً/نظرية تسيطر على الساحة اللّسانيّة، – والحال هذه – لا تزال تجارب هذا المشروع تتوالى على اللّغات الطبيعيّة؛ وخير دليل على ذلك تعدِّي هذا المشروع الأوروبي إلى البيئة العربيّة ومحاولة "أحمد المتوكل" تبيئَته على اللّغة العربيّة، منذ أكثر من عشرين سنة و"المتوكل" يعرضه على هذه اللّغة الطبيعيّة تجربةً وإيضاحًا؛ فارتضينا أن نشارك هذا الباحث بالنَّزْرِ القليل من الاجتهاد؛ وذلك من خلال بحث الكفاية النظريّة لهذا المشروع – المستلهمة منه طبعًا – ومحاولة تطبيقها على جمل سورة "يوسف".

الفصل الأول:

نظريّة النحو الوظيفي

أولا: مصطلح النحو

يعدّ مصطلح "النحو" من الكلمات/المصطلحات التي رافقت العقل اللّغوي قديمه وحديثه، فهي تتمتّع بوجود مركزي مهمّ، يدلّ على قيمتها التحليليّة المتزايدة، وقد حامت عدّة إطلاقات حول هذا المفهوم عند الغربيين.

فتارة نجد النحو في مقابل اللّسانيات، وتارة نجده فرعًا من فروع اللّسانيات، وأخرى نجده نمذجة صورية للواقع اللّغوي، ويمكن جدّا أن نجد النحو بمعنى النظرية[1]:

1- النحو/اللّسانيات:

يذهب مؤرخو الدرس اللّغوي إلى تقسيم اجتهاداته إلى قسمين كبيرين؛ مرحلة قديمة تنضوي تحتها الدراسات القديمة، ومرحلة حديثة* هي مرحلة اللّسانيات. ويمكن تقديم الفروق بينها كالتالي:

أ- من حيث ظروف الإنتاج: تعقد اللّسانيات الحديثة تواصلات جيّدة مع عديد العلوم بغية إعداد نفسها، كالفلسفة والمنطق، الحاسوبيات ... وهذا لم يتح للدرس اللّغوي القديم وإن كان لا يخلو من التواصلات، ولكن ليس بالإمكانيّة الحديثة.

ب- من حيث موضوع الدراسة: تنطلق اللّسانيات الحديثة من مشروع عالمي إذ؛ تروم دراسة جميع اللّغات الكونية، فهي تدرس الملكة اللّغوية البشرية في هذا الكون، في حين أنّ الدراسات القديمة تقف عند اللّغة الواحدة: كالعربيّة أو الفرنسية أو ...إلخ.

جـ - من حيث الهدف: يخشى الدارسون القدامى أن تصاب اللّغة باللّحن، فانصب هدفهم على دراسة اللّغة بغية تعليمها، ودرء اللّحن عنها، في حين أنّ اللّسانيات الحديثة تروم دراسة اللّغات، بغية معرفة خصائصها الكلية.

---

[1]- ينظر أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربيّ- الأصول والامتداد-، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص36-39.

*- تنطلق من المنعرج اللّساني السوسيري المتمثل في كتاب "دي سوسير": محاضرات في علم اللّسان العام، وإن كان قلة من المؤرخين ينطلقون من الدراسات التاريخية المقارنة.

د- المنهج: ينطلق الدرس اللّساني الحديث من التمكين المنهجي أولاً ثم مباشرة الدراسة، فبالمنهج يمكن امتصاص اللّغة تفاديًا للتفرق، في حين أنّ الدراسات القديمة تباشر اللّغة دون اعتماد منهج مدوّن ولذلك فمنهجها متضمّن في مادتها النحويّة.

2- النحو فرعاً من فروع اللّسانيات: إذ؛ يعدّ مستوى تحليلياً للّغة يختصّ بالتركيب أو الصرف أو يضمهما الاثنين، يقدمه "جون ديبوا "في قاموسه: "النحو هو الوصف للمورفيمات النحوية والمعجميّة فقط، بدراسته لأشكالها وتأليفاتها من أجل تشكيل كلمات (بنائِها) أو جمل (التركيب)، وفي هذه الحالة نجد أنّ النحو يقف قسيما للفونولوجيا، ويمكن تسميته بالمورفوسنتاكس"[1].

3- النحو بمعنى النموذج: ويطلق على الجهاز الواصف الذي يعدّ اكتشافا للمبادئ المنهجية، ويتمتّع بقدرته على الوفاء لها إذ؛ يحقّق عدم تناقضه بوفائه للنمذجة؛ والنمذجة هي "التمثيل المجرّد للظواهر اللّغوية موضوع الوصف"[2].

4- النحو بمعنى النظرية: يملك أن يتوسع في الفهم السابق ويطلق مصطلح النظرية على النحو مثل: النحو الوظيفي، النحو التوليدي التحويلي ... والحال هذه، فإنّه يضاف إلى الجهاز الواصف المبادئ والأسس المنهجية والخلفيات الفلسفية والفروض التي تتضافر كلها، وذلك تحقيقًا لخصائص مفهوم النظرية الذي صاغه علماء المنهجية إذ؛ النظرية كما يعرّفها "موريس أنجرس": "مجموعة من المصطلحات والتعريفات والافتراضات لها علاقة ببعضها البعض، والتي تقترح رؤية منظمة للظاهرة وذلك بهدف عرضها والتنبؤ بمظاهرها"[3].

1- Gean Dubois et autres: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage،larousse،paris، edition، 1999، p226.

[2]- أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري –، ص14.

[3]- موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية(تدريبات عملية)، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2004،ص54.

ووقوفا عند هذه الإطلاقات المتعدّدة للنحو، فإنّ الأنحاء الحديثة أنحاء ذات توجه متخصّص، فنجد النحو التوليدي التحويلي، نحو الأحوال، النحو المعجمي الوظيفي، النحو الوظيفي .... والذي يهمّنا من هذه الأنحاء هو موضوع دراستنا؛ أي النحو الوظيفي، وما دمنا وقفنا عند الجزء الأول من هذا المركب/النحو الوظيفي، وقدمنا فهمًا له فإنّه لن يفيدنا بشيء في ضوء الأنحاء المتخصّصة إلاّ إذا وقفنا عند مفهوم الوظيفة وبذلك نكون قد فكّكنا الشفرة المصطلحيّة المركبة وحقّقنا فهمًا واضحًا لهذا النحو.

ويقدِّم "المتوكل" – وهو أبرز أعلام النحو الوظيفي– الوظيفة بقوله:" حين نتحدث عن الوظيفة، يجب أن يكون حاضرًا في ذهننا التميّز بين معنيين اثنين لهذا المفهوم: الوظيفة باعتبارها دورًا تقوم به اللّغة ككل والوظيفة باعتبارها علاقة دلاليّة أو تركيبيّة أو تداوليّة تقوم بين مكونات الجملة كعلاقة "المنفذ" مثلا، وعلاقة "الفاعل"، وعلاقة" المحور" ... إذا أخذنا الوظيفة" بمعنى العلاقة القائمة بين مكونات الجملة لاحظنا أنّ جميع الأنحاء تستعمل هذا المفهوم مع اختلاف فيما يعطاه من أهميّة داخل النموذج، فثمة أنحاء تجعل من الوظائف علاقات ثلاثة: علاقات دلاليّة (منفذ، متقبل، مستقبل، أداة ...) وعلاقات تركيبية (الفاعل، مفعول ...) وعلاقات تداولية (محور، بؤرة ...) في حين تقسم أنحاء أخرى الوظائف على نوعين اثنين (علاقات دلالية وعلاقات تركيبية) أو نوع واحد (علاقات تركيبية)..."[1].

انطلاقًا من هذا القول؛ نملك أن نحقّق فهمًا واضحًا للوظيفة إذ؛ نفهم أنّ الوظيفة تنقسم إلى قسمين؛ الوظيفة التي تمتلكها اللّغة ككل والوظيفة كعلاقة إذ؛ هناك نظريات تنطلق وظيفتها كعلاقة من الوظيفة الأصل التي تمتلكها اللّغة، في حين أنّ هناك نظريات تنطلق وظيفتها كعلاقة وهي تتنصل من تأطير الوظيفة التي تمتلكها

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري –، ص45–46.

اللّغة ككل، فتبني مشروعها وفق منظوريتها، وبذلك نملك أن نعدّها علاقات وظيفية ضئيلة بالنسبة للعلاقات الوظيفية – أي العلاقات التركيبية والدلالية والتداولية*.

وتغدو العلاقات الأخيرة هي العلاقات الوظيفيّة الوفيّة للوظيفة التي تمتلكها اللّغة ككل، فهي اكتشافاتها إذ؛ هي الوظيفة الممكنة للوظيفة الأولى تخضع لتأطيرها، فهي السليلة والتجسيم الممكن لها.

وبهذه العلاقات بنيت نظرية النحو الوظيفي إذ؛ بالوظيفة التواصلية المركزية أدرج المكون الدلالي والتداولي مكونين أصليين، فالعلاقة/الوظيفة بهذا الفهم، هي نشاط يستمد طاقته من الوظيفة الأساس للّغات الطبيعية التي هي وظيفة التواصل، فالعلاقة هي كل ممكن يؤطره التواصل، وبهذا فالعلاقة/الوظيفة تُستوعب وتُحتوى داخل الوظيفة الأم التي هي وظيفة التواصل، وبذلك:" نستطيع أن نقول إنّ النظرية الوظيفية المثلى ... النظرية التي تنطلق من مبدأ أداتيّة اللّغة مُرجعة وظائفها الممكنة إلى وظيفة التواصل وتُؤسّس على هذا المبدأ وصف بنية اللّغات صرفا وتركيبا وصوتا ... وهي كذلك النظرية التي تجعل من وظيفة التواصل أساسًا للبحث في إشكالات التنظير اللّساني الكبرى كإشكال اكتساب اللّغة وإشكال الكلّيات اللّغوية".[1]

واستنادًا إلى المبدأ المنهجي الذي يقضي بأنّ الوظيفة تحدّد البنية، وأنّ الوظيفة كونت علاقات من بينها المكون التداولي الذي يروم ربط بنية الجملة بمقامها فلا يمكن أن تنجح بنية إلاّ بأخذ شروط التواصل التّي يفصلها المكون التداولي، وأخذًا بالمبادئ المشتقّة عن الوظيفة التواصليّة يكون النحو الوظيفي مقاربًا لتعريف

---

*– علاقات فجرتها نظرية النحو الوظيفي بجدية حاسمة.

[1]– أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص44.

اللّسانيات الوظيفية الذي اقترحه "كونو": "مقاربة لتحليل البنية اللّغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقاتها البنيوية" [1] .

وستتّضح مقاربة النحو الوظيفي أكثر من خلال الشرح الذي نقدمه تاليًا إذ؛ سنعرض لمبادئها المنهجية وجهازها الواصف.

[1]– Kuno: syntax functional نقلا عن أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري–، ص104.

ثانيا: المنشأ والمبادئ المنهجيّة:

بات وعيًا بأنّ المنشأ والتحزب للأصل لم يعد يحكم ازدهار المشاريع العلميّة اللّسانية إذ؛ أسّست اللّسانيات نفسها انطلاقًا من عدم احتكار المشاريع، بل من خلال عالميّة المشاريع، وذلك حتّى تضمن الاختبار والتجارب والإقبال والحال هذه؛ فقد اختلفت موضوعًا عن كل قديم إذ؛ الدراسات القديمة كانت تتشبث باللّغة واللّغتين، لكن حديثا غدت الدراسات اللّغوية تبحث اللّغات كافة، أو هذه الثروة التي يتمتّع بها الكائن البشري دون سواه، واللّسانيات بهذا تروم تحقيق مقاربات كلية تبحث سائر اللّغات الطبيعية فـ: "من حيث موضوع الدراسة لم يتجاوز الفكر اللّغوي القديم حدود اللّغة الواحدة والتقعيد لهذه اللّغة الواحدة (الهندية أو العربية أو الفرنسية مثلاً)، في حين أنّ موضوع اللّسانيات هو اللّغات على اختلاف أنماطها أو بالأحرى الملكة اللّسانية التي تتميز بها الكائنات البشرية.

فكان الهدف الأساسي من الدراسات اللّغوية في القديم تعليم اللّغة والحفاظ عليها من أن يشوبها لحن أهلها أو الواردين عليها، في مقابل هذا تسعى اللّسانيات عبر دراسة مختلف أنماط اللّغات إلى إقامة "نحو كلي" يضطلع برصد خصائص اللّسان الطبيعية بوجه عام" [1].

ويعدّ النحو الوظيفي مشروعًا من مشاريع اللّسانيات الوظيفية التداولية، يسير كما أسلفنا إلى العالميّة والاكتساح الجغرافي، فهو مشروع تتبناه العقول البشرية وتباشره احتضانًا واستثمارًا وتبيئة وإيضاحا وإضافة ... فهو تجربة تملك قوة انتشارية، فقد استطاع وفي فترة وجيزة (منذ 1978) أن يعاشر عديد العقول العلميّة، وإن اختلفت عنه في المرجعيات، فنظرية النحو الوظيفي أمستردامية المنشأ والأصل ولندنيّة، دانماركيّة، مغربيّة، إسبانيّة، بلجيكيّة ... انتشارًا واكتساحًا واحتضانًا، يقول "المتوكل" :"... انتقلت نظرية النحو الوظيفي من مسقط رأسها أمستردام إلى أقطار أخرى

[1]– حافظ إسماعيلي علوي، ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللغة أسئلة اللّسانيات، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2009،ص38.

فتكونت مجموعات بحث وظيفية في أنتويرب (بلجيكا) ومدريد والرباط ولندن والدانمارك، وبموازاة ذلك دعي الباحثون الوظيفيون للمشاركة في محافل دولية أوروبية وأمريكية إلى جانب باحثين من مشارب أخرى توليدية – تحويلية وعلاقية وحاسوبية وغيرها للمقارنة بين مقاربات مختلفة لظواهر لغوية مركزية.

في هذا السياق، دعي المغرب للمساهمة بمدخل عن "النحو الوظيفي واللّغة العربية" ، وظلّت نظرية النحو الوظيفي تكتسب المزيد من الانتشار إلى جانب المزيد من الاعتناء المعرفي بفضل الندوات الدوليّة التي تعقد كل سنتين منذ اثنتين وعشرين سنة، أمستردام (1984)، انتويرب (1986)، أمستردام (1988)، الدانمارك (1990)، انتويرب (1992)، يورك (1994)، قرطبة (1986)، أمستردام (1998)، المحمدية (1999)، مدريد (2000)، بني ملال (1991)، أمستردام (2002)، أكادير (2003)، خيخون (2004) وسان باولو بالبرازيل (2006) "[1] .

وبهذا يكون الأمستراديون قد بذلوا فتحًا واضحًا طموحًا لا يزال يرمي باجتهاداته، ولا بأس أو من الجدير أن تتَنبّه أذهاننا إلى مقولة الباحث "بعيطيش": "ترجع أصول نظرية النحو الوظيفي إلى البلدان المنخفضة، وبالذات إلى مدينة أمستردام الهولندية، مع مؤسسها "سيمون ديك"، من خلال أبحاثه المتعدّدة التي رسم بها الإطار النّظري والمنهجي العام للنظريّة لأتباعه السائرين على نهجه، الذين أجروا دراسات لغوية متنوعة، تجاوزت عقدين من الزمن، مسّت مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة، تنتمي إلى فصائل متباينة نمطيًا، كاللّغة الهولنديّة والإنجليزيّة والفرنسيّة والعربيّة ... وتطمح منذ الثمانينات أن تكون بديلاً للنظريّة التوليديّة التحويليّة بكل نماذجها"[2]، ويستفاد كذلك من قول الباحث "يحي بعيطيش"، أنّ

[1]– أحمد المتوكل، المنحنى الوظيفي في الفكر العربي الأصول والامتداد، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص60،61.

[2]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، (رسالة دكتوراه)، ص53.

الإطار النظري والمنهجي أمسى من المحسوم الذي لا يجادل فيه أحد، وذلك بغية ازدهار المشاريع واحتواء العقول الباحثة، فالإرادة والرغبة غير المتردّدة في التصريح بالمبادئ والتقنيّات التي تؤسّس لكل مشروع علمي طموح، تمثل لائحة تروم كسب انخراط الباحثين قصد التعاون، لا سيّما أنّ المبادئ توّضح المشروع انطلاقا ووصولاً أي؛ من ماذا ينطلق البحث؟ وإلى أي مدى يمكن أن يستمر؟، فالمبادئ المنهجية بمثابة بنود تُوجه الحزب/النظرية في خطوطه المتينة، ولا تمتلك بأي حال من الأحوال أن تستبد بالمبادرات التصحيحيّة والمراجعات، فالنظريات الحديثة تشهد إضافات ونماذج مقترحة، تمثل ما يمكن أن نسميه اكتشافات النظريّة الغائبة عن المبادئ المنهجيّة والمعانقة لها في الآن ذاته، أو بتسمية تقرب الصّحة نسمي النماذج المقترحة داخل النظرية اكتشافات المبادئ، وبهذا الفعل؛ لا يمكن انتهاك المبادئ المنهجيّة للنظريّة وإنّما تلقيحها، فالجوهر ثابت والاكتشافات تتحول التفافًا به، فاكتشافات المبادئ بتدقيق أكثر تنتج بتكثيف الاختبارات على النظريّة وتمرسها إجرائيًا، فـ "ديك" في 1978 غيره في 1989، فهو نموذج جملة في الأولى، ونموذج نصٍ في الثانية، فهذا الانصراف هو تمرس داخل المبادئ وبذلك: "يمكن التنصيص على أنّ الانتقال من المرحلة الأولى إلى المرحلة الثانية لا يمسّ جوهر النظرية إذ؛ لا تغيّير يلاحظ في المبادئ المنهجية والنظريّة، وإنّما يكمن الفرق أساساً في إعادة تنظيم النحو"[1].

والأمر كما أسلفنا؛ يكون قد غدا نادرًا في اللّسانيات الحديثة غياب إعلان "المبادئ المنهجيّة"، ولقد أضحت الاجتهادات اللّسانيّة تعلن مبادئها، ممّا جعل منشأ النظريات يتوارى ثانيا أمام المبادئ، فبالمبادئ صُيِّرت المشاريع تموج بالحركيّة في كل الأمكنة، فحديث المبادئ هذا يستدرجنا إلى الحديث عن إعلاميّة المبادئ، فهي

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الأطروحات والرسائل:2، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، ص207.

تمثل المشاريع في الجامعات وأماكن البحث، وتتزاحم بغية التكلّل بإنجاز علمي، وعليه ونحن نبحث نظريّة النحو الوظيفي، أضحى وعيًا منّا إعلانها في بحثنا هذا؛ خصوصًا إذا ما أشرنا إلى أنّ العقل الغربي يمارس سياسة التمكّين المنهجي في اقتحام الظواهر إذ؛ تعدّ هذه السياسة ضرورة علميّة لكل البحوث، لذلك نلحظ العقل الغربي – من خلال مجال اللّسانيات تحديدًا – عقلاً يعنى بالتمكّين المنهجي، ولا يكتفي بالتمكّين المنهجي بل بتصحيح هذا التمكين، وذلك لاقتناعه بأنّ درجة إدراك العقل البشري نسبيّة، فالعقل الغربي– والأمر كذلك – ما إن يحط أسسًا منهجيّة حتى يبذل أخرى، ويعدّ النحو أحد الأفرع اللّسانيّة الجادّة في تحليل الظاهرة اللّغويّة، حيث لاقى هذا النوع اجتهادات البحاثة من أجل تفجيره منهجيّة واضحة وحاسمة في معاينة اللّغة، وعليه يجوز لنا أن نستشكل: كيف أثّث بحاثة النحو الوظيفي لثوابت المنهجيّة النحويّة الوظيفيّة؟ .

ويعد مبدأ التواصل كلمة مركزًا داخل نظريّة النحو الوظيفي إذ؛ به يتَعنقد الجهاز المفاهيمي لهذه النظريّة، ما دامت هذه النظريّة نظريّة منفتحة على غيرها من النظريات؛ فيمكن اعتبارها نظريّة تمارس حوار الأنساق أو تواصل الأنساق، فلم يعد التحزب داخل النسق الواحد يستجيب لبناء رغبة الإنسان المعاصر؛ فأزمة الإنسان المعاصر تتجلّى في مدى انغلاقه على نفسه والتحزب للنسق الواحد؛ فهي – نظريّة النحو الوظيفي – نظريّة تتميز بتواصل الأنساق، وإذا كانت التداوليّة تتحقّق تواصلاً من خلال أنّها تشكّل تحاورًا للأنساق، فهي تتشابك تلاحما وتواصلاً مع علم النفس، وعلم الاتصال، والفلسفة التحليليّة ... وتتبادل الحوار كثيرًا مع اللّسانيات ... وبهذا غدَت نظريات داخل اللّسانيات تشيّد نفسها انطلاقًا من هذا الحوار الذي أقيم بين التداوليّة واللّسانيات، فانعطف بالمسار اللّساني انطلاقًا من سيطرة التداوليّة على الفعل التواصلي المعاصر، وبهذا غدت اللّسانيات تشتغل داخل الموجة التواصليّة التداوليّة، والأمر كذلك، فالنحو الوظيفي نظرية نحويّة تتفجر تواصلاً، وبهذه الحركية

التواصليّة أو النزعة الانفتاحية التي تحاول أن تلبي رغبة الإنسان المعاصر، عملت نظريّة النحو الوظيفي على إشهار رغبة التواصل أو بعبارة تقرب إلى الصحة، إرادة الاستعارة والقرض والاقتراض، فأضحت نظريّة النحو الوظيفي تجميعًا منسقًا لعديد اجتهادات العقول داخل عديد الحقول المعرفيّة، وبهذا التنسيق استقلت نظريّة، وهذا الاستقلال ليس بالضرورة التخلي عن التواصل، فالنحو الوظيفي والقول لـ "نعيمة الزهري": "يعدّ ... نموذجًا نحويًا يتمتّع باستقلاله النظري والمنهجي، ويرتبط ببرنامج علمي له أهدافه ووسائله، يختلف هذا النحو عن غيره من الأنحاء بتنوع مصادره إذ؛ يعدّ محاولة انصهاريّة لمقترحات فلسفيّة مثل: نظريّة الأفعال اللّغويّة، وقوانين الحوار كما وردت في مقترح "غرايس"، داخل نموذج صوري مَصُوغ حسب متطلبات النّمذجة في التّنظير اللّساني الحديث، فضلاً عن روافد منطقية (منطق العوالم الممكنة)، وابستمولوجية، أسهمت في تيسير التطبيق العملي بالنسبة لتحليل مختلف الظواهر اللّغويّة في علاقتها بالاستعمال اللّغوي"[1]، ويضيف الباحث "يحي بعيطيش" على أنّ هذه الشراكة غدت بالنحو الوظيفي إلى درجة المشروع العلمي الطموح، فأصبح النحو الوظيفي: " ... يمثل مشروعًا علميًا طموحًا يتميز بانفتاحه على نظريات نحويّة حديثة، كنظريّة النحو العلاقي ونحو الأحوال والوظيفية الأمريكيّة، إلى جانب صهره لكثير من مفاهيم التواصل والإخبار والأفعال اللّغويّة والدلالة والتداوليّة والمنطق...."[2].

إنّه والفهم هذا؛ لا بدّ من اقتراح عقل تنموي، يهتمّ بدراسة وتنميّة العلاقات بين العلوم، وسبل إيجاد الإمكانات الانصهاريّة، ومن ثمة تتواصل العلوم، كي لا تتأزم في الأنساق، إنّ هذا الأمر يؤدي إلى برنامج تواصلي للعلوم، إنّنا والحال هذه نتمثل نظريّة النحو الوظيفي نظرية حطّمت الانعزال والنسقيّة بعد مأزق الفراغ النسقي

[1]– نعيمة الزهري، الأمر والنهي في اللغة العربية، ص820.

[2]– يحي بعيطيش، نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص71.

واقترحت نفسها نظريّة/عقلاً يؤسّس للتواصل والتفاعل ومن ثمّة إنتاج المعرفة والعلم، ونقول هذا القول بعدما وصلت الدراسات النسقيّة إلى أوجّها إذ؛ انفجرت معرفة وأصبحت تائهة في هذا التكاثر، لأنّها لم تلبّ رغبة الإنسان، ومن ثمة لا بدّ من التواصل إذ؛ تزدهر المعارف به، وبهذا تحقّق نظريّة النحو الوظيفي ديناميّة تواصليّة فعليّة إذ؛ هي نظريّة مرنة، ويضيف الباحث "يحي بعيطيش": "... انفتحت نظريّة النحو الوظيفي على مستجدات العلوم بصفة عامة، وبصفة خاصة مستجدات العلوم الإنسانيّة، فقد أفادت من الرياضيات والمنطق والفلسفة وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وبصفة أخصّ من النظريات اللّسانيّة الحديثة، كنظريّة الأفعال اللّغويّة والبحوث التداوليّة والدلاليّة والصوتيّة ... وعليه فإنّ نظريّة النحو الوظيفي، تعدّ من النظريات العريقة الأصيلة، ليس بفضل إفادتها من علوم عصرها فحسب، ولكل بفضل تكيّفها الدائم مع المستجدات، ومرونتها في استيعاب الجديد وتمثله وتجاوزه، وقدرتها على إدخال التحسينات وتطوير بنيتها النحويّة العامة؛ يظهر ذلك جليًّا في تطوير جهازها الواصف من نحو الجملة إلى نحو النص، مع تجاوز نحو النص إلى نحو كلي معمّم على النّص والجملة والكلمة، كما يظهر بصورة واضحة وصريحة في إفادتها من التراكمات المعرفيّة للنّظريات النحويّة الوظيفيّة السابقة لها، بانفتاحها على إيجابياتها وحسن تخلّصها من بعض الالتباسات والمزالق التي وقعت فيها..."[1].

وإذا كانت المبادلات والتواصلات تقع بين المعارف إذ؛ تتكاثف تواصلاً بغية توجيه العقول إلى تلبية رغبة الإنسان المعاصر التواصلية فما الحال، واللّغة معقل التواصل إذ؛ اللّغة بلا تواصل بين مستخدميها تغدو لا وجود لها، فقيمتها أن يتواصل بها أفرادها ويوفرّون لها الأرضيّة التواصليّة، فيغدو التواصل بذلك ثروة يُلزم بحثها، فكل كيفية من المتكلم أو المخاطب، أو كل وجود كيفي للنص، أو كل مقام يحدّد

[1]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص63–64.

المتكلم/النص/المخاطب، لا بدّ أن يبحث من خلال العلاقات بين هذه الأطراف، ولذلك بات لزامًا علينا أن ندرس بعض الاجتهادات اللّغوية التي بحثت التواصل، وهل كان التواصل مركزا يوجه بحوثهم؟ أم أنّ بحوثهم يُرام منها تحقيق زاوية أخرى فيغدو التواصل ذا دور هامشي؟

والحال هذه؛ فحديث التواصل نألفه – تمثيلا لا حصراً – مع "دي سوسير" إذ اقترح دارة تواصلية كالتالي[1]:

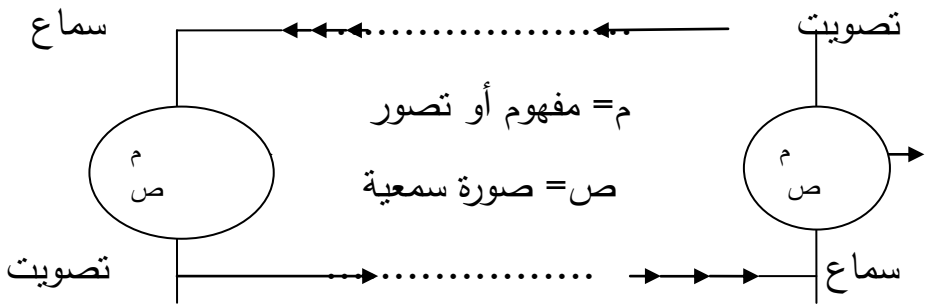

وبهذه الخطاطة فـ "نقطة انطلاق الحلقة الدّائريّة يكون مبتدؤها من دماغ أحد الشخصين وهو "أ" حيث توجد ظواهر الشعور وآثارها التي نسميها معاني ومفاهيم، مترابطة مع تمثلات الرموز اللّغويّة، أو الصور السمعيّة المستخدمة للتعبير عنها، ولنفترض أنّ تصورًا ما أو مفهومًا قد أثار في الدماغ صورة سمعية مقابلة: إنّها ظاهرة سيكولوجيّة بتمامها، وهي بدورها تعقبها عملية فسيولوجيّة: فالدماغ ينقل إلى أعضاء التصويت محتوى القوى الاندفاعيّة، وهي قوة سيكولوجية مرتبطة بالصورة السمعية فتنتشر حينئذ التموجات الصوتية من فم "أ" إلى أذن "ب" وهذه العملية – محض فيزيائيّة – ثم تمتد الدورة في الشخص "ب" على ترتيب معكوس إذ؛ يتمّ ذلك من الأذن إلى الدماغ حيث الترابط السيكولوجي لهذه الصورة يقترن بها المفهوم أو

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص26، وينظر أيضا: الطاهر بومزبر: التواصل اللساني والشعريّة – مقاربة تحليليّة للنظريّة رومان جاكبسون – منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص17 وما بعدها.

التصور المقابل لها، ولو أنّ الشخص "ب" تكلم بدوره فإنّ هذا الفعل الجديد سيتّبع من دماغ "ب" إلى دماغ "أ" نفس الخطوات الأولى..."[1].

يقسم "دي سوسير" هذه الدّارة إلى قسم فيزيائي ويرتبط بالموجات الصوتيّة وقسم فيزيولوجي ويرتبط بالتّصويت والسمع، وقسم نفسي (الصور اللّفظية والتصورات) والارتباط النفسي هو أثر نفسي بامتياز، وأمام هذه العناصر المتشظيّة والمتفرقة يضيف "دى سوسير" إلى كل ذلك الطاقة التنظيميّة، والتّي لها فضل كبير في التأسيس للّسان والعلامات التي كانت متفرقة[2] فيقول: "وإلى كل ذلك يجب أن نضيف قدرتنا على الربط والتنظيم وهي ملكة تظهر عندما لا يتعلق الأمر فقط بمجرد الرموز والدلالات المبعثرة/المفكّكة، بل إنّ هذه القدرة هي التي تقوم بدور أساسي في تنظيم اللّسان باعتباره نظاما ونسقا" [3] .

ويستغني "دي سوسير" أو يهمش نهائيًا الجانب الفيزيائي، في حين أنّه يستغني عن جزء من الجانب النفسي أي؛ ذلك الذي يتعلق بالجانب الفردي وسمّاه الكلام، يقول: "فأمّا الجزء الفيزيائي في الدورة فيمكن أن يترك نهائيا ... وأمّا الجزء النفسي فلا يكون بكامله هو أيضا الموضوع المعني: إذ؛ الجانب الباث لا دخل له في ذلك،..."[4].

فيمكن لنا جدّا أن نصف هذه الدارة بأنّها دارة تواصليّة تتفجر ميكانيكيّة، "فدي سوسير" بشرحه يود أن يقدّم وصفا للبنية التي يقوم عليها التواصل، وبإقصائه للباث والكلام يحدّد نفسه أنّه يريد أن يؤسّس لقاعدة صلبة تتميز بالتماسك يقوم عليها درسه، لا سيّما أنّ دارته مغلقة بل محكمة الغلق إذ؛ ما يهمّه هو حدوث تواصل

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ص26.

[2]– المصدر نفسه: ص27.

[3]– المصدر نفسه: ص27.

[4]– المصدر نفسه: ص28.

والأشياء التي تحدث التواصل هامشيّة، فهذا التواصل لا دور له إذ؛ المهمّ توفير لغة تقوم المنظمة بترتيبها، وبهذه الطاقة الرابعة يحدّد "دي سوسير" نفسه، بل يتسلّل لإعلان مشروعه الذي يقوم على البنية المحضة في دراسة اللّغة – خصوصا إذا ما أضفنا المرجعية الفلسفيّة التي ينطلق منها، وهي المرجعيّة التجريبيّة الوصفية – فكل شيء عنده هامشي، فما يهمّه هو البنية المنظمة التي تحال على الوصف والتصنيف بغية الضبط، لذلك يحسن التسلّل لمشروعه هذا إذ؛ يعدّ جنينيا كل أداء فردي، فهو مرحلة أوليّة، وما الشخصان المتخاطبان في دارته إلاّ جزء من الكل المنظم الذي يريده، وعليه يقول في فهم الطاقة المنظمة :"ولكي نفهم هذا الدور وهذه الوظيفة يجب أن نخرج عن الفعل اللّغوي الفردي الذي هو ليس إلاّ بداية أوليّة، جنينيّة للّغة وأن نتناوله كظاهرة اجتماعية"[1] فعمل المنظمة يكاد يتماثل مع الجمهور الاجتماعي وبهذا التعدّد المتماثل نملك تحقيق العلميّة والضبط فبحث الشمولية لا يوجد إلاّ في الذاكرة الاجتماعيّة ومن ثمة فاللّسان هو الذي يتحدّد للدراسة ويمثل أمامها ولا يمثل الكلام لأنّه تنقصه الخصائص السابقة، وعليه والقول "لدي سوسير": "إنّ اللّسان يشبه خزينة قد وضعتها ممارسة الكلام في الأفراد الذين ينتمون إلى جماعة واحدة، أو قل إنّ اللّسان عبارة عن نسق من القواعد النحوية الموجودة بالقوة في كل دماغ أو بالضبط في أدمغة مجموعة الأفراد، لأنّ اللّسان يوجد عند كل فرد ناقصا، ولا يوجد كاملا إلاّ عند الجمهور[2]".

والأمر نفسه نجده عند زميله البنوي الأمريكي "بلومفيلد" الذي يقيم دارته التواصليّة على عوامل سلوكيّة بغية توفير لغة موجودة فعلاً تُلتقط لتحال على المعاينة والمخبر

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللسان العام، ص28.

[2]– المصدر نفسه: ص31.

ولا يهمّه التواصل كإمكانيّة لغوية مركزيّة وحادثة "جاك" و"جيل" التي يمثّل بها لدارته خير دليل على إهمال التواصل، بل لتوفير لغة تحلّل بميكانيكية[1] .

كلّ ما نريد الوصول إليه من خلال هاتين الدارتين هو الوقوف على أنّ اللّغة ليست تواصلا، وإنّما هي عزلة وغاية في حدّ ذاتها، فهي بنيّة تنتج دلالتها من خلال العلاقات القائمة بين علاماتها.

وإذا كان التواصل مع النموذج البنوي لم يصّرح برفضه، فإنّه في المنعرج اللّساني الثاني مع التوليدية التحويليّة نجد الزعيم الروحي لهذه المدرسة يرفض التواصل نهائيّا فـ: " يذهب "شومسكي"، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك إلى أنّه، إذا كانت للّغة وظيفة، فإنّ وظيفتها الأساسيّة هي وظيفة "التعبير عن الفكر"، ومن بين التبريرات التي يقدمها "شومسكي" لتدعيم أطروحة أساسيّة هذه الوظيفة في مقابل وظيفة التواصل أنّه يمكن للشخص أن يكتب شيئا ما لمجرد توضيح أفكاره كما يمكن أن يكتب نصًّا دون أن يكون في ذهنه، وهو يكتبه، أي مخاطب معين، ويمثل لهذا الوضع بوضعه حين كتب بحثًا دون أن يكون في نيته مشروعٌ لنشره"[2]. ولا بأس أن نشير إلى أنّ هذا الموقف لا يتوافق مع المراجعات التي ألحقت بالنظرية التوليدية بعد أن سلمت بالتواصلية داخل برنامجها.

وإذا كان "دي سوسير" و"تشومسكي" عَزَلاَ التواصل من التحليل اللّساني، فإنّ الطرح الياكبوسوني والهاليدايي قد أعاداه بامتياز إلى ساحة التحليل اللّساني، فهو يكتسب قيمته من خلال تعدّد الوظائف، ومن خلال هذا التعّدد والتشظي يمكن أن نعدّ التواصل فقدَ هيمنته، فهو متنازع به بين هذه الوظائف ويلخص ياكبسون الوظائف التي تقوم بها اللّغة في ست وظائف: "الوظيفة "المرجعية" (أو الإحالية) والوظيفة "التعبيرية" والوظيفة "التأثيرية" والوظيفة " الشعرية" والوظيفة " اللّغوية" (بفتح

[1]– نواري سعودي: الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين المليلة، الجزائر، 2007، ص15.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص49.

اللام) والوظيفة "الميتالغوية". تقوم اللّغة بوظيفة مرجعية باعتبار المتكلم يحيل بواسطة خطابه، على واقع. هذه الإحالة على الواقع هي في ذات الوقت تواصل بين المتخاطبين..."[1].

هذا وينتقي "هاليداي" ثلاث وظائف اعتمادًا على معاييّر حدّدها فـ "يتحتّم على المتصدي لدراسة الوظائف دراسة لغويّة أن ينتقي من بين حشد الوظائف التي تُستعمل اللّغة من أجل تأديتها الوظائف المتوافرة فيها الخاصيتان الآتيتان:(أ) ورودها بالنسبة لجميع اللّغات الطبيعيّة (عدم اختلافها من لغة إلى أخرى) و(ب) تحديدها لبنية اللّغة..." ويرى "هاليداي" أنّ الوظائف التي تتوافر فيها هاتان الخاصيتان وظائف ثلاث: الوظيفة "التمثيليّة" والوظيفة "التعالقيّة" والوظيفة "النصيّة[2]". هذا وإن شظّى "ياكبسون" و"هاليداي" الوظائف وتركوها تصطرع وتتنازع فيما بينها، فإنّه والأمر هذا قد حقّقت مكاسب لها كبير فضل على الدرس اللّغوي فيما بعد إذ؛ الاعتداد بالوظائف وتركها تتنازع يعدّ بمثابة تثوير مشهد حيّوي يتحمل مسؤوليّة إعادة توجيه الدرس اللّغوي من أول وجديد.

وأمام هذا المشهد الذي يموج اصطراعًا وتنازعًا إذ؛ كل وظيفة تحاول أن تتجلى وتغيِّب الوظائف الأخرى، اقتحم اللّغويون الوظيفيون هذا المشهد الحيوي الذي يتميز بالتعدّد – بالرغم من الرأي الهاليدايّي الانتقائي –، وتمّ تلطيف هذا الاصطراع وعّينوا الوظيفة التواصليّة وظيفة سيّدة وأمّا، فتمّ اختزال باقي الوظائف – والقول ليحي بعيطيش – في الوظيفة التواصليّة إذ؛ "تختزل الوظائف المتعدّدة للغة التي ذكرها الوظيفيّون (كالوظائف الست لجاكبسون، والوظائف الثلاث لهاليداي السالفة

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص47.

[2]– المصدر نفسه: ص48.

الذكر...) بحيث تؤول جميعها إلى الوظيفة المركزيّة للغة التي منها تتفرع وبها تتحدّد، وبالتالي فهي أبعاد مختلفة ومتكاملة لوظيفة واحدة هي وظيفة التبليغ..."[1] .

وبهذا الفهم، أي الاقتحام الاختزالي يحتج اللّغويون الوظيفيون وفلاسفة اللّغة العادية بأنّه: "في حالة بروز وظيفة أخرى غير الوظيفة التواصليّة في نمط معيّن من الخطابات، يكون منشأ هذا البروز الوظيفة التواصليّة "[2]. إذ؛ الوظيفة التواصلية ترافق الوظائف مركزا وتغدو الوظائف الأخرى أفرعاً، هذا الاحتجاج تُقدِّم به للتعدّد الوظيفي الياكبسوني، في حين أنّ "هاليداي" وإن قلّص الوظائف إلى ثلاث وظائف: تمثيلية وتعالقية ونصّية إلّا أنّه تقدِّم إليه بـ "إلاّ أنّه بإمعان النظر في خصائص كل منها يتبيّن أنّها جميعها آيلة إلى وظيفة واحدة: وظيفة التواصل، فالتواصل العادي بين شخصين في موقف تواصلي معيّن يقتضي الإحالة على واقع، واقع خارجي أو واقع داخلي مرتبط بذات أحد المتخاطبين (الوظيفة التمثيلية) واتخاذ دور من الأدوار الاجتماعية بالنسبة للمخاطب كدور المُخبر ودور السائل ودور الآمر (الوظيفة التعالقية)، وتنظيم الخطاب حسب مقتضيات إنجازه (الوظيفة النصيّة)[3]. وبهذا الصراع والتأسيس الرسمي للوظيفة التواصليّة، غدت هذه الوظيفة أخطر ظاهرة إذ؛ تزعمت المبادئ المنهجيّة، فكل مبدأ منهجي ما هو إلاّ سليل هذه الوظيفة، ذلك أنّ الأمر يتعلق باللّغة التي تعدّ ظاهرة مجتمعيّة بامتياز، فاللّغة تكتسب ثروتها من خلال تواصليتها، لذلك غدا الأفراد يبذلون إمكانات واسعة من أجل تنظيم ونشر ومركزة المبدأ التواصلي في كل تحليل لساني، وبذلك غدا كل لساني وظيفي ينطلق من التواصل أثناء ممارسة فعله التحليلي، بل يطلّع أن تغدو هذه الثروة مصدر استثمار، حيث اجتمع عليها اللّسانيون الوظيفيون بأن قدّموا لها مستقبلا عالميا آمنا؛

---

[1]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص55.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص49.

[3]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص50.

وذلك بتكثيف الدراسات التي تنطلق من منهجية تواصلية وتبيّين قيمتها أمام الدراسات السابقة، فتأمين اللّغة بالتواصل هو استثمار اللّغة بوضعها داخل وسطها الحيّوي الطبيعي.

وعليه تنطلق نظريّة النحو الوظيفي في تحليلها اللّغوي بمركزة التواصل كمبدأ أول يتزعم مبادئها المنهجيّة إذ "وظيفة اللّغات الطبيعية "الأساسية" هي وظيفة التواصل"[1]، ذلك أن التواصل؛ يلطّف وضعًا لغويًّا حيويًّا، حيث يتفاعل المشاركون من أجل تفجير اللّغة ولا يتمّ هذا التفجير إلا بتغيير معلوماتهم التداوليّة و"يتمّ تغيير المعلومات التداولية إمّا بالنظر إلى العلاقة القائمة بين المتكلم والمخاطب أو بالنظر إلى فحوى الخطاب ذاته، وفي هذه الحالة الثانية، يكون القصد من الخطاب حمل المخاطب على القيام بفعل ما (تواصل "توجيهي") سواء أكان الفعل المطلوب عملاً (تواصل "أمري") أو قولاً (تواصل "استفهامي")، كما يكون القصد منه الإخبار عن شيء (تواصل "إخباري") أو التعبير عن إحساس (تواصل "تعبيري") أو استثارة إحساس (تواصل "استثاري") "[2] ، وبهذا الفهم للتواصل، تمّ تفجير الطاقة اللّغويّة به، فلا وجود للعزل، فكل من المتكلم والمتلقي والنص هو علاقة وتفاعل لغوي ويوضّح "ديك" أبعاد العمليّة التواصليّة بالخطاطة التاليّة[3]:

[1]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1، 1986، ص9.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص51.

[3]– المصدر نفسه: ص52.

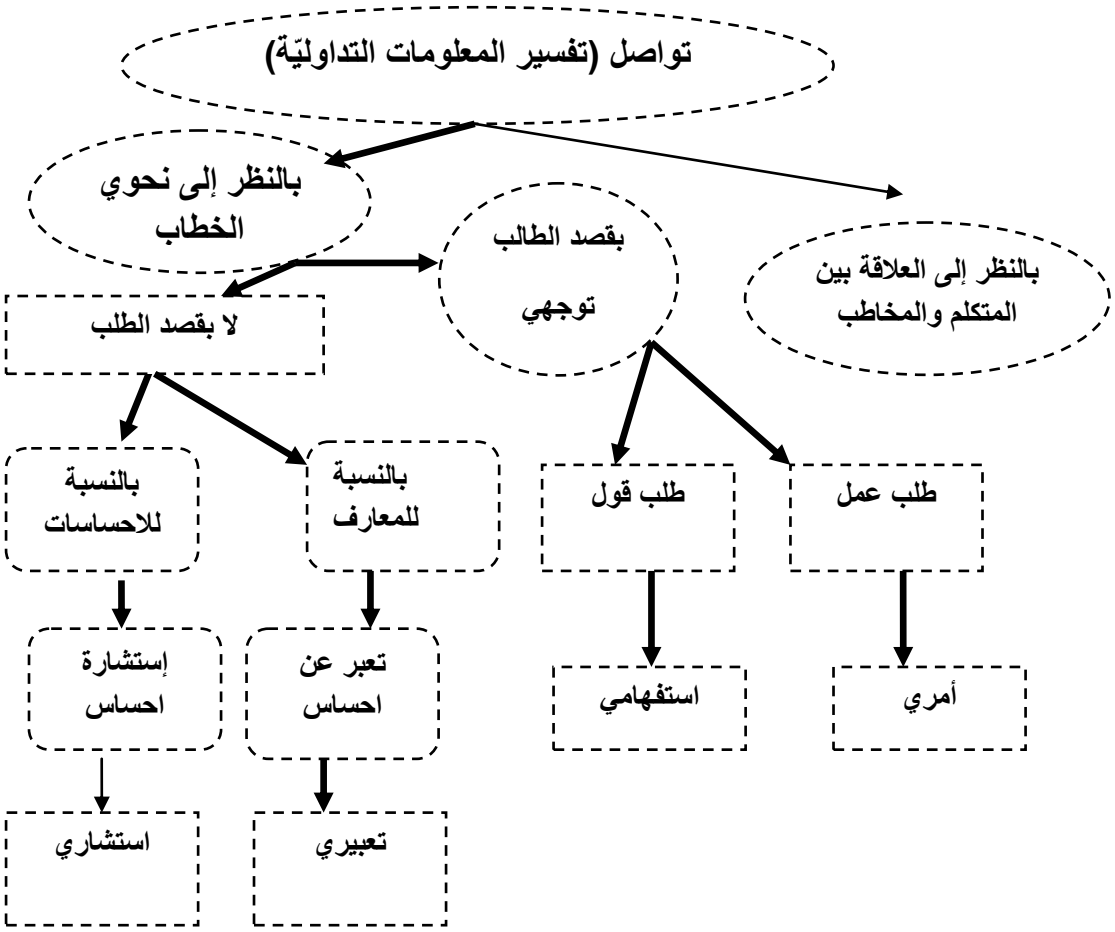

وعليه – وإكمالا للمبادئ المنهجيّة الأخرى التي أسّست لنظريّة النحو الوظيفي– نلتمس أنّ الدرس اللّساني وَجّهَهُ النسق/البنية العقل والتغير/التواصل، فشق من الدرس اللّساني يروم تحقيق نفسه من حالة ثبات ليحقّق العلميّة التي تتميز بالدّقة وتطلب الضبط وعليه فالمتغيرات أمام هذا الشق النسقي يستحيل تحقيق الضبط العلمي في تحليلها، وشق من الدرس اللّساني اتّخذ موضوعه من حالة تغيّر وحيوية بعدما كان القرار في الشق الأول أن لا استقامة لتحليل لساني علمي؛ انطلاقًا من الحالة الثانية، وبتحمل المسؤوليّة من الفريق الثاني بالتشيّيد لتحليل لساني علمي ينطلق من التواصل والتغير، تم إكمال التصحيح على كل منطلق نسقي وكسب الرهان والتوجه نحو علمية مصحّحة: ولعلّ موضوع الوصف من المشاكل التي عانى منها الشقان اللّسانيان إلى أن استقرّ موضوع الوصف تحت مصطلح القدرة

التواصليّة كموضوع للوصف، وقد اتخذت نظريّة النحو الوظيفي هذا المصطلح موضوعًا لها. فما المراجعات والتصحيحات والنقود التي توالت على هذا المصطلح حتى غدا موضوعًا للوصف؟

تعدّ القدرة التواصليّة حاضرا من المصطلحات الحيوية النظرة داخل النظريات اللّسانية إذ؛ شهد هذا المصطلح صراعات علمية ليست باليسيرة، فتوالت عليه النقود، إذ؛ صحّح مفهومه من نظرية لسانية إلى أخرى؛ فالقدرة عند "دي سوسير" والبنيويين غيرها عند "تشومسكي" والتوليديين، وعند "تشومسكي" غيرها عند "هايمس" والوظيفيين، نقول هذا؛ ونحن نساير النقود التي توالت على هذا المصطلح، فالمصطلح هذا أخذ مفهمته من المرجعية البنوية لدي سوسير، وأخذ مفهمته من المرجعية العقلية لشومسكي، وأخذ مفهمته من المرجعيّة التواصليّة عند "هايمس والوظيفيين"، فمصطلح القدرة – والأمر كذلك – يتطلب منا معاينة الإكمالات التي تقدِّم بها لهذا المصطلح، يحدث هذا أمام الانفجار الذي يشهده الدرس اللّساني المعاصر، لا سيما أنّ القدرة هي موضوع الوصف. هذا الدرس اللّساني الذي ينشد تحقيق درجة أكبر من العلميّة في ميدان من ميادين العلوم الإنسانيّة /اللّغة؛ ويمكن مبدئيا أن نشير إلى نسختين من العلميّة – من حيث المنطلق – شهدها الدرس اللّساني؛ العلميّة السوسيريّة البنيويّة، والعلمية التشومسكيّة التوليديّة، والعلميّة الوظيفيّة/ التداوليّة.

فالعلميّة البنيويّة؛ تنطلق من الفلسفة التجريبيّة والوضعيّة والتوليديّة من الفلسفة العقلية[1]، وهذه العلميّة تتميز بالضبط والتحكم والتعميم الدقيق، وهي علميّة يتكثف فيها التجريد والتحزب للنسق، وكل يمضي في نسقه بغية تحقيق أكبر قدر ممكن من الصورنة لا سيّما أنّ المنطلق يتحرك من الثوابت ويغدو الثابت هو اللّغة/القدرة وليس

[1]– محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، ص46.

الكلام/الإنجاز في التجربة النسقيّة البنيويّة التوليديّة. أمّا العلميّة الوظيفية فتتأسّس من قاعدة تواصلية، فهي – والحال هذه – لا تحبّذ التحزب والعزل والتجريد داخل توجه ضيق واحد يتميز بالتخصيص، بل تحبّذ التجميع والمرجعيّة التواصلية التي تلملم عديد وجهات النظر كي تتكاثف من أجل إنتاج نموذج علمي مضبوط يلبّي رغبة الإنسان المعاصر التي قهرها النسق المتخصص، – والأمر كذلك – فالمرجعية التواصليّة تحاول بناء صيغة جديدة للعلميّة تتعدى فيها استحالات العلميّة الأولى.

وانطلاقا من مصطلح القدرة التواصليّة نحاول أن نوفِّر وضعًا تموج فيه العلميتان، العلميّة التي مرجعيتها التشدّد للضبط والعزل والدّقة والشموليّة والتعالي الصوري النظري، والعلميّة التي تنطلق من التواصل إلى مضاعفة الضبط والشموليّة، أو ما يمكن تسميته بالعلميّة الصلبة، والعلميّة المرنة؛ إنّنا والقول هذا لا ندّعي للعلميّة الثانية عدم الضبط؛ وإنّما هذه العلميّة أي الثانية – تطالب بتصحيح الشموليّة التي ادّعتها العلمية الأولى، فالأولى ركزت على كل ما هو صوري وتعالت تجريدا وتركت كل ما هو واقعي، والأمر كذلك؛ تكون قد أخذت شطرا وتركت شطرا، وهي بهذا الفعل تلبي الرغبة النسقيّة، في حين أنّ الثانية تهاجر إلى تلبية رغبة استحالت مع البنيويين والتوليديين إذ؛ انطلقت من الاثنين صوري وواقعي.

إنّها الإرادة في التّأسيس لعلميّة ثانية تصحّح الأولى إذ؛ الإمكانات كانت تشكّك في العلمية الثانية، و كان مُحالاً أن تتأسّس علميّة تموج بالحركية والتنقل – والحال هذه – فالعلميّة الثانية – وهي هجرة الرهان – تحاول تحقيق مكاسب ليست باليسيرة إذ؛ تحاول الضبط في حالة الحركة والحيوية، وكما طالبت العلميّة الأولى بالموضوعيّة والنظاميّة والاقتصاد والشمول والتماسك، فإن الثانية تنشد هذه المطالب لكن الأولى – وكما أسلفنا – تنطلق من حالة ثبات وضبط، والثانية من حالة حركة؛ إنّها علمية ولكن بمغامرة مبدئيّة أخرى من أول وجديد، وأمام الثبات/النسق/

الغلق/العزل... باشر البنيويون والتوليديون بحوثهم – وبتقرير أنّه لا إمكانيّة لأي تخطيط علمي ينطلق من حالة مزلزلة مشكوك فيها – أي الكلام–.

ولعلّ الذي يصدِّق ما نذهب إليه – كما أسلفنا– النقود التي توالت على مصطلح القدرة إذ؛ يمكن الضبط بالرجوع إلى ثنائيّة اللّغة والكلام التي عُدلت فيما بعد إلى القدرة/الإنجاز والتي عدلت واجتمعت أو تواصلت بعد الغلق والعزل بالقدرة التواصليّة.

ومن أجل الدّقة والضبط التي تكثر درجتها مع العلميّة الأولى أعلن "دي سوسير" اللّغة موضوعًا للوصف/للدرس اللّساني بدل الكلام؛ ذلك أنّها الأنسب والأليق، لا سيما وأنّه يعيش عصر العلمنة بامتياز، فلا بدّ للدرس اللّساني الذي ينتمي للعلوم الإنسانيّة أن يلتقيَ بعلمية الدرس التقني، فيفرّق "دي سوسير" بين اللّغة والكلام تفريقا يحدّد فيه موضوعه فيقول :" فيما يخصنا، فإنّنا نفرِّق بين اللّسان la langue وبين اللّغة langage فليس اللّسان إلاّ جزءاً محددًا من اللّغة، وهو جزء أساسي لا شك فيه، وبهذا الاعتبار يكون اللّسان في ذات الوقت إنتاجًا مجتمعيًّا حادثا عن ملكة اللّغة وعن أنواع التواطؤ والاتفاقات الضروريّة التي أقرّها المجتمع وسنّها لكي تتأتّى ممارسة هذه الملكة عند الأفراد، فإن نظرنا إلى اللّغة في شموليتها وكليتها نجدها متعدّدة الصور متباينة الأجناس، وكما أنّها تقع على حدود أطراف ميادين علوم عديدة، فيزيائية، وفسيولوجية وسيكولوجية، في ذات الوقت، فإنّها أيضا تقع على حدود ميدان الفرد وميدان المجتمع، وتأبى اللّغة أن تصنّف في أي صنف من أصناف الظواهر الإنسانية، ذلك لأنّنا نجهل الكيفية والجهة التي بها نستخلص وحدتها.

أمّا اللّسان فهو خلاف لذلك، عبارة عن كل قائم بذاته وهو مبدأ للتصنيف، ومهما أعطينا للسان المكان الأول من بين ظواهر اللّغة، فإنّنا نكون قد أدخلنا ترتيبًا طبيعيًا في مجموع يمنع كل تصنيف غيره، ويمكن الاعتراض على مبدأ التصنيف هذا بأنّ ممارسة اللّغة تقوم على ملكة فطريّة وهبتها لنا الطبيعة، بينما كان اللّسان حاصلاً

عن طريق الاكتساب والتواطؤ، فيكون اللّسان بذلك خاضعا لغريزة طبيعية، بدل أن تخضع له"[1].

ويضيف "سوسير" حاسما في اختياراته إذ؛ يدرس درسه ما هو مجتمعي أي ظاهر للجميع ومحقق للتناسق بتواطؤاتهم، فالأمر يتعلق هنا بالأساسيّات، ويرفض كل ما هو فردي ثانوي إذ؛ لا يمكن لمشروع علمي أن يقف عند كلام الأفراد المحصور والناقص إذ؛ اللّغة عند الفرد ناقصة يضيف موضحا: "وعندما نفرّق بين اللّسان والكلام فإنّنا نكون قد عزلنا في ذات الوقت: (1) ما هو مجتمعي عمّا هو فردي. (2) وما هو أساسي عمّا هو ثانوي أو عارض في الأعمّ الأغلب"[2].

وعليه يؤكد دي سوسير أنّ موضوع اللّسانيات هو اللّغة التي يتوفر فيها التجانس والضبط والتجريد، فهي تملك أن تحقّق النسق، والكلام يتميز بالحيويّة وخاضع لإرادة الأفراد ويتميز بالتواصل مع الحقول المعرفيّة فلا نملك تحقيق العلميّة فيه، فاللّغة أرضيتها صلبة والكلام أرضيته متحركة وبذلك يؤكد "دي سوسير" موضوع وصفه في آخر محاضراته:" ... أن موضوع علم اللّسان الحق والوصيد إنّما هو اللّسان معتبرًا في ذاته ولذاته"[3].

وبهذا الفهم السوسيري؛ فاللّغة هي أشياء تحقّق حيويتها داخل التناسق الاجتماعي، وعلى الدراسة الصحيحة أن تقتحم هذه الأشياء تجربة وملاحظة فوصفا فتصنيفا، بغية كشف العلاقات الداخليّة والوقوف على تجانساتها، فدي سوسير يركّز على العلاقات الداخليّة التي تكوّن اللّغة كمادة – والأمر كذلك – ريم تحقيق السُؤدُد اللّساني بجعل اللّغة مادة تكشف علاقتها وعزلها عن كل خارج هو غاية لتسهيل المهمّة في كشف النظام، وهو بهذه النظرة للظاهرة يحاول تقديم سيادة الإنسان

[1]– فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، ص23–24.

[2]– المصدر نفسه: ص29.

[3]– المصدر نفسه، ص344.

اللّساني، وبهذا الفهم أضحى المحلّل اللّساني أداة تحاول أن تكشف علاقات المعادلة، وبهذا الكشف يتحول إنسان اللّغة إلى مجرد كاشف أمام الوجود اللّغوي بعدما أريد له سيادة اللّغة .

وإذا كان مع "دي سوسير" والبنيويين قد غدا الواقع الحسي اللّغوي موضوع التحليل، فإنّه وبالفهم النسقي العقلي غدا هذا الواقع تترجمه الحواس إلى مراكز العقل التي لها القدرة الإبداعيّة والحيويّة الديناميّة فينقل التحليل إلى التعالي النسقي داخل العقل، فتفهم بذلك الطاقة العقلية و يفهم كيف تبدّع وتنسّق اللّغة...

ومن العزل البنيوي إلى العزل العقلي؛ فسجن التحليل داخل الأسوار العقليّة التي تزداد تجريدًا لتحقيق العلمية، فتتاشبه اللّغة السوسيريّة بالقدرة التشومسكيّة، ويُلغى الإنجاز دائما وأبدًا من أجل الضبط العلمي، وبهذا: "ينبني موقف "تشومسكي" بشأن أولية القدرة كموضوع للّسانيات على افتراض آخر مفاده أنّ القدرة المثاليّة تضمن للدرس اللّساني التجانس المطلوب في كل نشاط علمي، فمن المعروف أنّه لا بدّ من التجريد في التعامل مع الظواهر أيًّا كان المجال العلمي الذي نباشره، والملاحظ أنّها الحجة نفسها التي نجدها عند "سوسور" وهو يبرهن على أسبقية دراسة اللّسان على الكلام"[1]. والإنجاز إذ؛ يلغى من ساحة التحليل وذلك: "نظراً إلى ارتباط الإنجاز بعوامل أخرى نفسيّة واجتماعيّة وجماعيّة وفرديّة، وبقنوات الإرسال والاستقبال ... فإنّ معطيات الإنجاز غير قادرة على أن تضمن للبحث اللّساني التجريد والتعميم..."[2]، فتشومسكي حتى يغدو التحليل تحليلا، لا بدّ أن يعزل الواقع الخارجي وتتعالى المثاليّة العقليّة، فالعقل هو المفكر الوحيد القادر على تقديم اللّغة وتحليلها؛ فكل شيء يتمّ داخل المفكرة كنسق عقلي، وبهذا الفعل النسقي الذي يهدف إلى كشف

[1]– مصطفى غلفان: اللّسان التوليدية – من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدوني: مفاهيم وأمثلة –، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010، ص45.

[2]– المرجع نفسه: ص45.

العلاقات النسقيّة الحقيقية لم يعد يلبّي هذا الفعل إرادة الإنسان المعاصر، فالذات المتعاليّة العارفة في النسق العقلي لم تعد تملك الحقيقة والأمر نفسه بالنسبة للذات الميكانيكية في التصور البنيوي، فالسجن والمتاعب النسقية بعدما كانت حلاً وأملاً للإنسان المعاصر باتت تشكل أزمة هذا الإنسان الباحث عن الحقيقة. فالحقيقة اللّسانيّة خيبت داخل التحليل النسقي، وخيبت سيادة الإنسان اللّساني، وأمام هذا الفراغ الفكري، فعلى اللّساني تقويض هذا النسق واقتراح البديل إذ؛ لا بدّ من بعثرة وتحطيم قتلة الحقيقة ... وأمام هذا المشهد المتأزم دعا العقل الغربي نفسه إلى هجرة جديدة يروم فيها التصحيح والمراجعة*.

إنّه والأزمة هذه لا بدّ من التأسيس لعقل يفهم الظاهرة اللّغويّة، وقد كان هذا الفهم هو الفهم التواصلي، فالإنسان تجمعت في وعيه كثير من الأنساق، وكان لزامًا عليه أن يحرص على تحريضها تواصلاً فيما بينها، ولذا عليه إن أراد تحليلاً مصحّحًا أن يقتحم الظواهر وهي في حالة حركة تواصليّة، فيتحول من كشف عالم العلاقات النسقيّة في حالة ثبات، إلى كشف العلاقات في حالة حركة وتواصل...

وانطلاقًا من هذه الحركة والتواصل؛ نجد " الإنجاز" يرتبط بعلوم أخرى يتواصل معها، ولذلك جنّدت له علميّة تواصليّة تغطيه، فالمسعى – والحال هذه – ينطلق من قاعدة تواصليّة حركيّة تروم تحقيق مشروع علمي يكون بديلاً للمسعى العلمي الأول الصوري، وعليه: "فلا يمكننا أن نقوم ببناء نظرية على أساس قدرة مثالية مجردة؛ لأنّ هذه القدرة اللّسانية المثالية لن يكون بإمكانها الإحاطة بجميع جوانب التفاعل اللّغوي، وهو ما يعني أنّه من المستبعد أن نتصور نظريّة مستقلة عن المحيط النفسي والاجتماعي الذي تندرج فيه"[1] ، وعليه: "يعتبر "ديل هايمس" أنّ ما يتميز به الفرد

* – نشير إلى أنّ فكرة النسق لا تغادر أي تحليل ولكن ما نروم قوله هو أنّ النسق يتجلى بإمكانات متعدّدة كشفتها الخبرة الإنسانية، فالنسق البنوي غيره العقلي وغيره التواصلي .

[1]– مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص49.

المتكلم هو امتلاكه لقدرة أكبر وأشمل وأكثر وظيفية ممّا يقترحه النحو التوليدي، وهي القدرة التواصليّة التي لا تمكّن من إنتاج وفهم ما لا حصر من الجمل النحويّة، بل تتعلّق باشتغال السلوك اللّغوي في شموليته وواقعيته وهي مختلف السياقات والمقامات الممكنة لتحقيق كل أغراضه التواصليّة في أبعادها الفرديّة والجماعيّة"[1].

وبهذا الطموح التواصلي تكون القدرة التواصليّة هي موضوع الوصف داخل نظريّة النحو الوظيفي الذي يقوم هيكله على مبدئه التواصلي، والقدرة التواصليّة إذ؛ تكون موضوعًا للوصف فهي سليلة هذا المبدأ التواصلي، وعليه تضبط ثنائيّة القدرة /الإنجاز في النحو الوظيفي بتحريض تواصل هذه الثنائيّة قدر المستطاع بغية الدمج النهائي يقول "المتوكل": "يتبنى اللّغويون الوظيفيون ثنائية "القدرة/الإنجاز" تبني اللّغويين التوليديين التحويليين لها، إلاّ أنّ تصور القدرة عند اللّغويين الوظيفيين يباين تصّورها عند اللّغويين غير الوظيفيين ويمكن تلخيص هذا التباين كما يلي: ... بالنسبة للتصور التوليدي الكلاسيكي للقدرة يرى الوظيفيون أنّ الجوانب التداولية (الوظيفية) للّغة تشكل جزءاً من معرفة المتكلم السامع المجرّدة للغته، أي قدرته اللّغويّة، وليست مجرد ظواهر إنجازية- بهذا المعنى -؛ تتضمن القدرة اللّغوية، بالإضافة إلى القواعد المرتبطة بالخصائص الصورية (القواعد الصوتية – الصرفية والتركيبية والدلالية)، القواعد التداولية أي؛ القواعد المتحكمة في ظواهر الاقتضاء والاستلزام الحواري والتبئير وتوزيع المعلومات داخل الجملة وغيرها، فالقدرة اللّغويّة عند الوظيفيين، إذن، قدرة وظيفية صوريّة، تشكل معرفة المتكلم السامع للقواعد التي تؤهله لاستعمال اللّغة وسيلة لتحقيق أهداف تواصلية معينّة"[2].

وانطلاقًا، من التأسيس الشرعي للقدرة التواصلية كموضوع للدرس اللّساني الوظيفي إذ؛ تمّ الدّمج بين القدرة والإنجاز، فاتّخذ الدرس اللّساني مساره العلمي الجديد بتعديله

[1]- مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية، ص49.

[2]- أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص75-76.

موضوع الوصف، وبهذا الفهم تبحث نظريّة النحو الوظيفي العلاقة بين طرفي القدرة التواصليّة إذ؛ بإعلان نظريّة النحو الوظيفي التواصل الوظيفة الأم في بناء هيكلها التحليلي، فإنّه أمسى لزاما معرفة التواصل الحقيقي بين البنيّة التحتيّة والبنيّة الفوقيّة، أو معرفة تقارب البنيّة والاستعمال، وعليه فلا مجال للحديث في نظريّة النحو الوظيفي، عن البنية وحدها أو الاستعمال وحده؛ بل الحديث عن إمكانيّة تعالق وتواشج البنية بالاستعمال، بل من خلال تحديد الاستعمال للبنية، كونه بنية تحتيّة تسهر على إنتاج بنية فوقيّة، وعليه تغدو البنية تحنّ للاستعمال والاستعمال يحنّ لها، ولا يتمّ هذا إلّا من خلال أخذ الكلام المحدّد الذي يصدره متكلم محدّد، ويوجهّه إلى مخاطب محدّد وبلفظ محدّد، وفي مقام محدّد ليحقق غرضا تواصليا محدّدا، فمثلا العبارة: (لقد زاد في تناول كميات القهوة ليلا) فلو أحلنا العبارة على فهم البنية فقط فإنّنا بذلك لن نتمكن من معرفة متناول القهوة، أو لمن أسند إليه الفعل (زاد)، غير أنّه وبمراعاة أعراف الاستعمال نملك تفسير ذلك إذ؛ تطلب القهوة ليلاً مثلاً إلاّ لطالب علم كي تنبهه أو لعامل حراسة في الليل ... وهكذا يغدو التحليل الذي يعالق بين البنيّة والاستعمال تحليلا يقدّم فهما أوضح للعبارة ويزيد من مرونتها واقعيا .... ولو قلنا (القهوة القهوة ليلا) فإنّنا نكون بتصديرنا لكلمة "القهوة" بهذا الأسلوب الإغرائي ندلّل على أهميتها والعناية بها فتغدو "القهوة" مركزًا في العبارة، ويهمش الشارب في هذا الوجود اللّغوي، ولو قلنا: "القهوة القهوة أمام الكتاب" فيمكن فهمها على أساس التحذير من أضرار القهوة وتأثيرها على أعصاب الفرد.

وعليه فلا فهم للبنيّة ولا تنظيم لها إلاّ بإحالتها على ظروفها، فالعلاقة حميميّة جدًّا، فما البنية إلاّ نتاج لتوجيهات الاستعمال، يقول "المتوكل": "يرتبط نسق اللّغة ارتباطا وثيقا بنسق استعمالها، ويقصد بنسق الاستعمال مجموعة القواعد والأعراف التي تحكم التعامل داخل مجتمع معيّن. نسقا اللّغة والاستعمال نسقان مختلفان من حيث طبيعتهما لكنهما مترابطان، ويتجلى هذا الترابط في كون نسق الاستعمال يحدِّد

في حالات كثيرة قواعد النسق اللّغوي المعجمية والدلاليّة والصرفيّة، والتركيبية والصوتية..."[1].

ومن خلال هذا التزاوج أو التواصل بين البنية والوظيفة والنجاح في التأسيس للقدرة التواصليّة يمكن الحديث عن منهجيّة هذا التواصل الفعّالة التي تملك أن تُكسب الطفل اللّغة فـ ."المبادئ العامة التي تمكِّن الطفل من تعلم اللّغة مبادئ تتعلق في ذات الوقت بالوظيفة والبنية ... فجهاز الاكتساب حسب الوظيفيين، إذن، نسق من المبادئ العامة التي تزاوج بين الأغراض التواصليّة الأساسيّة والوسائل اللّغوية التي تتحقّق بواسطتها هذه الأغراض، بالنسبة لما يكتسبه الطفل أثناء تعلمه للّغة، ويرى اللّغويون الوظيفيون أنّه ليس معرفة لغوية فحسب بل كذلك معرفة القوانين والأعراف المتحكمة في الاستعمال الملائم للّغة في مواقف اجتماعية معينة..."[2].

وبهذا النّضال العلمي الجديد الذي اتخذ القاعدة التواصليّة مركزا لحركته إذ؛ اعتنى حتّى بالطفل وإدخاله في حالة تواصليّة بدل وضعه في حالة غلق وعزل وتجريد، وبهذه العناية التي تسعى لتحقيق الشموليّة، يسعى هذا الدرس اللّساني لينافس الكليّة التي حققتها العلمية التي انطلقت من الثوابت في معاينة اللّغات والقول المتوكلي التالي يشرك العلميتين في تحقيق الكلية إذ؛ "يسعى الدرس اللّساني إلى رصد خصائص مختلف اللّغات الطبيعيّة كالعربيّة والإنجليزيّة والفرنسية واليابانية وغيرها ... إلاّ أنّ هذا الهدف الأساسي الذي يعطي هذا الدرس علميته هو رصد الخصائص التّي تتقاسمها اللّغات الطبيعية على اختلافها أي استكشاف ما دُرج على تسميته "الكليات اللّغوية" "[3]، وإذا كان بحث الكليات هو الذي يحقّق علميّة أي توجه

---

[1]– أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي – الأصول والامتداد –، دار الأمان، الرابط، ط1، 2006. ص21.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص77.

[3]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص78.

فإنّ التوجه العلمي الأول المنطلق من العزل والثبات والغلق والصورية يروم تحقيق نفسه ممّا هو صوري حتى يتمّ الضبط، في حين أنّ التوجه الوظيفي – أقصد النحو الوظيفي بالضبط – يروم تحقيق نفسه من حالة حركة وتواصل وذلك من خلال ضمّ البنية بالوظيفة وعليه: "إذا كانت الكليات اللّغويّة في النظريات اللّسانيّة ذات المنحنى الصوري كليات صرفية– تركيبية ودلاليّة فإنّها تجمع في النظريات اللّسانية الوظيفية بين الوظيفة والصورة..."[1]، ومنه وبـ:"... هذا التصور للكليات اللّغويّة، يكون النحو الكلي في منظور الدرس اللّغوي الوظيفي عبارة عن مجموعة من التّعميمات حول علاقة بنية اللّسان الطبيعي بوظيفته التواصليّة ويكون دور هذا النحو (أ) تحديد مفهوم "نسق التواصل اللّغوي البشري الممكن و(ب) ضبط الأنحاء الخاصة المقترحة لرصد خصائص اللّغات الطبيعيّة أو خصائص أنماط اللّغات الطبيعية"[2].

فمشروع العلميّة الحركيّة يروم تحقيق نسقيّة تواصليّة، وبالإكمالات للعلمية المغلقة، اقترحت أنحاء تدرس اللّغات على اختلافها بغيّة تحقيق النسقيّة التواصليّة، والنحو الوظيفي بتأديته للتجانس العلمي، استدعى ثلاث كفايات يزدهر بها المشروع العلمي التواصلي في نسخته الثانية (العلمية الثانية)، ومن خلال هذه المبادئ كلها تحاول الكفايات أن تجيب عن القدر الذي يلبّي رغبة الإنسان اللّساني في فهم الظاهرة اللّغوية واستنطاق حقيقتها، وبذلك يقترح النحو الوظيفي ثلاث كفايات في مشروعه اللّساني – أو تحقيقًا للعلمية الحركيّة التواصليّة – إكمالاً ومراجعة للكفايات الثلاث التي اقترحتها العلميّة الأولى الصوريّة والتي تتقاسمها البنويّة والتوليديّة والتي تتمثل في: "الكفاية في الملاحظة observational adequacy، والكفاية في

[1]– حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009، ص36

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص80.

التفسير escplanatory adequacy "[1] ، وعليه تغدو الكفايات: النفسيّة والنمطيّة والتداوليّة تحاول أن تلبّي المطالب العلميّة التواصليّة.

فالكفاية التداوليّة لا تتابع السلامة في بناء الجمل أو النصوص فقط، بل تتابع كذلك الإمكانات التي تغدو بالجمل والنصوص ناجحة ومقبولة في المواقف التبليغيّة التي تكسب هذه الجمل والخطابات حيويتها، وبهذا يتحتّم التمثيل لكل الخصائص التداوليّة، وداخل النحو نفسه لا خارجه وبالضبط في البنية التحتيّة[2]، ورغبة في تحقيق الكفاية التداوليّة يرحب بالتداول داخل النحو الوظيفي بأن منح له مسؤوليّة السيادة والاستقلال في ممارسة نفسه، مثله مثل المستوى الدلالي والتركيبي فـ : "بنية النحو كما تقترحها نظرية النحو الوظيفي تشتمل على مستويات تمثيلية ثلاثة: مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية: (كوظيفة المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد...) مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية: (كوظيفة الفاعل والمفعول) مستوى لتمثيل الوظائف التداولية: (كوظيفة المبتدأ ووظيفة المحور...)"[3]. وهذه المستويات الوظيفيّة داخل نظريّة النحو الوظيفي تعدّ مفاهيم أولى إذ؛ هي مفاهيم أصليّة ومصدر، وليست بالمفاهيم المشتقة من المركبات، وعليه تخضع البنية المكونيّة للجملة لتوجيهات البنية الوظيفية لا العكس، فالأولويّة دائما وأبدا للوظائف في تشيّيد الجملة ولذلك يقول المتوكل: "تعتبر الوظائف الدلاليّة والوظائف التركيبيّة والوظائف التداوليّة حسب النحو الوظيفي مفاهيم أولى (PRIMITUVES) بمعنى أنّها ليست مفاهيم مشتقة من بنيات مركبيّة معينة، فالبنية المكونيّة (CONSTITUENT

[1]– محمد محمد يونس علي: مدخل إلى اللّسانيات، ص47.

[2]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص ص57،58.

[3]– علي آيتأوشان: اللّسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1998، ص51.

STRUCTERE) للجملة بتم بناؤها ... انطلاقًا من المعلومات المتواجدة في البنية الوظيفية لا العكس،..."[1].

أما الكفاية النفسيّة: فتحاول أن تلبي التقارب، وتخلق نوعا من الاطمئنان بين ما يتمّ داخل الذهن من عمليات وما يتحقق واقعيًا، ويحدث هذا الاطمئنان من خلال التطابق بين الإجراءات اللّغوية على المستوى الذهني للمتكلم السامع وبين ممارستها واقعًا، وبذلك: "يقال عن نحو ما إنّه نحو "واقعيا نفسيًا" إذا كانت القواعد التي يقترحها "واقعية نفسيّة" أي إذا كانت هذه القواعد تطابق العمليات القائمة في ذهن المتكلم– السامع أثناء إنتاج الخطاب أو أثناء فهمه"[2]، فتترابط كثيرا الإواليات مع نماذج الإنتاج والفهم، أي؛ مع المتكلم حين ينتج لغة أو المخاطب حين يحلّل ويؤوّل.

ومن خلال هذه الحركة التواصليّة بين المجرّد والواقعي، يعلن الكفاية الثالثة أي الكفاية النمطيّة، التي تروم صوغ علميتها بدقة وشموليّة من حالة الحركة التواصليّة، فتحاول هذه الكفاية أن تحقّق نفسها من خلال الفحص التطبيقي لأكبر قدر ممكن من اللّغات المتباينة، ورغم هذا التباين والمزج بين الصوري والواقعي تذهب إلى تقديم نظريّة تدقق وصفًا، يتماشى مع هذا الوصف جهاز تجريدي يسعفه لتحقيق نفسه – أي الوصف – مع عديد اللّغات، ولا تتمّ هذه الكفاية إلاّ بحسن استغلال نقطة التّماس المرنة بين الوصف المنتشر تطبيقيا على اللّغات والتجريد الذي يلملم هذا الوصف وعليه: "يتوصل إلى الكفاية النمطية" ، حسب "ديك"، باعتماد منهج البحث الآتي: يجب أن يلتصق الوصفُ، قدر الإمكان، بظواهر اللّغة المروم وصفها وأن تكون إواليات الوصف في ذات الوقت، في أعلى درجة ممكنة من درجات التجريد كي يتسنى للوصف أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللّغات الطبيعيّة وإن تباينت أنماطها. هذان العاملان (الالتصاق بالظواهر وتجريد وسائل الوصف) عاملان

[1] – أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللّغة العربية الوظيفي، ص10.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص83.

متلازمان إذ؛ إنّ الوصف إذا اشتدّ التصاقه بظواهر لغة ما كثر تطبيقه على لغات أخرى وإذا اشتد تجريد إواليات كثر رصده لخصائص اللّغة – المقصود وصفها – وفقد بذلك كفايته المراسيّة، فالكفاية النمطيّة تكمن في نقطة التّماس بين ملموسيّة الوصف وتجريد إواليات"[1] .

وعلى شرفة ما تقدم؛ تجمّع نظرية النحو الوظيفي جميع هذه المبادئ والتي تربطها ربطا وثيقًا بالكفاية، هذه الكفاية التي تسعى لتحقيق مطالب الوظيفيين الذي لم يعد يحكمهم العزل بل ينطلقون من قاعدة تواصلية، فدمجهم لما هو صوري بما هو واقعي إجراء تواصلي بامتياز، وهذا الدّمج يتطلب تكاتف عديد العلوم من أجل تقديم تغطيّة للنّظريّة، لا سيّما أنّ الإنجاز تحفه عديد المعارف، والمتطلّع لرصد خصائصه لا يتمّ له ذلك إلاّ: "عبر استكشاف المبادئ التي تحكم التواصل اللّغوي، من أهمّ هذه المبادئ أنّ التواصل عن طريق اللّغة لا يقتضي المعرفة اللّغوية الصرف فحسب بل يقتضي كذلك معارف أخرى عامة وآنيّة تخص الموقف المعني الذي تتمّ فيه عملية التواصل.

يمثّل النحو الوظيفي هذا التعدّد في المعارف في شكل قدرة تواصليّة تضمّ إلى جانب الملكة اللّغوية ملكات أخرى معرفية أو مفهوميّة واجتماعية ومنطقية وإدراكية وحسية، ويرمي تحقيق هدف أسمى هو صوغ نموذج لمستعمل اللّغة تتعدّد قوالبه وتختلف بتعدّد واختلاف الملكات المكونة للقدرة التواصليّة"[2]، وبهذا الفهم تجتمع على نظريّة النحو الوظيفي هذه المشاكل المرنة جميعها داخل القدرة التواصليّة وباجتماع الكفايتين التداوليّة والنفسيّة تتولد الكفاية النمطيّة التي تتخذ موقفًا مرنا من موضوع الوصف الحسّاس الذي يتفجّر تواصلاً، سواء مع اللّغة أو تواصلات العلوم، فتعلن الكفاية النمطية نفسها؛ أنّها تبحث جميع اللّغات وإن تباينت، وبنظرة استقرائية شبه

[1]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص83،84.

[2]– أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي، ص66.

تامة، وحتّى يتسنى لها هذا لابدّ أن تتحمل المسؤوليّة تجاه مشاكل المنطلقات التواصليّة، ويظهر موقفها المرن وضبطها العلمي الجديد وشموليته من خلال موقف "ديك" الذي يحدّد التجريد المصحّح؛ يقول "سيمون ديك": "نقصد بالتجريد المسافة القائمة بين العبارات اللّغوية في لغة ما وبين البنيات التحتيّة التي تخلف هذه العبارات ... لكي تنطبق على لغات أي نمط، يجب أن تكون النظريّة على قدر معين من التجريد؛ ولكي يمكن أن تكون ذات إجرائية فعليّة، يجب أن تظل ملتصقة ما أمكنها الالتصاق بالظواهر اللّغوية ... حين تكون النظريّة موغلة في الالتصاق بالواقع اللّغوي في لغات خاصة يصبح من غير الممكن استخدام مفاهيمها في وصف لغات أخرى، وفي المقابل، عندما تكون النّظريّة مفرطة في التجريد، يعسر عليها تحقيق هدفها الذي هو الوصول إلى تعميمات دالة في اللّغات الخاصة وتفقد بذلك قيمتها المراسية ..."[1]، وبهذا التوسط يتغيّا حل مشاكل القدرة التواصلية موضوع الوصف.

[1]– سيمون ديك: البحث الذي تقدم به سنة1997، ص16، نقلا عن أحمد المتوكل: المنحنى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي الأصول والامتداد، ص70،71.

ثالثا: إشكاليّة الجملة

ما حدث للجملة عند البنيويين و التوليديين أنّها عزلت داخل النسق العلمي أي نسق البنية والعقل، فهي عند البنيويين عبارة عن أشكال متداخلة العلاقات، وبواسطة الوصف والتصنيف تحددّ عناصرها الجزئية والعلاقات الداخلية التي تنظمها، فالجملة – والحال هذه – ما هي إلاّ وحدات متجانسة، والذي يقبل عليها تحليلا ما عليه إلاّ أن يفك الشفرة التجانسيّة هذه بوصفها وتصنيفها انطلاقا منها وانتهاء إليها، دون إقحام هذه البنية المتجانسة مع أيّ مكون خارجي، أمّا عند التوليديين فالجملة نابعة من العقل، فالعقل يتأمل داخليا ويعرف كل ما يحيط به، فاللّغة – والأمر كذلك – تنطلق منه وتنتمي إليه، وبهذا فالجملة لا يتأتى فهمها إلاّ بالعقل الذي يعرف تجانساتها، وأيّ تغييرات تطرأ على الجملة لا تتمّ إلاّ داخل العقل/المفكرة.

وعموما؛ سواء بنيويًا أم توليديًا فإنّه تمّ عزل اللّغة/الجملة داخل الوصف/نسق العقل والبنية. فالجملة انتقلت من البنية إلى العقل، وهي تروم بذلك أن تستجمع نفسها لكي تعيد مراجعة نفسها، والإنسان بهذا الفعل يروم كشف الحقيقة اللّغوية بمنظور خاص، فتارة بنية يخضعها للملاحظة وتارة يخضعها لنسق عقلي إلاّ أنّ الأمر في الاثنين عزل في النسق المغلق.

وتأتي نظرية النحو الوظيفي التي تنطلق من قاعدة تواصلية بغية تحطيم النسق المحدّد بحثا عن نسق تواصلي واسع لتضع الجملة بين ثنائيتي الوصف و الإنجاز، فهي تأخذ من الوصف والإنجاز، وبهذا فإنّ نظريّة النحو الوظيفي لا تجعل من الجملة صيغة بنيوية أو صيغة توليديّة، وإنّما هي صيغة متميّزة تأخذ من التوسط بين الوصف والإنجاز، فالجملة – والحال هذه – تخضع للتبدّلات الذهنية، فهي مشروع لم يكتمل، – والأمر كذلك – فما هو واقع الجملة داخل اجتهادات نظرية النحو الوظيفي؟

إنّ الجملة في نظرية النحو الوظيفي كبنية ما هي إلاّ إفراز للعلاقات الحيويّة المقاميّة، فهي صيغة جاءت ملبيّة للمقام الذي استدعاها تلفظًا أو إنجازا على طريقة

مخصوصة؛ إن بالنظر مثلا: لتقديم أو تأخير عناصرها، أو بالنظر إلى الحذف الذي يطرأ عليها، أو بالنظر إلى النبر والتنغيم الذي يمارس عليها ... فهي نسق من الوحدات لا يمكن مباشرته تحليلا إلاّ بأخذ الظروف التي أنتجتها، والعلاقة المقصديّة بين المتلفظين أثناء عملية التبليغ وذلك: "على أساس أنّها تجلّيات لخصائص وظيفية مرتبطة بالغرض التواصلي المروم إنجازه"[1]، ويمكن أن تتمظهر الجملة بفهم أوضح من خلال الفهم الذي تقدم به "المتوكل" للخطاب[2]* إذ هو: "كل إنتاج لغوي يربط فيه ربط تبعية بين بنيته الداخلية وظروفه المقامية بالمعنى الواسع[3]"، فربط التبعيّة هذا يقصد به "المتوكل" بوضوح" أنّ بنية الخطاب ليست متعالقة والظروف المقامية التي ينتج فيها فحسب، بل إنّ تحديدها لا يمكن أن يتمّ إلاّ وفقا لهذه الظروف"[4] فالجملة – والأمر كذلك – هي نوع من الأنواع التي يتحقق فيها الخطاب، ويدعم هذا قول "المتوكل": "كل إنتاج لغوي فإنّنا قصدنا إيرادها على وجه الإطلاق دون تحديد حجم الخطاب لكي تحيل على الجملة أو جزء الجملة أو على مجموعة من الجمل إذن، كل تعبير لغوي أيّ كان حجمه"[5]، وبهذا تغدو مليون كلمة تمثل خطابا، كلمة واحدة تمثل خطابا، مجموعة كلمات تمثل خطابا.

فالجملة في نظريّة النحو الوظيفي من هذا كله هي علاقة وطيدة بين الوصف والإنجاز، ولعل القاعدة التواصليّة وآلية القرض والاقتراض التي تعتمدها نظرية النحو الوظيفي هي التي أدت بهذه العلاقة إلى الازدهار، لاسيّما اقتراضها لنظريّة الأفعال

---

[1]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللّغة العربية، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 1988، ص185.

*– نملك أن ندّلل على أنّ المتوكل لم يضع تعريفا للجملة نلجأ إليه في مرحلة ما قبل المعيار/الجملة، لكن مفهومها موجود.

[3]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة – بنية الخطاب من الجملة إلى النص –، دار الأمان، المغرب، ط1، 2001، ص16.

[4]– المصدر نفسه : ص17.

[5]– المصدر نفسه: الصفحة نفسها.

الكلامية التي شكلت دورا مهما وشغلت مساحة ليست باليسيرة في توجيه هذه النّظرية، يقول "المتوكل": "أمّا في الدرس اللّساني الحديث فقد اقترضت نظريات لسانيّة ذات توجه تداولي/أو وظيفي – ثنائيّة الفعل اللّغوي المباشر/الفعل اللّغوي غير المباشر – والمقترحة في نظريّة أفعال الكلام وتبنتها في إطار ثلاثيّة تميّز بين ثلاثة مفاهيم هي: النمط الجملي، والقوة الإنجازيّة الأصليّة، والقوة الإنجازيّة المستلزمة[1]" ويقول أيضا: "من المعلوم أنّ الجوانب التداوليّة وهي أهمّ ما تّميز به التوجه الوظيفي في دراسة اللّغة، دُرست أول ما درست في إطار التيار الفلسفي المسّمى (فلسفة اللّغة العادّية)؛ حيث عولجت هذه الظواهر التي من قبيل (الإحالة) و(الأفعال اللّغوية) و(الاستلزام الحواري) ... وقد انتقلت هذه المفاهيم المرتبطة بهذه الزمرة من الظّواهر، عن طريق الاقتراض، إلى حقل الدراسات اللّغويّة إذ؛ إنّ مجموعة من النّظريات اللّغوية – التوليدية منها وغير التوليدية – وظفت هذه المفاهيم في وصفها للّغات الطبيعية[2]"، ومن خلال هذه الحركات الفكريّة التواصليّة، أي ربط الجملة بالغرض التواصلي، واقتراض المفاهيم مثل نظرية الأفعال الكلاميّة اضطر الباحث "يحي بعيطيش" إلى مباشرة ربط الجملة بالمفهمة التي وضعتها نظرية الأفعال الكلاميّة، ومحاولة أرضنة وسط حيوي لذلك، والباحث – إذ يفعل ذلك – فهو ينتقد ضبابية الرؤية عند "ديك" و"المتوكل" إذ؛ لم يقدما تصورا منهجيا واضحًا ودقيقًا يحدّد مفهمة للجملة تتواشج بمفهوم الإنجاز في نظرية الأفعال الكلامية، يقول: "إنّ المتتبع المتفحص لأدبيات نظرية النحو الوظيفي، إن في أبحاث "ديك" أو "المتوكل "– خصوصا في مراحلها الأولى – لا يجد تعريفا واضحا لمفهوم الجملة، يربطها بمفهوم الفعل اللّغوي وفق طرح "أوستين" وتلميذه "سورل" ... على الرغم من الصلة الوثيقة،

[1]– أحمد المتوكل: الخطاب وخصائص اللّغة العربية – دراسة في الوظيفة والبنية والنمط –، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، ط1، 2010، ص50.

[2]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري – ، منشورات عكاظ، المغرب، ط1، 1989، ص15.

بين مفهوم الجملة بصفة عامة ومفهوم الفعل اللّغوي عند "سورل" بصفة خاصة، فقد تأخر تناول هذه المفاهيم ما يزيد على عشر سنوات منذ بداية النّظريّة عند مؤسسها الأول "ديك" وخمس سنوات على الأقل عند مؤسسها في النحو العربي، أضف إلى ذلك أنّ "المتوكل" عندما تناولها سنة 1989 في كتابه اللّسانيات الوظيفية – مدخل نظري – اقتصر على تقديم خلاصة عامة لها، في إطار نظري عام لا يختلف عن الإطار العام الذي قدّم فيه للوظيفة في الفكر اللّغوي العربي القديم أو الفكر اللّساني الحديث ... ولم يربطها كما سبقت الإشارة بمفهوم الجملة في نظرية النحو الوظيفي، الذي ارتكز أساسا على استثمار مفهوم الفعل اللّغوي عند "أوستين" و"غرايس" وإغناء مفاهيم "سورل" بصفة خاصة وتطويرها[1]" .

وبهذا الفهم؛ فقد أضحى الفعل اللّغوي يمثل المهيمنة التي توجه المفهوم العام للجملة داخل نظرية النحو الوظيفي، فلا يمكن للجملة أن تروج فهما إلاّ به، والجملة بهذا الفعل تتحفز لتبني مشروعها منه، يقول الباحث "يحي بعيطيش": "لكن المتفحص المدقّق للمبادئ الأساسية التي تقوم عليها هذه النظريّة، خاصة مبدأ الوظيفة التبليغيّة، وبصفة أخص التحليلات التداولية القائمة على مفهوم القوة الإنجازية (force illocutoire)، يدرك بسهولة أنّه على الرغم من شيوع مصطلح الجملة في هذه النّظريّة، إلاّ أنّ مفهومها يرتبط بشكل واضح بنظرية الأفعال اللّغوية لدى فلاسفة اللّغة العادية ... والفكرة العامة لهذه النظرية هي أنّ تحليلها لجمل اللّغات الطبيعيّة يقوم على أساس أنّها أنساق لا يمكن تحديد خصائصها إلاّ بظروف إنتاجها انطلاقا من مقاصد متلفظيها أثناء عملية التبليغ، ومن ثمة تكون اللّغة وظيفة وبنية، والجملة

[1]– يحي بعيطيش: الفعل اللّغوي بين الفلسفة والنحو (عرض وأصيل لمفهوم الفعل اللّغوي لدى فلاسفة اللّغة ونظرية النحوالوظيفي)، ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللّغة): عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011، ص89.

في النهاية هي فعل لغوي[1]". لكنه لا يمكن تحقيق الأمن والاطمئنان لمشروع الجملة من خلال الصيغة الفلسفية التي تنوولت بها، وهو ما يدعونا فعلا إلى أن نفهم دقيقا النقد الذي وجهه "المتوكل" إلى فلاسفة اللّغة العادية إذ؛ نعتهم بأنّهم لم يجتهدوا في بنية الجملة – تركيبا، ووحدات، وعلاقة بين الوحدات ... – وبذلك دعا اللّسانيون أنفسهم لاستثمار الدراسة الفلسفية للّغة العادية، ومحاولة تحقيق الأرضنة لها من خلال تحقيق وسط حيوي لها يتلاءم مع المطالب اللّسانية (نظرية النحو الوظيفي مثلا)؛ يقول "المتوكل": "لم يعن فلاسفة اللّغة العادية بجوانب أخرى من تداوليات اللّغة الطبيعية كالجوانب المرتبطة بالبنية الإخباريّة للجملة عنايتهم بالإحالة والاقتضاء وأفعال اللّغة والاستلزام الحواري. هذه الجوانب المغفلة في الدرس الفلسفي هي أنواع العلاقات الإخباريّة القائمة بين مكونات الجملة[2]". وبذلك: "عولجت الجوانب التداولية للّغات الطبيعية في إطار الدرس اللّغوي الصرف حيث سعت نظريات لغوية متعدّدة إلى إدماج ما كان يتناول في فلسفة اللّغة العادية في النماذج المصوغة للتمثيل لخصائص اللّغات المروم وصفها[3]".

وبعد هذه العمليات الانصهاريّة التي تحدث للجملة تغدو الجملة رافضة للنعوت، لأنّ الأسئلة تتعدّد فيها، وكل وصف يقدّم للجملة يعدّ قتلا لها، فهي وسط حيوي اتصالي تتضافر فيه عديد الوقائع – باقتحام الإنجاز المحفوف بالعلوم –، إلاّ أنّه يمكن تقديم مقاربة عامة لها تحاول أن تجملها وبذلك فـ: "مفهوم الجملة في نظرية النحو الوظيفي، يقوم على جانبين متلازمين ومتلاحمين: جانب المقام أو التداول المتمثل في بنية الفعل اللّغوي الدلاليّة والتداولية، وهو الجانب الذي استلهمت فيه

[1]– يحي بعيطيش: الفعل اللّغوي بين الفلسفة والنحو (عرض وأصيل لمفهوم الفعل اللّغوي لدى فلاسفة اللّغة ونظرية النحوالوظيفي)، ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللّغة)، ص90.

[2]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص28.

[3]– المصدر نفسه: ص29.

مفاهيم نظريّة الأفعال اللّغوية ... وجانب المقال أو الجانب البنيوي المتمثل في البنية الصوتية الصرفيّة التركيبيّة، وهو الجانب الذي أجملته نظرية الأفعال اللّغويّة، وفصلته نظرية النحو الوظيفي، من خلال قواعد التعبير التي تشمل البنية الإعرابيّة والبنية الموقعيّة والتمثيل الصوتي الفونولوجي[1]". فالجملة – والأمر كذلك – مشهد تواصلي يستغله مستعمل اللّغات الطبيعيّة داخل العشيرة اللّغوية، فهي – في نظرية النحو الوظيفي – فعل لغوي (دلالي تداولي) يفرز تحقيقًا بنيويًا صوتيًا تركيبيًا يعكس خصائص الفعل اللّغوي.

وبما أنّ نظرية الأفعال اللّغوية تمثل البنية التحتيّة لبناء الجملة في نظرية النحو الوظيفي فإنّه – والأمر كذلك – يضطرنا البحث إلى الوقوف عندها بغية تقديم تغطية موجزة توضّح معالمها وثقلها في التحليل، فالفعل اللّغوي/العمل اللّغوي/الفعل الكلامي ؛ مصطلح استعارته نظرية النحو الوظيفي من فلاسفة مدرسة أكسفورد – ويشتهرون باسم فلاسفة اللّغة العادية – وهو– أي الفعل اللّغوي –عندهم: أن تقول شيئا يعني أن تحقّق فعلا.

وينطلق الفتح التحليلي الجديد عند فلاسفة اللّغة العادية "أوستين" من محاولة تحطيم الحركة الفكرية للمناطقة الوضعيين* إذ؛ هم "اتجاه فلسفي معاصر يعوّل أساسا على التجربة، تحقيقا للدّقة والتحليل المنطقي للغة العلماء ولغة الحديث ويعدّها المصدر الوحيد للمعرفة، وليس للعقل من عمل إلاّ مجرد تنسيق معطياتها وتنظيمها، ثم تحولت إلى دراسة تحليلية منطقيّة للّغة العلم لتحقيق وحدة مشتركة بين فروع العلوم المختلفة[2]"، فقد عدّ هذا الموقف الفلسفي تقليديا لابد من مباشرته تصحيحا

---

[1]– يحيى بعيطيش: الفعل اللّغوي بين الفلسفة والنحو (عرض وتأصيل لمفهوم الفعل اللّغوي لدى فلاسفة اللّغة ونظرية النحو الوظيفي)، ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللّغة)، عالم الكتب الحديث، ص121.

*– المناطقة الوضعيون يدرجون ضمن الاتجاه الفلسفي التحليلي.

[2]– المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربيّة، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميريّة، مصر، ط1، 1973، ص214.

ومراجعة، فهو لا يكفل التحليل الشامل للجمل وعليه لابد من مجاوزته، وبذلك: "تجلت الخطوط الأولى التي أقدم عليها "أوستين" لاستغلال اللّغة الطبيعيّة في معارضته ... الموقف الفلسفي التقليدي الذي كان يذهب إلى أنّ الجمل التي تستحق التحليل والدراسة هي الجمل الوصفيّة، أي تلك الجمل التي تخضع لمعيار الصدق والكذب، وأمّا الجمل التي لا تحتمل الصدق والكذب، فتعدّ من قبيل الجمل التي لا معنى لها وبالتالي تعتبر هامشية[1]"، فالذي كان يجعل هذا الموقف الفلسفي حاضرًا/ حيويا هو تحقيق الدلالة بإمكانيّة الصدق والكذب بالنسبة للواقع الخارجي، فتغدو الجمل التي تحوز هذه الإمكانيّة الجمل المركز/الحاضرة في التحليل، ولعل الذي روّج لهذه المغالطة الوصفية♣ هو تحديدهم لوظيفة اللّغة، فهي – أي الوظيفة – قسمان: "إحداهما هي: الوظيفة المعرفيّة التي تستخدم اللّغة فيها كأداة تشير إلى وقائع وأشياء موجودة في العالم الخارجي، ولا تزيد مهمّة اللّغة بذلك على أن تجيء تصويرا لهذه الوقائع وتلك الأشياء، أمّا الوظيفة الثانيّة للغة فهي: الوظيفة الانفعاليّة؛ ومفادها أنّ الإنسان قد يستعمل اللّغة أحيانا للتعبير عن مشاعر وانفعالات قد تضطرب بها نفسه كما هو الحال عند الشاعر مثلا[2]".

وأمام هذا المأزق – أي المغالطة الوصفية – التي وصفهم بها "أوستين" تبقى إمكانيّة الصدق والكذب بالنسبة للواقع الخارجي حاضرا يلوح في مشروعهم إذ؛ حاولوا التجذير وتأكيد الاقتناع بهذه الإمكانيّة حينما: "أصرّوا على أنّ العبارات التجريبيّة هي العبارات ذات المعنى ... وحذفوا كل ما عداها من عبارات من دائرة المعنى، مثل: عبارات الميتافيزيقا والأخلاق والجمال بحجة أنّنا لا نجد لها من وقائع العالم ما تطابقه. وبناء عليه تحدّدت مهمّة العبارة ذات المعنى في وصف وتصوير حالة من

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص137.

♣– المغالطة الوصفيّة: مصطلح نعَت به "أوستين" المناطقة الوضعيين.

[2]– صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص12.

حالات الوجود الخارجي، ثمّ يجيء الحكم على هذه العبارة بعد ذلك بالصدق أو الكذب بناء على قابليّة هذه العبارة للتحقّق، وإذا أراد الفيلسوف أن يجعل اللّغة موضوعًا لبحثه، فليس أمامه سوى البحث في هذه الوظيفة المعرفيّة مضافًا إلى ذلك البحث في العبارة اللّغوية من حيث بنيتها ومعناها[1]". فالمحلّل مهما أوتي من خبرة، لا يمكن له أن ينفك عن العبارة التجريبيّة، وحتى يبقى الفهم على حاله، أي؛ الوفاء لإمكانيّة الصدق والكذب بالنسبة للواقع الخارجي لابد أن تطرد: "من مجال العبارات ذات المعنى في نظرهم مجموعتان من العبارات: الأولى: العبارات التي لا تحمل خبرا كالأمر والاستفهام والتعجب، فالأمر لا يوصف بصدق أو بكذب لأنّه لا يصور شيئا في عالم الواقع، ولا يخبرنا بخبر عن شيء ما حتّى نقول إنّ تصوره صادق أو كاذب، أو أنّ الخبر الّذي جاءنا به صواب أو خطأ ... والثانية: هي العبارات التي يستحيل أن ترسم لنا صورة بحيث نستطيع أن نطابق بينها وبين الأصل المخبر عنه ومن أمثلتها العبارات التي تتحدث عن الخيالات والأمور التي تتجاوز الطبيعة (الميتافيزيقا)، لنرى إن كانت الصور صادقة التصوير أو غير صادقة، فأمثال هذه العبارات خالية من المعنى، ولا تصلح أن تكون قضايا من الوجهة المنطقية[2]".

غير أنّ الحال لا يستقر وفق المنظوريّة الوضعيّة المنطقيّة، وذلك بالنّظر إلى الحالة الفكرية الغربيّة، التي تحتفظ بنشاطها الفكري الاستمراري من خلال الإرادة النقدية، فالظواهر – اللّغة مثلا – هي محط تجاربهم ومشاريعهم، هذه التجارب والمشاريع تثمر – كما أسلفنا – من خلال مرونتها إذ؛ تتعدّد رؤى بغية تحقيق فهم أوضح وشامل يغطي – دائما وأبدا – القصور الذي سبقه، فكل اكتشاف لقصور سابق هو إعادة صياغة لمراجع/نماذج الفهم/الحقيقة ، فالعقل الغربي – والحال هذه – يذاكر ويراجع نفسه دائما بغية كشف المناطق الغائبة التي لم يطأها العقل البشري، وبهذا

[1]– صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللّغوي عند مدرسة أكسفورد، ص12/11.

[2]– المرجع نفسه: ص254/253.

حمل فلاسفة اللّغة العادية (فلاسفة مدرسة أوكسفورد) بزعامة "أوستين" وتلميذه "سورل" ضرورة تحقيق تحليل جديد للجملة إذ؛ نهض "أوستين" بتقديم اقتراح جديد نعته بنظريّة أفعال الكلام، صاغ فيه أو زرع فيه بذور النظريّة، إذ قدّم صياغة نظريّة تحفزها مبادئها العامة لأن تتطور وتستمر، ممّا دعا تلميذه "سورل" إلى الوفاء وتطويرها فيما بعد – كإعادة النظر في فعل القول، وإعادة تصنيف الأفعال اللّغوية... – وبهذا نتساءل ضرورة؛ كيف بعثر "أوستين" الفهم المنطقي الوضعي؟ وكيف تبلور مفهوم الفعل الكلامي عند هذه المدرسة؟

حاول "جون لانكشو أوستين" إقحام المسكوت عنه/الغائب عند الوضعيين المنطقيين فهو بذلك يروم الاعتناء بالمهمّش ومحاولة تقديم دور مركزي له، فانتبه للجمل التي لا تصف واقعا خارجيًّا ولا تحتمل الصدق والكذب، فهذا النوع من الجمل يدافع عن مركزيته من خلال أنّه بمجرّد نطقه يحدث عملا؛ ومثال ذلك: "اذهب، أحذرك من البقاء"، فبمجرد النطق بهذه الجملة ينجر عن ذلك فعلٌ يتمثّل في الأمر والتحذير، وبهذا تدخل الجمل التي من قبيل هذا النوع مركز التحليل والدراسة والنظر.

ونتخطى مباشرة ملابسات المرحلة الأوستينيّة الأولى والثانية تفاديا للإطالة، فكون المرحلة الأولى والثانية مرحلتين صححتا وروجعتا من قبل "أوستين" وأفرزتا مرحلة ثالثة تمثّل النضج الفكري الذي أراد إبرازه، والذي ورد في فصله الأخير، ومن ثمة فلا بأس أن لا نقدّم تغطية لذلك التمايز بين العبارات الوصفية والأدائية، وننتقل مباشرة إلى المرحلة النهائيّة لأوستين التي انتقلت جراء أبحاثه من عمليات التّمييز بين الوصف والإنجاز إلى مرحلة الضمّ الواحد وهو الفعل.

وينطلق المنعطف الثالث للفكر الأوستيني، من خلال تنبّهه بضرورة توجيه الفكر إلى الضمّ بدل التمييز، فالبحث في إجراءات الضمّ بين الأداء والوصف بات أجدى للنظرية من إرهاق الفكر في البحث في إجراءات التمييز بين الوصف والأداء وبذلك

يقول: "ونحن نريد أن نعيد النظر بوجه عام في المعاني والمسائل التي أوردناها وهي: إنّ قول شيء ما على وجه مخصوص هو أداؤه وإنجازه، وبعبارة أخرى: إنّ التكلم بكلام ما على وجه دون وجه هو أن نفعل شيئا ما[1]"، ويدعم القول التالي القول الأول ويحسم واضحا بإلغاء ثنائية (وصف/أداء): "يجب أن نتابع سيرنا ونتقدم إلى الأمام ونتساءل: كيف أصبح تمييزنا (الإنشاء – الخبر) على ضوء نظرتنا الأخيرة يعني نظرية الفعل الكلامي وكيف ظهر معها؟ ... ثم تبيّن أنّ مذهب تمييز (الإنشاء – الخبر) ومذهب فعل الكلام وقوة فعل الكلام كليهما ... يدخلان معا تحت المقولة الكليّة التي هي بمثابة جنس وهي فعل الكلام في صورته العامة، تماما كما تدخل النظرية الخاصة تحت النظرية العامة[2]"، و"أوستين" إذ؛ يفعل ذلك لا ينتهي بحسمه هذا، بل يقّدم النتائج التي من شأنها أن تثمّنَ إجراءاته وتكسبها حيويتها، وهو بهذا – إن شئنا أن نتأول – ستصبح إجراءاته هذه بذورا في التأسيس لمنهجيّة بحث جديد تتعاظم إذا ما لقيت العناية المستمرة، وبهذا يضع "أوستين" تصرفًا يعبّر عن تصرفه في قوله السابق يقول:"

1- إنّ مقولة فعل الكلام كجنس كلي منظورا إليها من موقف أو مقام كلامي كلي هي فقط الظاهرة الوحيدة التي نسعى جهدنا لتوضيحها في نهاية الأمر.

2- إنّ حال الإثبات وحال الوصف وغيرها إنّما هي مجرد أسماء من بين عدد كبير من الأسماء الأخرى التي تشير إلى قوة فعل الكلام، وإذن فحال الإثبات والوصف لا يكادان يتمتعان بميزة خاصة...[3]" ، فكل إثبات عن "أوستين" لابد أن يخضع لإرادة الفعل، فالإثبات ما هو "إلاّ عبارات إنجازيّة فعلها الإنجازي غير ظاهر سطحا. فالجملتان (8أ- ب):

---

[1]- أستين: نظريّة أفعال الكلام: (كيف ننجز الأشياء للكلام)، ص121.

[2]- المصدر نفسه: ص183.

[3]- المصدر نفسه: ص184.

أ- السماء صافية.

ب- انتصر الجنود في المعركة. حسب هذا التحليل، مشتقتان من الجملتين (14أ - ب) عن طريق "حذف" الفعل الرئيسي: (14) أ- أقول إنّ السماء صافية اليوم.ب - أقول إنّ الجنود انتصروا في المعركة. يؤدي اختزال الصنفين من العبارات بهذه الطريقة، إذن، إلى اعتبار جميع العبارات اللّغوية عبارات إنجازية مع الفرق في أنّ ثمة عبارات إنجازية "صريحة" (ظاهر فعلها الإنجازي) وعبارات إنجازية "ضمنية" (فعلها الإنجازي غير ظاهر سطحا)[1]".

وبالإيمان الصارم بهذه الاعتقادات/الفروض/يكلّل أوستين عمله بمجموعة نتائج، يقول: "ميّزنا أولا مجموعة من الحالات ممّا نفعله في حال قولنا شيئا ما، فيكون لنا بذلك حكم ينص على أنّه بواسطة القول ننجز فعل الكلام (locutionary acts) وهو إصلاح مختصر يكافئ التلفظ بعبارة ما يكون لها معنى ومرجع، وهذان العنصران يكافئان تقريبا الدلالة في معناها القديم، وقلنا ثانيا، وبالإضافة إلى ذلك، إنّنا ننجز قوى أفعال كلامية (illocutionary acts) كالإخبار وإصدار الأمر والتحذير ومباشرة الأمور وغير ذلك ... ثم ذكرنا ثالثا أنّه يجوز أن ننجز لازم أفعال الكلام (perlocutionary acts)، ويدلّ هذا على أنّ ما يحدثه الفاعل طبقا لقوله شيئا ما يكون القيام به تاما؛ ووقع الفراغ منه كالحمل على الاعتقاد، والوصول إلى الإقناع والترك، وحتى الوقوع في المباغة والتضليل[2]"، ومن خلال قول "أوستين" الأخير نلحظ أنّ قولًا وإنجازًا وتأثيرًا قد انوجدوا تحت رغبة الفعل، فكل قول هو فعل قول، وكل إنجازٍ هو فعل إنجاز وكل تأثير هو فعل تأثير، ويتعاظم التداخل بين فعل

[1]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص20.

[2]- أستين: نظريّة أفعال الكلام، (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ص141.

القول وفعل الإنجاز في حيوية يمثلها الشكل التالي: (حيوية الصعود والنزول بالفهم البعيطيشي)[1]".

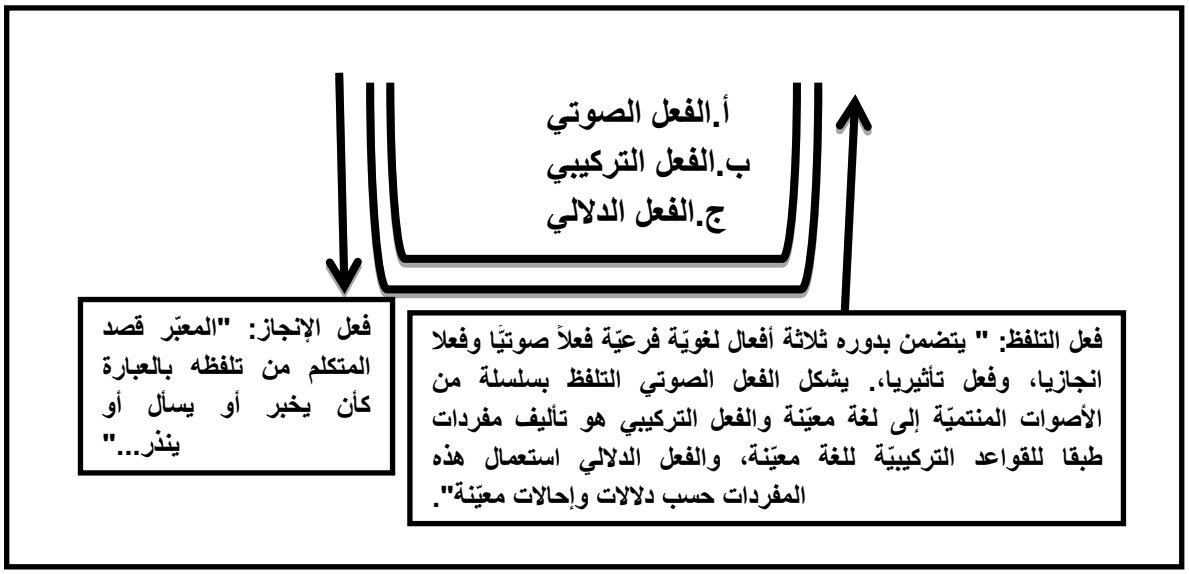

ينجرّ بتناغم التداخل بين فعل التلفظ وفعل الإنجاز فعل ثالث هو؛ فعل التأثير الذي يتمثّل في آثار الفعلين السابقين على المتلقي كأن يفرح ... مثلا؛ ويعرّفه "أوستين" بدّقة: "وهذا يعني أنّه لا يزال هناك نوع آخر هو (ج)، ونقصد أنّه لكي ننجز فعل الكلام، وبالتالي قوة فعل الكلام، لابدّ أيضا من أن ننجز نوعا آخر من الأفعال، فأن نقول شيئا ما قد يترتب عليه أحيانًا، أو في العادة، حدوث بعض الآثار على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته، كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على إحساسات المخاطب وأفكاره وتصرفاته، كما يستلزم ذلك لوازم ونتائج قريبة تؤثر على المتكلم وغيره من الأشخاص الآخرين، وقد يقع أن نتعمدّ إحداث هذه الآثار والنتائج واللّوازم عن قصد ونيّة أو لغرض ما، ومن ثم يجوز أن نتحدّث ونحن نأخذ في اعتبارنا اجتماع كل تلك الأمور[2]".

[1]– ينظر: يحيى بعيطيش، الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ضمن كتاب: التداوليات (علم استعمال اللغة)، ص99.

[2]– أستين: نظريّة أفعال الكلام العامة – كيف ننجز الأشياء بالكلام– ، ص131.

ويذهب المثال التالي موضحًا الأطروحة الأوستنيّة: "أحذرك من قراء الشعر الماجن" فإصدار الفعل القولي ينطلق من بعث الفعل الصوتي المتمثل في تتالي أصوات العبارة التي نملك تقطيعها إلى مفردات ونحن إذ؛ نفعل ذلك نتعرّف على معانيها المعجمية فنعرف "قراءة" و"الشعر" ... وفي الآن ذات إحالتها إذ؛ نملك التعرف على الكلمات، الشعر الماجن ... كمصطلحات داخل حظيرة الأدب، وعلى موقف علماء الدّين في العرف الإسلامي إزاء المجون ... والأفعال هذه إذ؛ نتعرف عليها لا يخفى علينا العلاقات التي تنظم هذه المفردات في تركيب، فنتعرف على الفعل والفاعليّة والمفعوليّة ... ونحن إذ؛ نقيم فعلاً قوليًّا فإنّنا في الآن ذاته نشيّد فعلا إنجازيًّا يتفجرّ تحذيرًا ... ويستمر تأثيرا على المخاطب فينرعب ...

ويتقدم أوستين بتصنيف للأفعال اللّغوية تتمثل في: الفعل الدّال على الحكم والفعل الدّال على الممارسة، والفعل الدّال على التّعهد، والفعل الدّال على مواقف المتخاطبين تجاه السلوكات، والفعل الدّال على العرض، فهذه الأفعال تصطّف على التوالي: حكميات: برّأ، قيّم، مراسيات: أعلن، ... وعديات: التزم... سلوكيات: اعتذر،... عرضيات: استنتج[1]،...

ويشترك الحدث الأوستنيّ مع الحدث السوسيري في أنّ فكرهما كان عبارة عن محاضرات، لم يقبل عليها أصحابها نشرًا وإنّما لملمها أتباعهم وباشروها نشرًا، فلم تتعرّض لمراجعات أصحابها وبالتالي ليس غريبا أن يكتنفها الغموض واللبس[2].

فالحدث الأوستيني- والأمر كذلك - مدعاة للتأمل والاجتهاد والإكمالات ... فواقعة الوفاة التي حرمت أوستن من مراجعة أعماله ونشرها، حملت (سورل وغرايس) على الوفاء لهذه المنهجيّة وإثمارها لاحقا بالإضافات والتصحيحات والنتائج. فأعاد سورل

[1]- يحيى بعيطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص100.

[2]- ينظر: رامان سيلدن: موسوعة كمبريدج للنقد الأدبي8، من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية، تر: مج من الباحثين، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2006، ص518.

تأثيث البيت الأوستني بإقحام الفعل القضوي بين الأفعال الأوستنيّة إذ؛ يغدو الحال – والأمر كذلك – أربعة أفعال:

– **فعل التلفظ:** ويحتفظ بالفعل الصوتي والتركيبي بالفهم الأوستيني. أمّا الفعل القضوي فـ" يعدل الفعل الدلالي عند "أوستن" ذلك أنّ ما كان يعرف بالفعل الدلالي، وكان يتضمن عنصري المعنى والإحالة، وهو جزء من فعل القول أصبح عند "سورل" يشكل فعلا مستقلا يسمى "الفعل القضوي" ويشمل فعلين: (أ) فعل الإحالة (ب) **فعل الحمل:** أمّا الإحالة فأن أحيل بواسطة العبارة اللّغوية على شخص موجود في العالم الخارجي، والحمل أن أحمل على ذلك الشخص الذي أحلت عليه فعل شيء ما، أي أن أنسب إليه فعل ذلك الشيء، مثال ذلك(45) زيد لغوي، فقد أحلت بزيد على شخص معين، وحملت عليه فعل شيء ما وهو الاشتغال باللّغة[1]" .

و"سورل" إذ؛ يفعل ذلك نلحظ أنّ الحمل والإحالة يشكلان القضيّة التي يحتويها الفعل الإنجازي فيقول: "إذا توفر في فعلان إنجازيان الإحالة نفسها والإسناد نفسه، وإذا كان المدلول الإحالي في كلا الفعلين واحد نقول أنّها تملك القضيّة نفسها[2]. فأخذ القضية بهذا الشكل يرادف القول: "تأويل لما يقوله القول، تتحدّد في هذا التأويل هوية الأشياء والأفراد المذكورين، وتتعيّن الخصائص التي نسندها إليهم[3]". ويرادف كذلك القول المنطقي: "يتضمّن موضوعًا وهو بمثابة الشيء المحكوم عليه، وتتضمّن محمولاً وهو بمثابة إدراك شيء محكوم به، كما يتضمّن ثالثًا وأخيرًا رابطة وهي بمثابة إدراك نسبة بين الطرفين المحكوم به والمحكوم عليه[4]".

---

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص151.

[2]– John .r Searle: les actes de langage, p67.

[3]– جاك موشلار وآن روبول: التداوليّة اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، ط1، 2003، ص96.

[4]– محمد أبو ريان وعلي عبد المعطي: أسس المنطق الصوري ومشكلاته، دار النهضة العربيّة، لبنان، ط1، 1976، ص169،170.

ويتحقّق الوفاق بين القول السيرلي والقولين المنطقيّين من خلال حمل الأشياء على بعضها وإحالتها، ويتحقّق الخلاف من خلال شحن القضيّة بالفعل الإنجازي، فالقضيّة بالفهم السيرلي هي الخضوع لإرادة الفعل الإنجازي وهي فعل في ذاته، خلافًا للقضيّة التي هي ناتج فعل امتصّت منه القوة الإنجازيّة.

فالأوامر الإنجازيّة ترافق القضيّة كيف ما كان نوعها، وبهذه المرافقة نفهم واضحًا السّر لإضافةّ "سيرل" الفعل القضوي إذ؛ السّر "هو تمهيده لصياغة تصوره لبنية العمل في القول على أساس أنموذج ق (ض) حيث يكون لكل محتوى قضوي (ض) قوة إنشائيّة تتسلط عليه وتكون كل قوة إنشائيّة (ق) قادرة على تحديد دلالة الجملة برمّتها مهما اختلفت المضامين القضويّة[1]". وبهذا نملك أو "أنّنا نستطيع أن نعزل جزء الفعل الكلامي الذي يشكل نمطه التمريري أو قوّته التمريريّة (الإنجازيّة) عن الجزء الذي يشكل محتواه الخبري (القضوي)[2]". وبهذا نفهم العلّة الثاوية وراء إقحام الفعل القضوي داخل البيت الأوستيني ونفهم كذلك؛ أنّ إدراج سيرل للقضيّة تحكمه التشكيلة الذهنيّة له إذ؛ ينطلق من منظور فلسفي هذا المنظور يروم دائما استتباع الإرث الفلسفي اليوناني القديم الذي شيّدت على أنقاضه الإرادة الفلسفيّة الحديثة.

أمّا بالنسبة للفعلين الإنجازي والتأثيري "فلا يختلفان في مقترح "سورل" عنهما في مقترح "أوستين" كبير اختلاف[3]". إذ؛ الأول يعبّر عن قصد المتكلم تجاه المخاطب، والثاني يعبّر عن الأثر الذي يلحق بالمخاطب جرّاء ممارسة فعل لغوي عليه، ونصدّق هذا بالتصريح الحرفي السيرلي، فإذا أردنا فعلا تأثيريًا يقول: "نحتاج أن نميّز الأفعال التمريريّة التي هي الغاية الخاصة في تحليلنا، عن الآثار والنتائج التي يمكن أن تسفر عنها الأفعال التمريريّة في المستمعين، فمثلاً: من خلال أمرك بأن

[1]– دائرة الأعمال اللغويّة (مراجعات ومقترحات)، ص26.

[2]– جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ص204.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص21.

تفعل شيئًا أو دفعك إلى أن تقوم به، ومن خلال المجادلة معك قد أتمكن من حثّك، وحين أصدر حكمًا قد أقنعك، ومن خلال رواية قصة قد أذهلك. في هذه الأمثلة يتعرض الأول من كل زوج من الأفعال لذكر فعل تمريري أو أفعال تمريريّة، وتذكر العبارة الفعليّة الثانيّة أثر ذلك الفعل التمريري على المستمع، كالحثّ أو الإقناع أو توقع أن يقوم شخص ما بشيء ما[1]". وإذا أردنا فعلا إنجازيا يقول: "حينما أنفث واحدة من تلك النفثات السمعيّة في موقف كلامي اعتيادي، فيمكن القول إنّني أؤدي فعلا كلاميّا، وتقع الأفعال الكلاميّة في عدّة أنواع؛ فبواسطة هذه النفثات السمعيّة أصدر حكمًا، أو أسأل سؤالا أو أصدر أمرا، أو أطلب طلبا، أو أفسر مشكلة علميّة، أو أتنبأ بحدث في المستقبل[2]". ولا بأس أن ننتبه إلى التركيز السيرلي على الفعل القضوي والإنجازي إذ؛ الجملة تغدو جملة بتضافر الفعلين، وفي الآن ذاته، انتبه "سيرل" كثيرا إلى تعدّد القوى الإنجازيّة داخل الجملة الواحدة[3]. إذ؛ الجملة "أتسيء لأبيك" تفيد الاستفام والإنكار. فالجملة السالفة الذكر؛ تتكون من "أ" + "تسيء" + لـ + "أبيـ" + "ك" وبضمّ العناصر تشكل مضمونًا قضويًا يتلاحم مع القوة الإنجازيّة المؤشر لها حرفيًا بأداة استفهام "أ" و "النّبر" فتكون الجملة – والحال هذه – تفيد معنى صريحًا "الاقتضاء" ينضاف إليه معنى عرفيٌّ يتمثل في:

– الاقتضاء: إحالة الضمير المستتر على الابن وإحالة "أبي" على شخص يمثل الأبوة إذ؛ لا يمكن أن يسيء الابن للأب.

– والاستلزام المنطقي: وهو الابن يسيء لأبيه وليس بإمكان الخال أو العم أن يحلّ محلّ الابن في هذه الضرورة التي تضبطها القرائن فلا يمكن أن نتذهن أي عمليّة استبداليّة تأليفيّة، ونحن إذ؛ نتأول الجملة، تقتحمنا قوة سياقيّة خاصة تعلن معنى

[1]– جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، ص203.

[2]– المرجع نفسه، ص203.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص23/21.

سياقي خاص، تجعلنا نتعاطف معه بشدّة، وهو إنكار المتكلم الإساءة، وبهذا الفعل الإنكاري الشديد، يتواطؤ الجميع على إقرار الدلالة المستلزمة مقاميّا دلالة أصلاً بدل الدلالة الحرفيّة (الاستفهام) فتكتسب أصليتها دون خرق قواعد التعاون الغرايسيّة، ويتمظهر هذا المثال على الشكل التالي[1]:

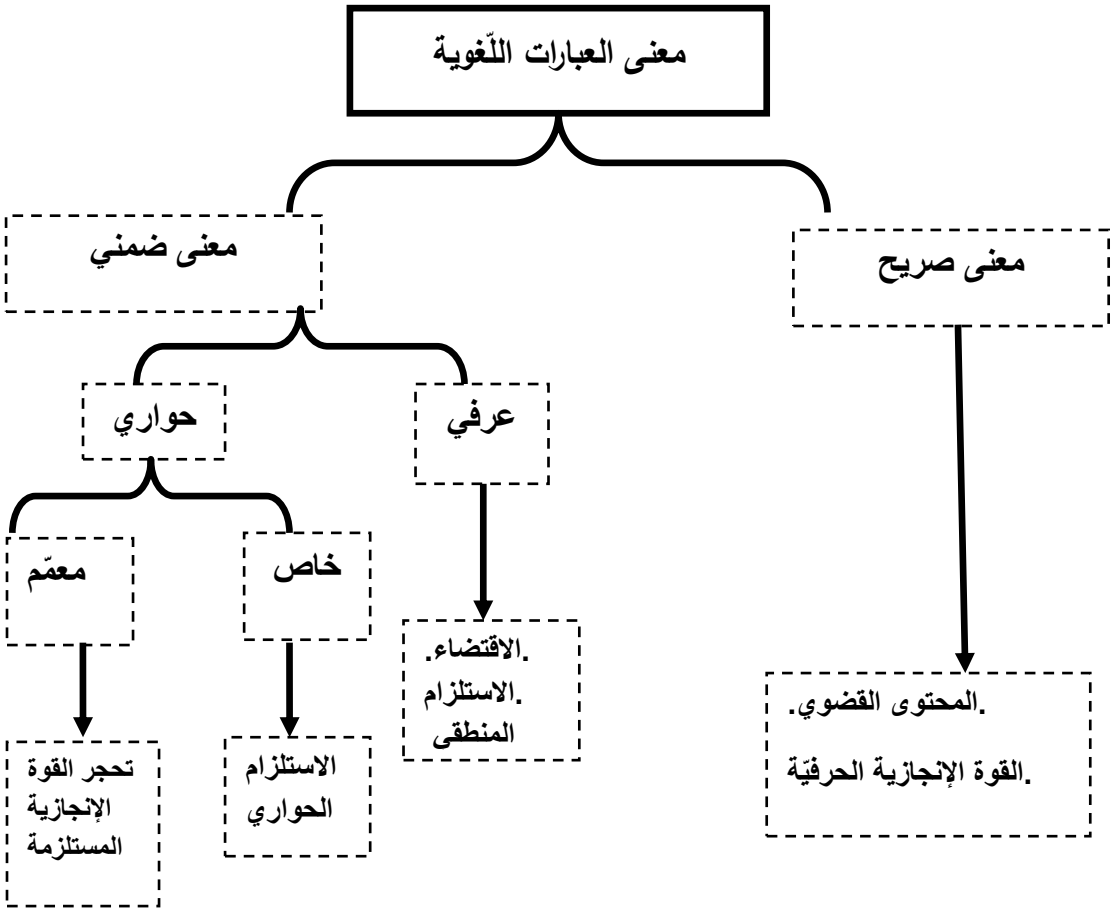

يعدّ المثال السابق المأزق الذي وقعت فيه نظريّة الأفعال اللغويّة إذ؛ تطلّبت اجتهادات وإكمالات أخرى، جسدها الاجتهاد الغرايسي المتمثل في الخطاطة أعلاه، فهي نتيجة حاولت التصدّي للذي: "أصبح يميّز في إطار نظريّة "الأفعال اللغويّة" بين القوّة الإنجازيّة الحرفيّة، والقوّة الإنجازيّة المستلزمة، أمّا الأولى فهي القوّة الإنجازيّة المدركة مقاليّا والتي يدل عليها بصيغة الفعل كما هو الشأن بالنسبة للأمر،

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص165.

أو بالأداة كما هو الحال بالنسبة للنهي، أو بالتنغيم، أو بفعل إنجازي مثل: سأل، التمس، وعدّ، راهن ... ويراد بالقوّة الإنجازيّة المستلزمة القوّة الإنجازيّة المدركة مقاميًا، والتي تستلزمها الجملة في طبقات معينة، ولا قرائن بنيويّة تدل عليها في صورة الجملة ... مفاد هذا أنّنا بصدد مستويات دلاليّة ثلاثة: المحتوى القضوي: ويراد به مجموع معاني المفردات، القوّة الإنجازيّة الحرفيّة: النهي والأمر، القوة الإنجازيّة المستلزمة: الدعاء[1]".

فالجملة قبل الاشتقاق أي؛ بقضويتها وقوّتها الإنجازيّة الحرفيّة تكون تؤدي مساهمة دلاليّة مباشرة، أمّا بعد الاشتقاق أو التوالد الدلالي المتمثل في القوة الإنجازيّة المستلزمة تكون تؤدي مساهمة دلاليّة غير مباشرة و "قد اصطلح "جرايس" 1975 على تسمية هذه الظاهرة بظاهرة الاستلزام الحواري[2]". وبذلك فقد تقدّم لهذه الفرضيّة المنهجيّة الجديدة باجتهادي: اجتهادين "غرايسي" واجتهاد "سورلي".

كانت نتيجة الاجتهاد الغرايسي الخطاطة السابقة، ولقد ضربنا مثالاً يوضحها، وإن كان هذا المثال لم يوضّح بحسم كافٍ الإجراءات التي اعتمدها "غرايس" حتى وصل إلى هذه النتيجة، أضف إلى ذلك، أنّه لم يوضّح خرق قواعد التعاون ذلك لأنّه ارتبط بالجمل: "الناتجة عن ظاهرة تحجّر القوة الإنجازيّة المستلزمة أو "تعميمها" حسب مصطلح "جرايس[3]".

وبذلك "يصبح من غير الوارد اللجوء إلى مبدأ خرق قواعد الحوار لرصد الدلالة المستلزمة بل الوارد أن تنقل هذه الدلالة... إلى حيّز الدلالات العرفيّة[4]".

---

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص160.

[2] – المرجع نفسه، ص 160/159.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص26.

[4]– المصدر نفسه: ص26.

فجاء مبدأ التعاون الذي يتفرّع قواعد محاولة غرايسيّة لتقديم فهم مقنّن للاستلزام الحواري، يروم هذا المبدأ تغطية التناسق بين الحمولة الحواريّة وبين أغراضها، ويقدّمه المتوكل: "اجعل تدخلك مطابقا لما يقتضيه الغرض من الحوار الذي تساهم فيه، في المرحلة التي تتدخل فيها[1]". ويتمّ مبدأ التعاون بتضافر القواعد التالية[2]: فأن ينوجد هذا المبدأ كمًّا، أن يُلتزم بجعل التدخل يحمل من الإفادة ما يتطلبه الغرض من الحوار، وأن ينوجد كيفًا،بأن يحرص على جعل التدخل صادقًا، فلا يقال ما يعتقد أنّه كاذب ولا يقال ما لا يستطاع البرهنة عليه، وأن يتمتّع مبدأ التعاون بالورود؛ بأن يجعل التدخل واردًا، وأن يروم قاعدة الكيفيّة فيظل التدخل وفيّا للوضوح والإيجاز ويظل نابذًا للغموض والالتباس. نحاول أن نقدم مثالاً يخرق قاعدة الورود لتفجير الفعل استلزامًا حواريًّا: (يسألني الأستاذ: هل أكملت رسالة تخرجك؟، فأجيبه أنا مريض. ممّا يستلزم حواريًا، الطالب لن يتخرج هذه السنة، باعتبار الجملة الأخيرة جوابًا لسؤال الأستاذ. ويلتزم هذا المثال الأخير كثيرًا باحترام الشروط التاليّة:

."لا بدّ من احترام مبدأ التعاون بين المتخاطبين.

. لا بدّ من افتراض أنّ الشخص المخاطب يدرك المعنى المستلزم.

.لا بدّ من أن يكون المخاطَب قادرًا على الاستنتاج والإدراك. انطلاقًا من الافتراض القائم على قاعدة الورود.

.لا بدّ من مراعاة السياق اللغوي وغير اللغوي للخطاب.

.لا بدّ من مراعاة الخلفيّة المعرفيّة بين المتخاطبين.

لا بدّ أن يراعي المُتكلم المعنى العرفي ويعرف العبارات الإحاليّة[3]".

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص23.

[2]– المصدر نفسه: ص23.

[3]– يحيى بعيطيش: الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو، ص09.

وبالتناوب مع "غرايس" يتقدّم "سورل" أيضًا إلى مباشرة إمكانيّة المباشر وغير المباشر في الحديث، فينطلق من الإمكانيّة الغرايسيّة، إلاّ أنّه يباشر الحادثة اللغويّة المباشرة وغير المباشرة بصيغة أشدّ تطورًا، إذ لا يمكن أن نقع أسرى لخرق قواعد التعاون، فهذه المنظوريّة نملك أن نحلّ منظروريّة أخرى محلّها. وانطلاقًا من الفهم الغرايسي وتعظيمًا للمعرفة المتقاسمة بين المتكلم والمخاطب ودفعًا بالطاقة الاستنتاجيّة يمكن أن ينوجد فهمٌ استنتاجيٌّ يحلّ مشاكل الخرق، فالفهم الاستنتاجي يتنسّم من المباشر وغير المباشر، ولكن بالاتجاه نحو اللا مباشرة تتفجرّ القوّة الاستنتاجيّة أكثر، ولذلك لا بدّ من دعم التحليل بإمكانيّة الاستنتاج، فلولا اللا مباشرة في الكلام ما حقّق الاستنتاج حيويته، وبالطاقة الاستنتاجيّة التي تحرصّ المعرفة المتقاسمة بين المتكلم والمخاطب على إنجاحها، ونصوغ المثال التالي انطلاقًا من المثال النموذجي الذي تقدّم به "سورل" ولتكن الجملة (2) التي تعدّ جوابًا للجملة (1).

(1) فلنسافر هذا الأسبوع (2) شركتي تعاني سيولة ماليّة

1. اقترحت على (أ) أن يسافر معي هذا الأسبوع، فأجابني بأنّ شركته تعاني سيولة ماليّة،
2. أهب أن (أ) كان ردّه واردًا (مبدأ التعاون) فهو لا يخرج عن موضوع المحاوورة،
3. لكن الردّ الوارد أن تكون الإجابة قبولاً أو رفضًا أو اقتراحًا مضادًا...،
4. لكن ردّ (أ) لا يتوازى مع هذه الردّود فهو ليس ردًّا واردًا (استنتاج من (1) و (4)،
5. (أ) يقصد قصدًا غير قصده الحرفي (استنتاج من (2) و (4)،
6. نعلم جميعًا؛ أنّ الظرف، أي السيولة الماليّة للشركة تربط الشخص بأن يسهر على علاج المشاكل وتدبّر الأمر، وأن لا يغادر الشركة وأنّ الوقت يطول لعلاج المشكلة...

7. لا يمكن لـ (أ) أن يسافر معي،

8. إنجاز فعل السفر أن أقبل الاقتراح (الأفعال الكلاميّة)

9. أستنتج من (1) و (6) أنّه لا مجال لسفره معي، فاقتراحي مرفوض،

10. الغرض الحقيقي الإنجازي (أ) هو رفض السفر (استنتج من (7) و (9).

هذه إذًا أهمّ النقاط التي تحاول تقديم تغطيّة موجزة لنظريّة الأفعال الكلاميّة التي تمثل المركزيّة التحتيّة للجملة في نظريّة النحو الوظيفي.

رابعًا: الجهاز الواصف

يأخذ المبدأ القاضي بأسبقيّة الجوانب الدلاليّة والتداوليّة على الجوانب التركيبيّة مركزيّة في التأسيس للجملة داخل نظريّة النحو الوظيفي إذ؛ الجوانب الدلاليّة والتداوليّة نجدها متجذرة داخل البنية الحمليّة والوظيفية التي تتأسّس البنية المكونيّة عليهما.

فما إن تستقرّ الجملة بنية حمليّة من خلال مراعاة إجراءات قواعد الأساس، حتى تنضج بنية وظيفيّة من خلال إجراءات إسناد الوظائف التركيبيّة والتداوليّة، وبهذا تغدو الجملة تتمتّع بعلاقات، أي علاقات تحمل معلومات دلاليّة وتداوليّة وتركيبيّة، وتتحفّز هذه العلاقات إلى أن تتحقّق وجودًا ظاهراً؛ أي بنية مكونيّة، عن طريق قواعد التعبير التي تحمل على عاتقها تقديم النضج المكوني للجملة لتحال هذه البنية أخيراً على القواعد الصوتيّة.

وتعدّ إجراءات الأساس وإجراءات الوظائف وإجراءات التعبير إمكانات خصبة تتدرج بالجملة للنضج إذ؛ تمثل مراحل الانتقال التدرجي للجملة الناضجة، فـ "الأساس هو عبارة عن خزان للمفردات يمدّ باقي قواعد النحو بمصدر الاشتقاق، وهو مدخل معجمي(أصل أو مشتق) ممثل له في شكل إطار محمولي، يرصد توزيع محلات محمول المفردة الأساس، وخصائصها الدلاليّة، وينقل هذا الإطار المحمولي إلى بنية حمليّة تامة التحديد، بإجراءات التوسيع – إذا تطلب الأمر ذلك – بإضافة الحدود اللواحق، ومخصّصات السّمات الجهية والزمنيّة للمحمول.

هذه البنية، تتّخذ دخلاً لقواعد إسناد الوظائف، فتحدّد الوظائف التركيبيّة (الفاعل والمفعول)، ثم الوظائف التداوليّة (المحور والبؤرة...) فتنتج بالتالي البنية الوظيفيّة، وفيها تتوافر المعلومات الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة التي تستلزمها قواعد النسق الثالث؛ أي قواعد التعبير التي تحقّق من خلالها البنية المكونيّة، حيث تتحقّق فيها عناصر البنية التي تشتمل على القواعد الصرفيّة، وقواعد إسناد الحالات الإعرابيّة وقواعد إدماج المعلقات من جهة، وقواعد تحديد رتبة مكونات الجملة، أي قواعد

الموقعة من جهة أخرى، فيكون ناتج ذلك بنية تتوفر فيها المعلومات اللازمة التي تتّخذ دخلا للقواعد الصوتيّة التي يتمّ بواسطتها التأويل الصوتي المناسب"[1].

تمثل قواعد الأساس المحيط الحيوي الذي يثمر البنية الحمليّة، وذلك من خلال المعجم وقواعد تكوين المحمولات والحدود، فالمعجم يتصدّى بتقديم المادة الأصليّة، فيفرز الأطر الحمليّة والحدود الأصول في حين تضطلع بالمهمّة الثانية، أي تقديم المادة المشتقة؛ المتمثلة في الأطر الحمليّة والحدود غير الأصول قواعد التكوين[2]، فتغدو البنية الحمليّة – والحال هذه – تتكوّن من محمول وعدد من الحدود تتضافر علاقات، ولا يمكن للعلاقات أن تنضج تضافراً إلاّ إذا استنجدت بالمعطيات التالية:

1- المحمول كواقعة.

2- المقولة التي يحملها المحمول(فعل، اسم، صفة، ظرف).

3- المحلات الحدّية المرموز إليها بالمتغيرات (س¹، س²،..... سن).

4- ضوابط الانتقاء الصادرة عن المحمول والتي تلبيها محلات الحدود المتمثلة في الوظائف الدلالية (المنفذ، المتقبل، المستقبل ، المكان، الزمان، الحائل، المتموضع، القوّة، العلّة،...)[3]

وبهذا الفعل؛ يتكوّن "الإطار الحملي – كما يمثّل له في النحو الوظيفي – بنية تصورن "واقعة" ("عملا" أو"حدثا" أو"وضعا" أو"حالة") يسهم في إحداثها عدد معين من المشاركين"[4]. ولعل هذه التغطية النّظريّة تستدعي تغطية تطبيقية تصدّقها، ولنمثّل لذلك بالإطار الحملي للفعل قرأ. قرأ ف(س¹: إنسان(س¹)) منف (س²:

---

[1]- يحيى بعيطيش: "الفعل اللغوي بين الفلسفة والنحو – عرض وتأصيل مفهوم الفعل اللغوي لدى فلاسفة اللغة ونظرية النحو الوظيفي – " ضمن كتاب: التداوليات علم استعمال اللغة، ص123.

[2]- أحمد المتوكل: البنية و الوظيفية – مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية – ، ص12.

[3]- يحيى بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص139.

[4]- أحمد المتوكل: البنية و الوظيفية، ص12.

مقروء(س²))متق. فالفعل "قرأ" محمول فعلي يكوِّن علاقة مع موضوعين اثنين، موضوع منفذ وموضوع متقبل، يلبيان قيدي الانتقاء الصادرين عن المحمول والمتمثلان في "إنسان" و" مقروء"، وهذا المثال، يندرج ضمن الإطار الحملي الأصلي، ذلك أنّ؛ الفعل "قرأ" يمثل الصيغة الصرفية "فعل".

ولقد تنبّه "المتوكل" في دراساته للعربيّة أنّه "تعدّ مفردات أصولاً، في اللّغة العربية، المفردات الفعلية المصوغة على هذه الأوزان الأربعة "فعَل" و "فعِل" و"فعُل" و"فَعْلَل" باعتبار المفردات المصوغة على هذه الأوزان تشكّل أبسط مفردات اللّغة العربية معنى ومبنى"[1]. ومن خلال هذا، تعدّ هذه الصيّغ المادة الأصلية/الأمّ، والتي تقبل التوالد والتناسل إذا ما تم تحريضها بقواعد التكوين، فيعلق "المتوكل" على هذا الصنف من المحمولات "وتعتبر هذه المحمولات الأصلية مصادر اشتقاق بالنسبة للمحمولات الأخرى، سواء المحمولات الفعلية أم غيرها، ويمكن أن نميّز داخل الاشتقاق بين نوعين اثنين: "الاشتقاق المباشر" و"الاشتقاق غير المباشر". فالمحمولات المصوغة على وزن "أفْعَل" ... ووزن "فاعل"... و وزن "افتعل" مشتقة بطريقة مباشرة من المحمولات الأصلية الآنفة الذكر، أمّا المحمولات المصوغة على وزن "تفاعل" و"تفعّل" فهي مشتقة بطريقة مباشرة من المحمولات المصوغة على وزن "فاعَل" ووزن "فعَّل" وبطريقة غير مباشرة من المحمولات المصوغة على وزن "فَعَل" و"فَعِل"...."[2]. وبذلك يمكن أن يتحول الإطار الحملي الأصل للفعل "قرأ" والذي لفظه المعجم إلى : أقرأ ف(س°) منف(س¹: إنسان(س¹)) (س²: مقروء(س²)) متق.

وتمّ ذلك بتحريض من قواعد تكوين المحمولات وبالضبط من خلال قاعدة التعديّة التي صاغها "المتوكل" على الشكل التالي[3]:

---

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية– مدخل نظري – ص129.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص13.

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص14.

دخل: Ω {فعَل، فعِل}ف (س[1])....(س ن)

خرج : Ω { أفعَل، فعَّل}ف (س°) منف(س[1])...(س ن)

فقواعد التكوين[1]، – والحال هذه – لا يمكن لها مقاربة الصّحة إلاّ من خلال ربطها بين الأصول والفروع تزامنيا، وكذا تحقيق الحيوية الإنتاجيّة، فالقواعد هذه لابدّ أن تحقّق أكبر قدر من العناصر .

وتدرج تحت هذه الخصيصة – تمثيلا لا حصرا – قواعد تكوين المحمولات العليّة والمحمولات العكسيّة، والمحمولات الانعكاسية... في حين أنّ الحدود المشتقة – والتي تضطلع دائما قواعد التكوين بتقديمها – فتمتثل للبنية التاليّة: (س س:ع1(س):e (س)....: eن(س)). حيث س= مخصص حدّ اعتياطي وe= محمول اعتياطي.

وانطلاقا ممّا أسلفنا فالمعجم أضحى الطاقة الأصليّة الكامنة، التي تقدّم خزانة من العناصر الأصلية (محمولات وحدود أصول) والتي تتصورن في إطار حملي أصلي قابلة للمباشرة بغية التكاثر والتوالد، وما إن تباشر بقواعد التكوين حتى تنتج عناصرَ فروعًا ، فقواعد التكوين تحوّل الصيغة الأصليّة إلى صيغة مشتقة، ويفرّق "المتوكل" بين المعجم وقواعد التكوين قائلا: "إلاّ أنّ التمييز بين المعجم وقواعد التكوين، بين التمثيل لما يتعلمه المتكلم – السامع تعلمًّا وما يقوم باشتقاقه طبقًا لقواعد معينة"[2].

وبهذا الفعل؛ تتحد البنية الحمليّة من خلال العلاقات الإسنادية/الحملية، مع البنية الدلالية المنطقية التي تروم جعل العلاقات الإسناديّة الحمليّة تتفجّر حيويّة. يقول الباحث "يحي بعيطيش": "البنية الحمليّة وتتجسد في بنيتين متّحدتين، هما بنية الحمل وبنية الدلالة: ويدلّ فيها المحمول الذي يمكن أن تنتمي مقولته الصرفية إلى

[1]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية– مدخل نظري– ص130.

[2]– المرجع نفسه، ص131.

الفعل أو الاسم أو الصفة أو الظرف على واقعة ، أي شيء يمكن أن يقال عنه أنّه حدث في عالم من العوالم الممكنة، يمكن إدراكه حسيّا، وتأطيره في الزمان والمكان، وتدل الحدود التي يتطلّبها ذلك المحمول على المشاركين في تلك الواقعة، حيث يسهم كل حدّ فيها بدور معين، هو وظيفته الدلاليّة"[1]. ولتقديم تغطية واضحة يكون لزامًا علينا فك الشفرة المصطلحيّة لهذا القول، إذ يمثل فك هذا النسيج المصطلحي تقديم فهم أجدى للبنية الحمليّة، ولعلّ الشروح المتوالية تنهض بهذا.

والبنية الحملية إذا أردناها إيضاحًا، هي عودٌ للحمل بحذفنا للاحقة (ية)، والحمل يحقّق نفسه من خلال إسناد محمول إلى عدد من الحدود (الموضوعات/اللواحق) فالعبارات الموالية تمثل لذلك:

*** أخذ / حيدر/الأمتعة**

*** رماة النبال / ملتزمون.**

محمول / حد/موضوع

*** السيميائية / اتجاه نقد.**

حد/ موضوع / محمول

ويحقّق هذا الإسناد حيويته من خلال العلاقة بين المحمول والحدود، إذ نلحظ أنّ كل حدٍّ يرتبط بعلاقة دلاليّة خاصة به مع المحمول، فـ "حيدر" له علاقة بـ "أخذ" تتمثل في أنّ "حيدر" منفذ الواقعة /المحمول/ أخذ، في حين نجد "الأمتعة" تقبلت "أخذ" كونها كانت هدفا له، أي (أخذ). ... وهكذا.

وننتبه إلى أنّ المحمول قد يكون فعلا، اسمًا، صفة، ظرفًا، على الغالب مثل قرأ، مدرسة، مجتهد، وتحت .... على التوالي، ونَتَيَقَّظُ كثيرا إلى إغفال المركب الحرفي كمحمول، وذلك لأسباب قد تكون منهجية .... فـ "يسوغ أن يرد محمولات للجملة

[1]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص139.

غير الفعلية (اسم) أو(صفة) أو(مركب حرفي) أو(مركب ظرفي)"[1]، تتسابق أو تتنافس هذه المقولات المحمولية أي؛ الفعل، الاسم، الصفة، الظرف .... نحو تحقيق القوة المحموليّة في العبارة، فتصطرع المحمولات فيما بينها بغية تحقيق المحمول النموذجي، وما دام أنّ المحمول كواقعة يدلّ على الحدثية فإنّ الفعل هو الذي يتصدر، أي يكون محمولاً نموذجيًا، وبهذا فهذه المقولات تتزاحم درجات، ويقدّمها "المتوكل" وفق السلميّة[2]: فعل> صفة> ظرف > اسم: فعل> اسم مشتق> صفة> اسم غير مشتق[3].

ويعلّق "المتوكل" على هذا التزاحم/إرادة المحمولية قائلا: "مفاد السلميّة ... أنّ ما يرشّح بالأفضليّة لأن يكون محمول الجملة هو الفعل يليه الاسم المشتق ثم الصفة ثم اسم الذات على اعتبار أنّ التعبير المفضّل عن الواقعة هو الفعل، ومفادها كذلك، بالتالي، أنّ الفعل يشكل المحمول النموذجي (prototypical predicate)"[4].

ومن السلميتين نملك أن نختزل: فعل> اسم مشتق> صفة> ظرف> اسم غير مشتق. ويطمئن "المتوكل" كثيرًا لأن يكون الفعل والصفة رسميًا محمولين، لكن يتعذر بالنسبة للاسم والمركب الحرفي والظرفي، إذ؛ المقولات الثلاثة الأخيرة لابدّ أن تضاعف إجراءاتها كي تزاحم من أجل باب المحموليّة، ذلك أنّ لهذه المقولات إمكانات حدّية أصلاً وليست محمولات، ولكن تملك أن تلتحق بالمحمولات إذا اتخذت قواعد تكوين المحمولات الحدود إجراءً مساعدًا [5].

---

[1]– أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية، ص86.

[2] – ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية(البنية التحتية أو التمثيل الدلالي التداولي)، ص67.

[3]– ينظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، بنية المكونات، ص125.

[4]– المصدر نفسه: ص125.

[5]– أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربية، ص87.

وإذا كان التنافس على درجة المحموليّة شديدا فإن التنافس على درجة الحدّية لا يقل عنه أهمية، إذ السلميّة: الحد الاسمي غير المشتق> الحد الصفي> الحد الاسمي المشتق> الحد الفعلي. تبيّن تربع الحد الاسمي غير المشتق(الدال على الذات) على الحدّية النموذجية [1]. وما دمنا عكفنا على فك الشفرة المصطلحيّة للبنية الحملية فلا بأس أن نستأنس، بالقول "المتوكلي الموالي "والذي يعدّ توسيعًا مصطلحيًّا لقول الباحث "يحي بعيطيش"، ومن ثمة فالاستئناس بالمصطلحات الموجودة فيه من شأنها أن توضّح دلالة المحمول أكثر وتوضح حيوية الحدود/أدوارها، يقول "المتوكل": "يدل محمول الحمل على "واقعة" (state of offraires) ، والوقائع في رأي "ديك" أربعة أصناف: أعمال (Actions) وأحداث (PROCESSES) وأوضاع(POSITIONS) وحالات (STATES). ويلعب كل حدٍّ من حدود الحمل دورًا في الواقعة الدال عليها المحمول فيكون، "منفذا"(Agent) أو "متقبلا "(Goal) أو مستقبلاً (Recipient) أو مستفيداً (Beneficiary) أو أداة (Instrumental) أو "زمانا" (Temporal) أو "مكانا" (Locative).... ويسند إليه بالتالي، دور دلالي (أو "وظيفة دلالية" على حد تعبير ديك) في مستوى الإطار الحملي .... تنقسم حدود المحمول إلى قسمين "حدود- موضوعات" (arguments) و"حدود -لواحق" (satellites). تعتبر "حدودًا- موضوعات" الحدود التي تلعب دورًا "أساسياً" أو "مركزيا" بالنسبة للواقعة التي يدلّ عليها المحمول أو بعبارة أخرى، الحدود التي يقتضيها تعريف الواقعة ذاته. أمّا الحدود اللّواحق فهي الحدود التي تلعب دورًا في تخصيص الظروف المحيطة بالواقعة كالحدّ المخصّص للمكان والحد المخصص للزمان والحد المخصص للأداة وغير ذلك"[2]. نحاول من خلال هذا القول المتوكلي - الذي أوردناه بقصد توسيع قول الباحث "يحي بعيطيش" السالف الذي نعتني

[1]- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية بنية المكونات، ص125.

[2]-أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص33-34.

بشرحه– أن نفحص المعلومات المتوفرة فيه، فهي تتيح طاقة مصطلحيّة يجدر بنا امتصاصها – دائمًا وأبدًا – بغية تقديم فهم واضح.

فيتمظهر هذا القول المتوكلي بالشكل الموالي الذي صاغه "يحي بعيطيش"[1]، خصوصًا إذا أضيف له تنشيط قول "نعيمة الزهري": "ومعلوم أنّ الإطار الحملي، سواء أكان إطارا حمليًا نوويًا، أم كان إطارًا حمليا موسّعًا، يتشكل من محمول ومحلات حدود مقيّدة بالنسبة للحدود الموضوعات بقيود توارد. يشكل لهذا الإطار الحملي دخلا لقواعد إدماج الحدود، "التي يتمّ بواسطتها ملء محلات الحدود بالمفردات المُرضية لقيود التوارد، وتجري هذه العملية وفق ما يلي: ينتقى من بين المداخل المعجمية الممثل لها في المعجم، أو الناتجة

عن قاعدة التكوين، الحد الملائم فيدمج في محل الحد المعدّ له[2]" ، وبهذه الإجراءات الاستبداليّة التأليفية في الإدماج تجهز خطاطة "بعيطيش":

محمول	موضوعات	
عمل/حدث/حالة وضع	س1	س2،(س2)
	منفذ/قوّة/حائل /متموضع	مستقبل>متقبل >مستفيد

(ص1)،(ص2)،(ص ن)

مكان>زمان>أداة>علة>...

بنيّة حمليّة

وشرحًا لما سبق من الاقوال. وبهذه الخطاطة التي رسمت للتو؛ يغدو المحمول فيها يمثل الروح التي تجمّع الإطار الحملي، وهو ما دلّ على واقعة تحدث في عالم

[1]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص140.

[2]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص221.

من العوالم الممكنة وتتوجد الواقعة – كما يرى ديك – على شكل حدث مثل: كسر البردُ الزجاج، وعلى شكل عمل مثل: ضرب المعلم التلميذ، وعلى شكل وضع مثل: يجلس المعلم في المكتب، وعلى شكل حالة مثل: أنا مستاء.

وهذه الواقعة تشارك في تحقيقها مجموعة من الحدود، تنقسم هذه الحدود بدورها إلى حدود موضوعات يفرض عليها المحمول قيود انتقائه، وتعدّ حدودًا ذات دور مركزي في التعريف بالواقعة وهي الموضحة في الخطاطة، وحدود لواحق تسهم بدور هامشي يتمثل في تخصيص الظروف، ويسمى المحمول والحدود الموضوعات أطرًا حمليّة نووية، وتتغير هذه التسميّة إلى الأطر الحمليّة الموسعة، وذلك بتوسيع الإطار الحملي النووي بإضافة الحدود اللّواحق – الممثل لها في الخطاطة – عن طريق قواعد توسيع الأُطُر الحملية وتحقّق هذه البنية حيويتها الدلالية وذلك من خلال تفجيرها بالمفردات المُرضية لقيود الانتقاء بواسطة قواعد إدماج الحدود، فتصير هذه المفردات الحدودُ تمثل قوة دلالية وذلك بدورها أو وظيفتها الدلالية، وتتمثل الوظائف الدلالية كما تبيّن الخطاطة في: المنفذ، المتموضع، المتقبل، المستقبل، المستفيد، المكان، الزمان، الأداة، الحال، العلة♣ ... فالوظائف الدلالية هذه تجعل من الإطار الحملي يتنسّم دلالة. وبهذا تكون البنية الحملية الجزئيّة قد حقّقت نفسها، إلاّ أنّها تظل تشحب جزئية، وهي إذا؛ أخذت بقواعد تحديد مخصّصات المحمول، وقواعد تحديد مخصصات الحدود تكون تستكمل نفسها.

وبذلك تغدو البنية الحملية تامة، و" يُخَصِّصُ المحمول المقولات المعروفة "الصيغة" و"الجهة" و" الزمن" ...، أمّا مخّصصات الحدود فهي إحدى المقولات

---

[1]– يعتمد الشرح التالي للأقوال على الكتب التالية: نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري–، البنية الوظيفية – مقاربات وظيفية لبعض قضايا التركيب في اللغة العربية.

♣ – لا يتم شرح المصطلحات المتعلقة بالوظائف الدلالية في هذا البحث لأنها ستخص بمبحث لاحق.

التالية: "التعريف والتنكير والعدد والجنس والإشارة والتسوير[1]". ولتجميع مقولات الصيغة والجهة والزمن يقترح النحو الوظيفي القواعد التالية[2] :

الصيغة	Ω	تد ←	تدليل	الواقعة متحقّقة في الواقعة.
		ذت ←	تذييت	يحتمل تحقّق الواقعة في الواقع.
الجهة	B	تا ←	تام ←	يدل على تحقّق الواقعة بورود هذا المخصّص.
		تا ←	تام	
	غ تا	سم ←	مستمر	يدل على عدم تحقّق الواقعة.
		غ سم ←	غير مستمر	
		طع ←	مستمر	
الزمن	Ω ←	مض ←	ماض	تحقّق الواقعة بالنسبة لزمن التلفظ.
		حض ←	حاضر	
		سمر ←	مستقبل	
	مض ←	طق ←	مطلق	
		نس ←	نسبي	

[1]– مصطفى غلفان: اللسانيات العربية الحديثة –دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، ص261–262.

[2]– ينظر أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري– ، ص135.

ويقدِّم المتوكل أمثلة لتوضيح مخصّصات الحدود، إذ؛ يتناول مؤشراتها بالكلمات التالية:

" الكتاب"، "الطالبان"، "مسلمون"، "مسلمات" والتي يمثل لها حمليا*:

(ع1م ش: كتاب(س^{1}))، (ع2 م ش: طالب(ش))، (ن ج م س1: مسلم(س1))، (ن ج ث س^{1}: مسلم(س^{1}))[1]. وبهذه القواعد الأخيرة تستكمل البنية الحملية نفسها تمامًا، وتعدّ البنية الحملية التالية تمثيلا لذلك:

[تد[تا[مض أخذ ف(ع2م ش: معلمان(ش)) منف ع ج م س^{2}: دروس(س^{2}))متق ع1ث ص^{1}: بارحة(ص^{1})زم]]]، وتتمظهر الإجراءات الدلاليّة في هذه البنية على الشكل التالي[2]:

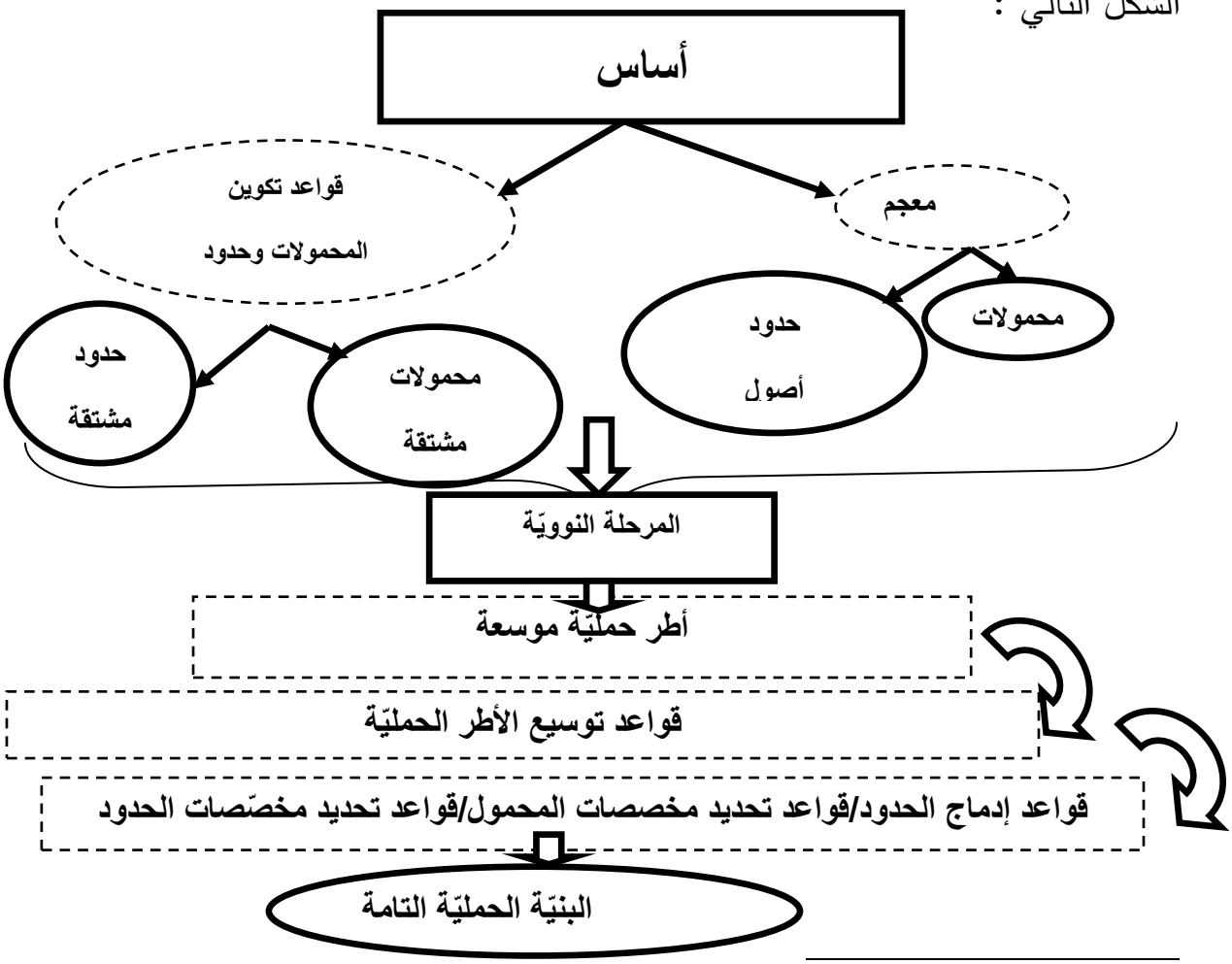

* – يقول المتوكل: ع= معرف، 1= مفرد، 2= مثنى، ج= جمع، م= مذكر، ن= منكّر، ث= مؤنث.

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري– ، ص136.

[2]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص223.

إن الاستقرار الدلالي الذي تتمتّع به البنية الحملية يظل شاحبًا، رغم الإجراءات التي اعتمدتها البنية الحملية، والتي تتميز بالتتالي والتوالد – فمن الأساس إلى الإطار الحملي النووي إلى الإطار الحملي الموسع إلى البنية الحملية التامة – إلاّ أنّه بوجهه الدلالي الشاحب هذا يعدّ دخلاً وأرضية خصبة لتوالد وتتالٍ جديد، فمن خلال التخصيب الدلالي التي تتمتّع به البنية الحملية، يعتقد أنّها تزداد تخصيبا إذا غامرت بهجرة جديدة، إذ؛ يفجّر البناء الحملي/الدلالي بقواعد إسناد الوظائف التركيبيّة والتداوليّة، وإن كانت الوظائف التداولية كمكوِّن أصلي تسهم في هذا التفجير أكثر، إذ؛ بتقلدّها المكانة الرسمية/الأصلية أصبحت تملك أن تفعل تأثيرات مركزية في الجملة، وبهذا الإسناد الذي يروم التواصل مع البناء الحملي تستقر الجملة في هجرتها الثانية بنية وظيفية/علاقات وظيفية/متتالية وظيفية/استقرار تداولي تركيبي، فـ" تنتقل ... البنية الحملية إلى بنية وظيفية عن طريق إسناد الوظيفتين التركيبيتين الفاعل والمفعول ثم الوظائف التداولية"[1] و"قواعد تحديد مخصص الحمل"[2]، ننطلق ونحن نشير ضرورة إلى أنّ البناء الوظيفي قد استأنف نفسه في البنية الحملية، فكان هذا الاستئناف يسعى لتحقيق بناء دلالي، فأسندت الوظائف الدلاليّة، والمتمثلة في:

المنفذ> المتقبل>المستقبل>المستفيد>الأداة>المكان>الزمان>....، وذلك على نحو ما نجده في الجملة "أخذ المعلم الدرس" والمتمثلة في البنية الحملية: أخذ ف(س¹: حي(س¹))منفد .(س²:مدروس(س²)) متقـ. وأمّا الحال بالنسبة للوظائف التركيبية والتداوليّة، فتستأنف نفسها إسنادًا في البنية الوظيفية. وتجدر الإشارة هنا كثيرا إلى أنّ

[1]– أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية – الوظيفة المفعول في اللغة العربية –، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 1997،ص6.

[2]–أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – ، ص136.

هذه المفاهيم/الوظائف هي مفاهيم أولى/غير مشتقة/مركزية في بناء الجملة[1]، لكن هذه الوظائف جميعًا، أعني الدلاليّة والتداوليّة والتركيبيّة، تنماز عن بعضها، إذ؛ الوظائف التركيبية مفاهيم غير كلية♣ بالنظر إلى الوظائف الدلاليّة والتداوليّة التي تتفجر كلية[2]. فيقدم "المتوكل" بالنسبة للنحو الوظيفي الموقف التالي: "تعدّ الوظائف التركيبية مفاهيم واردة في النظرية كإواليات للوصف تستخدم حين تمّس الحاجة إليها، بمعنى أنّها تستعمل في أنحاء خاصة (أوصاف خاصة) ولا تستعمل في أنحاء خاصة أخرى"[3].

يقدّم – كما أسلفنا – المحمول كواقعة قد تكون عملاً أو حدثًا أو وضعًا أو حالة ، ويشارك هذه الواقعة عددًا من الحدود، لكن هذه الواقعة تستند على الوجهة فـ" تقدَّم الواقعة التي يدل عليها محمول الحمل حسب وجهة (perspective) معيّنة، أي حسب وجهة أحد حدود الحمل"[4]، والواقعة إذ؛ تستند على الوجهة؛ فتُضْبَطُ الحدود التي تكوّن مجال الوجهة وتسمّى هذه الحدود " الحدود الوجهية"، وعليه "يميّز(ديك1978) بين منظورين للوجهة التي تقدم انطلاقًا منها للواقعة الدال عليها محمول الحمل: "المنظور الرئيسي" و"المنظور الثانوي"[5].

والواقعة – كما أسلفنا –، تقدم مشهدا يتفجر حيوية دلاليّة، فتستدعي عددًا هائلاً من الحدود تشاركها الدلالة، فينتقي المحمول حدّين فقط، يتحملّ هذين الحدين مسؤولية الوفاء لهذا الاختيار، فيمثلان منظوري الوجهة؛ فالجملة "علّم المعلم الدرس

---

[1]–أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص27.

♣ – أي غير واردة بالنسبة لوصف اللغات الطبيعية جميعها، فهناك لغات لا تحتاج في وصفها للفاعل والمفعول.

[2]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص36.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية – مدخل نظري – ، ص137.

[4]– أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص17.

[5]– المصدر نفسه: ص18.

البارحة" الممثل لها حمليًّا: علّم فـ(س¹: حي(س¹))منف (س²: مدروس(س²))متق(ص¹:البارحة(ص¹))زم

ينتقي فيها الفعل "علّم" الممثل للواقعة التعليمية حدّين يشكلانه، أي يحدّدان وجهته، فيأخذ المنفذ المنظور الرئيسي والمتقبل المنظور الثانوي، في حين يستغني عن بقية الحدود ف ."إلى هذين الحدين، تسند بالتوالي، الوظيفتان التركيبيتان "الفاعل" و"المفعول" وتظل الحدود غير الوجهية بدون وظيفة تركيبية"[1].

وعلى – شرفة ما تقدم – فـ : "الوظائف التركيبية في النحو الوظيفي، وظيفتان اثنتان: الوظيفة "الفاعل" (subject) والوظيفة "المفعول" (object)، وتُعرّف هاتان الوظيفتان التركيبيتان انطلاقا من الوجهة إذ؛ تسندان إلى الحدين الوجهيين اللّذين يشكلان المنظور الرئيسي والمنظور الثانوي بالتوالي ... على هذا الأساس يمكن صوغ تعريفي الفاعل والمفعول كما يلي:

. **تعريف الفاعل:** تسند الوظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيسي للوجهة التي تقدم انطلاقًا منها الواقعة الدالّ عليها محمول الحمل.

تعريف المفعول: تسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقًا منها الواقعة الدالُّ عليها محمول الحمل"[2].

وإذ ذاك تكون البنية الحملية السابقة بنية وظيفية جزئية كالتالي:

---

[1]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري– ، ص138. من خلال مجال الوجهة، وعملية الانتقاء للمنظور الرئيسي والثانوي تم تقليص الوظائف التركيبية: "يستخلص "فيلمور" من هذا أنّ ثمة فرقا بين البنية الدلاليّة للجملة وبنيتها النحوية(التركيبية) حيث لا ضرورة في أن تتضمّن البنية الثانية جميع عناصر البنية الأولى عناصر البنية الأولى. ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحمليّة إلى البنية المكونية ص 20،21. ولمزيد من الاطلاع حول تقليص الوظائف التركيبيّة إلى الفاعل والمفعول ينظر: أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية ص 20،21.

[2]– أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص 19–20.

[تد[تا[مص علّم ف(ع1م س¹: معلم(س¹)) منفد فا(ع1م س²: درس(س²)) متق(ع1ف(ص¹: البارحة (ص¹))زم .

وعليه :"تحدِّد الوظيفتان التركيبيتان "الفاعل" والمفعول" "الوجهة" المنطلق منها في تقديم الواقعة التي يدلّ عليها المحمول"[1].

واستنتاجا ممّا سبق، نلتمس أنّ الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة تنحصر وظيفتها التحليلية للجملة في البنية، فهي أي الجملة تكون إذ اك تعقد علاقات دلاليّة تركيبيّة بنيوية، وعليه تستكمل نفسها بإسناد الوظائف التداولية التي "تمتاز ... عن الوظائف التركيبيّة والوظائف الدلاليّة بكونها علاقات تقوم بين مكونات الجملة على أساس البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام" [2]، ومنه يمكن أن تقارب جميعها تعريفا كالتالي: "تسند ... إلى المكونات حسب المعلومات الإخبارية التي تحملها وطبقًا للطبقات المقاميّة التي يمكن أن تنجز فيها الجملة" [3].

وقد ربّعت الوظائف التداوليّة في نموذج "ديك "فكانت بؤرة ومحوراً داخليًا بالنسبة للحمل ومبتدأً وذيلاً خارجياً بالنسبة للحمل، إلاّ أنّها خُمست في النسخة العربيّة المتوكلية فأصبحت خمس وظائف، إذ؛ بإضافة المتوكل للمنادى أصبحت الوظائف التداولية الخارجيّة ثلاثية وأصبح المجموع كله خمس وظائف، يلملم المتوكل هذا قائلاً: "يقترح "ديك" بالنسبة للمستوى الوظيفي الثالث، مستوى الوظائف التداولية، أربع وظائف: المبتدأ (theme) والذيل (tail) والبؤرة (focus)، والمحور (topic) ، ويعتبر الوظيفتين الأوليين وظيفتين خارجيتين بالنسبة للحمل، ويعتبر الوظيفتين الثانيتين وظيفتين داخليتين .... ونقترح شخصيًا، أن تضاف إلى الوظيفتين

[1]– أحمد المتوكل، من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص58.

[2]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص139.

[3]– المصدر نفسه، ص139.

التداوليتين الخارجيتين وظيفة المنادى التي نعتبرها واردة بالنسبة لنحو وظيفي كاف لا لوصف اللّغة العربية فحسب بل كذلك لوصف اللّغات الطبيعية عامة"[1].

وإذا كانت الوظائف التداولية قدمّت فهمًا لنفسها وهي مجتمعة، بأنّها علاقات تسند إلى المكونات حسب البنية الإخبارية المرتبطة بالمقام، فإنّه من الضروري أن تقدم نفسها وهي متفردة، وهي إذ؛ تقدِّم نفسها متفردة فإنّنا نستوعب خصوصية كل وظيفة وأداءها الفردي بالنسبة لمبدئها الجماعي الذي ذكرناه. ونُتليها داخليا ثم خارجيا.

داخليا: – البؤرة "تسند إلى المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهميّة أو الأكثر بروزاً في الجملة"[2] مثل حاضر الأستاذ البارحة، فالبارحة هي المكون المبأر.

– المحور: "تسند وظيفة المحور إلى المكون الدال على ما يشكل "المحدث عنه" داخل الحمل"[3]. مثل أبي في غرفته، فالأب هو المكون المحور.

خارجيا: – المبتدأ: " هو ما يحدّد مجال الخطاب (universe of discourse) الذي يعتبر الحمل (predication) بالنسبة إليه واردًا (relevant)[4] مثل: المعلم جاء ابنه، فالمعلم هو المبتدأ.

– الذيل: هو "المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل أو تعدّلها"[5]مثل: أعجبت بالجاحظ، جدله، فجدله هو المكون الذيل.

– المنادى: هو" وظيفة تسند إلى المكون الدّال على الكائن المنادى في مقام معين"[6]. مثل: يا محمد، العجلة العجلة ! فالمكون يا محمد هو المنادى.

وبإسناد الوظائف التداولية تصير البنية الوظيفية الجزئية السابقة كالتالي:

---

[1]– أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص17.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص28

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص69.

[4]– المصدر نفسه: ص115.

[5]– المصدر نفسه: ص147.

[6]– المصدر نفسه: ص161.

[تد[تا[مض علم ف(ع1م س[1]: معلم(س[1]))منف فا مح (ع1م س[2]: درس(س[2])) مت مف(ع1ث ص[1]: بارحة(ص[1])) زم بؤجد]]]

تظل البنية الوظيفية جزئية إلاّ إذا أضيفت لها قواعد تحديد مخصِّص الحمل، فتستكمل بنية وظيفية تامة، ونملك أن نعدَّ "مخصّصا للحمل القوّة الإنجازية التي تواكبه[1] .

وفي مستوى البنية الوظيفيّة فقط يؤشر للقوّة الإنجازية وذلك للشروط المقامية، سواء أكانت القوّة الإنجازية حرفية أو مستلزمة، ويشترط دائمًا الانتقال من الإنجاز الحرفي إلى الإنجاز المستلزم إجراءات مقامية كإجراءات "سورل" مثل الجملة: "أوَ رسبت زينب؟" الممثل لها في البنية الوظيفية الكاملة التالية[2]:

[سه[نك[تد[تا[مض رسب ف(ع1ث س[1]:زينب(س[1])) منف فا مح]]بؤ بقا*]

وتتمظهر البنية الوظيفية*في الخطاطة التالية[3]:

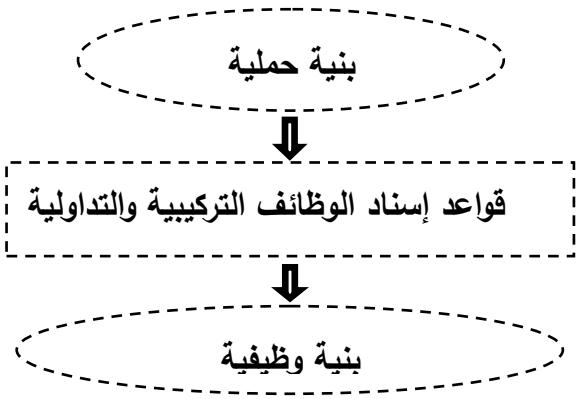

[1]– أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري– ، ص144. وننبه إلى أن الحمل لا يشمل على المبتدأ والذيل والمنادى ، فهي مكونات خارجة عنه.

[2]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري–،145–146.

*– حيث : سه=استفهام، نك=انكار.

*– نشير إلى أننا أوجزنا الحديث كثيرا عند حديثنا عن الوظائف الدلالية والتركيبية والتداولية ذلك أنّنا سنخصها بمبحث خاص.

[3]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربي، ص237.

وبهذا تعلن البنية التحتية الدلاليّة التداوليّة عن استعدادها بأن تتمظهر بنية تركيبيّة صرفيّة/مكونيّة/فوقيّة، ولا يتحقّق لها ذلك إلاّ إذا عانقت قواعد التعبير، وبمعانقة قواعد التعبير تجهز الجملة تماما، و تتضامن من أجل هذا التمام قواعد التعبير التالية: قواعد صياغة الحدود والمحمول وإدماج مؤشر القوّة الإنجازية والموقعة وإسناد النبر والتنغيم.

وإذا كانت البنية الحملية قد قيدّت وخصّصت الحد فإنّها لم تستكمله صياغةً تاركة إيّاه إلى إجراءات البنية المكونيّة المتمثلة في قواعد صياغة الحد، فينقل الحد إلى مركب يتحقق في القاعدة التالية التي اقترحها "المتوكل"[1]:"[خص، رأس، فض] [خص^رأس^فض]*. ويمكن أن نسجل الملاحظات التالية شرحا للقاعدة السابقة:

– قد يلازم الحد مقيّدا واحد أو يلاحقه عديد المقيّدات، أمّا إذا كان مقيد واحدا فإنّه بالضرورة يترأس المركبات في حين تتزاحم المقيّدات في الحالة الثانية على رئاسة المركب فينتقي المقيّد الأول رأسًا لها [2].

– وكما أشرنا سابقا في البنية الحملية أنّ المخصّصات تشمل: التعريف، التنكير، العدد، الجنس، الإشارة، التسوير. وتدمج هذه المخصّصات تبعًا للقاعدة [3] ع ⟵ال. مثلا حيث: تتموقع ال أو المخصّصات الأخرى في مكان "ع" التي تمثل "خص".

في حين أنّ قواعد صياغة المحمول التي تتخذ البنية الحملية وبالضبط مخصّصات المحمول "الصيغة، والجهة، والزمن" ومقولته الصرفية اسم، صفة، فعل، مركب ظرفي، مركب حرفي دخلاً "تشتمل مجموعة القواعد المتعلقة بالشكل الذي

---

[1]– أحمد المتوكل: للسانيات الوظيفية –مدخل نظري–، ص151.

*– حيث حسب المتوكل وفي نفس المصدر ص151/149. خص = مخصّص. فض= فضلة. Ω = رمز يؤشر بتقدّم المخصّص على الرأس والذي بدوره يتقدم على الفضلة ويتم هذا باللغات ذات المجال البعدي، أي الرأس ثم الفُضلات كالعربيّة مثلا.

[2]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص239.

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص21.

يتحقّق به المحمول في مستوى البنية المكونية على القاعدة التي تحدّد صيغته (صيغة المبني للفاعل/صيغة المبني للمفعول) والقاعدة التي تحدّد مطابقته للفاعل والقواعد التي تحدّد ما يندرج في الأنحاء التوليدية، تحت مقولة المساعد"[1]، نفهم من هذا كثيراً، أنّ المعجم وقواعد التكوين (الاشتقاق) التي خصّصت بمخصّصات المحمول لم تضمن له النشأة النهائيّة، إذ؛ لا بد من قواعد صياغة المحمول التي تروم التكفل بالنضج المحمولي، أي تحقيق الصيغة الصرفية النهائية له. وعليه إذا أردنا أن نمثل للفعل/المحمول صياغة، فإنّه يكون ماضيًا أو مضارعاً مجرّد وغير مجرّد من المساعد[2]، يصّدق هذين المثالين التاليين على التوالي:

1- أتابع دراستي العليا، - تابعت دراستي العليا.

2- أظل أتابع دراستي العليا، - كنت قد تابعت دراستي العليا.

ويتواشج المحمول مع فاعله كثيرًا بقواعد المطابقة إذ؛ يتراضى المحمول والفاعل بهذه القواعد فـ" تخصّ هذه المطابقة الجنس فقط حين يتعلق الأمر بالنسق اللّغوي العربي"[3]، مثال ذلك: نظم مفدي زكريا النّشيد الوطني.

لكن لن نبرح المكونات التي تتفاعل في الجملة على شكل علاقات دلاليّة تركيبيّة تداوليّة دون إسناد الحالة الإعرابية لها والتي يصوغ قاعدتها المتوكل كالآتي[4]:

$$\left[\begin{matrix}\text{خص}\hat{}\text{رأس}\hat{}\text{فض}\\ \Omega\end{matrix}\right]\ \underset{\Omega}{\text{ظ}} \longleftarrow \underbrace{\text{حص}\hat{}\text{رأس}\hat{}\text{فض}}_{\Omega}]\ \text{ظ}$$

حيث ظ=وظيفة، وΩ= حالة إعرابية، وشرحًا للتركيبة هذه؛ نستأنس بالأسباب التي عقدّتها على هذه الشاكلة إذ؛ السلمية المتوكلية التالية هي التي مظهرتها[1]:

---

[1]- أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص21.

[2]- ينظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص155.

[3]- نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص241.

[4]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري -، ص154.

الوظائف التركيبيّة>الوظائف الدلاليّة> الوظائف التداوليّة.

فالوظائف وهي تتفاعل، نشير إلى شراهة الوظائف التركيبيّة بأنّها أشدّ في استضافة الحالات الإعرابية بالنسبة للوظائف الدلالية والتركيبيّة. فإذا كان المكوّن يتوفر على الوظائف الثلاث، أو الوظيفة التركيبيّة مع الدلالية أو التركيبيّة مع التداوليّة فإنّه يأخذ الحالة الإعرابية حسب الوظيفة التركيبية، فيرفع الفاعل وينصب المفعول، أمّا إذا حمل المكون وظيفة دلاليّة فقط ولم يكن مبتدأً أو منادًى أو ذيلًا فإنّه يأخذ الحالة الإعرابيّة تبعا للوظيفة الدلاليّة أي النصب، والجر إذا سبق بحرف جرٍ.

أمّا بالنسبة للمكونات الحاملة للوظائف التداولية فإنّ المبتدأ والذيل والمنادى تأخذ الحالة الإعرابية استنادًا إلى الوظيفة التداولية فقط، ويصدق هذا على البؤرة والمحور إذا لم تسند إليها وظيفة دلالية وتركيبية وفي حال إسناد وظيفة دلالية وتركيبية إلى المحور والبؤرة فتأخذ الحالة الإعرابية حسب هذه الوظيفة، أمّا إذا زاحمت الوظيفة الدلالية وظيفة تركيبية فإنّ الحالة الإعرابية تُتخذ تبعا للوظيفة التركيبية التي بدورها تخفي الوظيفة الدلالية[2] وبالتالي نكون قد فككنا الرمز ظـ

Ω

غير أنّه يمكن فك شفرة الرمز Ω الذي يوجد تحت رأس المركب بالقول الصريح للمتوكل: "إلاّ أنّه من الملاحظ أنّ الحالة الإعرابية المُسندة إلى المركب برمته تظهر على العنصر الرأس .... أمّا الحالة الإعرابية التي تظهر على فضلة المركب فإنّها

[1]– أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص19.

[2]–أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية–مدخل نظري–، ص152. وينظر أيضا: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص19.

حالة "مطابقة" تأخذها الفضلة عن طريق التبعية بالنظر إلى الحالة الإعرابيّة الظاهرة على الرأس"[1]، فالفضلات إعرابيا– والحال هذه – تستسلم لرغبة الرأس غالبا.

فالبنية المكونية – والحال هذه – لا يوثق الإقامة عليها عند هذا الحد، بل تتوق لأن تستكمل نفسها بقواعد إدماج مؤشرات القوة الإنجازية والأدوات الدامجة، وقد قدّم "المتوكل" خطاطة المكونات التي تتصدر الحمل بإطلاق في الخطاطة التالية[2]:

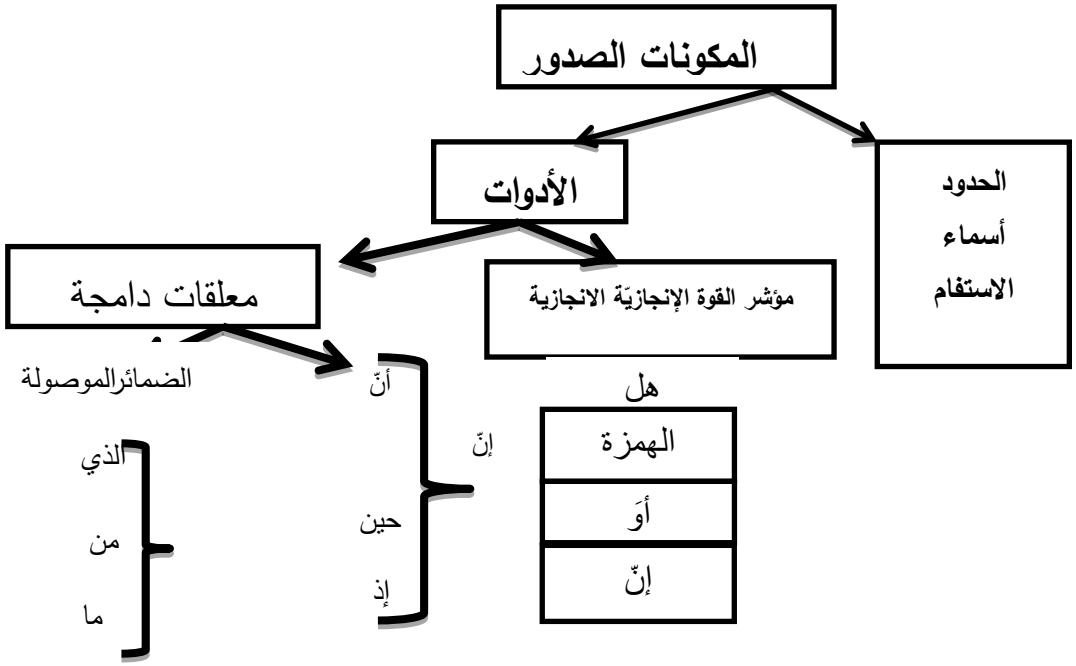

بالنسبة لأسماء الاستفهام فإنّها تعدّ حدوداً تدمج في المراحل الأولى لاشتقاق الجملة، أمّا بالنسبة لمؤشرات القوة الإنجازية والمعلّقات الدامجة فيستأنف إدماجها في البنية المكونيّة بإحدى قواعد التعبير[3]، نمثّل لذلك بإدماج "هل" من خلال الجملة "هل جاء العميد" فتصبح الجملة خاضعة مكونيًا كالآتي:

[سه[جاء ف العميد منف فا مح بؤ جد] ⇐ هل[جاء ف العميد منف فا مح]بؤ جد]

رفع

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص154.

[2]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص157.

[3]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص245.

وقد تمّ هذا البناء المكوني من خلال القاعدة المتوكلية الآتية[1]:

دخل: [سه[ع(س[1]....(س ن)] بؤ جد]

خرج: [هل [ع(س[1]...(س ن) بؤ جد]

أخذنا هذه الجملة تمثيلاً*، في حين أنّ المعلّق والذي يعرف: "بأنّه العنصر الذي يقوم بدور التعليق بين مكونين أو بين حملين"[2] مثل: "استأنف عمر عمله الذي يوشك أن ينهيه"، فالذي يعلّق الحمل "استأنف عمر عمله "بالحمل "يوشك أن ينهيه"، فمثلاً[3]: بموجب القاعدة (ل س ح) موصول

الرفع

.

والقاعدة: وموصول ← { اللّذان/ (لع 2ذ س ح: ـ(سح)) حيث: ل= موصول. 1= مفرد. 2= مثنى. ج= جمع. ذ = مذكر. ث= مؤنث. ن= نكرة. ع= معرفة.

تصبح الجملة:" فرح اللاعبان اللّذان حَدَّثنا الصبيحة " مكوّنيًّا/دامجة للمعلق كالآتي:

[نا[مض فرح (ع 2 س ح:لاعب(سح) [تا[مض حدّث ف (ع س ي: نا(س ي))

رفع

منف فا(ل2ذس2: اللذين (س2) متق مف (ع س ك: صبيحة(س ك)) زم]]] (س ح)) منف فابؤ جد]]]

رفع نصب

غير أنّ الجملة مكونيًّا لا تقف عند هذا الحد وهي تتسلسل بنفسها، وإنّما تضيف إلى تتاليها قواعد موقعة المكوّنات طلبًا دائمًا للنضج المكوني/الصرفي التركيبي،

---

[1]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص131.

*– لمزيد من الاطلاع ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية– مدخل نظري –، ص 157 وما بعدها، وينظر: أحمد المتوكل، الجملة المركبة في اللغة العربية: ص127 وما بعدها.

[2]– يحي بعيطيش: نحو نظرية وظيفية للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص153.

[3]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص84.

وتتموقع المكوّنات في الجملة الفعليّة والاسميّة والرابطيّة طبقًا للقواعد التاليّة، وذلك على التوالي[1]:

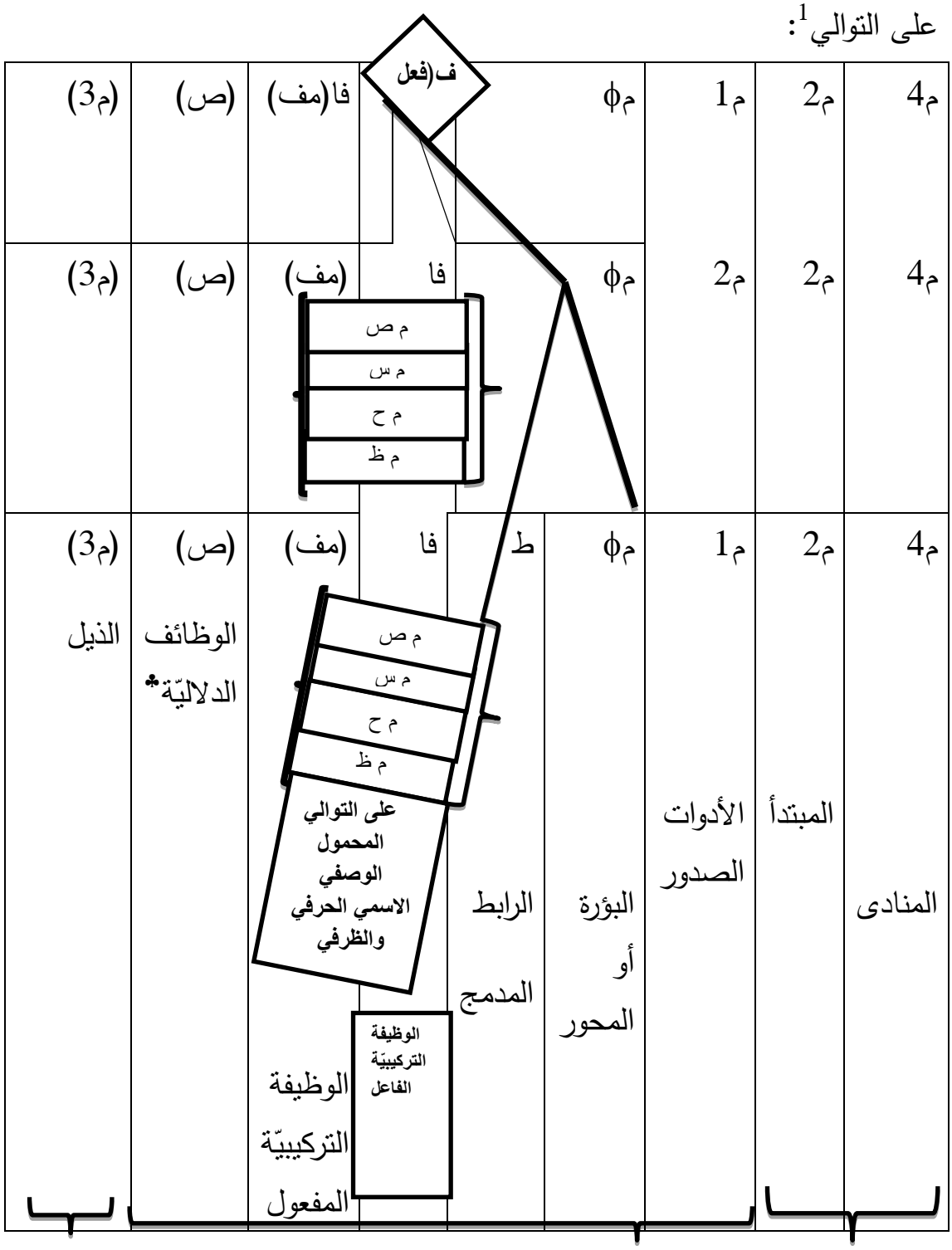

[1]– ينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية، ص21–22.

*– يقول المتوكل في "ص": "درج، في النحو الوظيفي (وفي الأنحاء الأخرى بصفة عامة)، على اعتبار الوظائف الدلالية غير مؤثرة في تركيب المكونات، بهذا الاعتبار خصص الموقع ص للمكونات التي لا تحمل إلا وظيفة دلالية" ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية –مدخل نظري– ،ص46وما بعدها.

مواقع خارجيّة	مواقع داخليّة	مواقعخارجيّة

تتشارك في هذه الصياغة أنماط الجمل(اسمية، فعلية، رابطية) وتفاعل الوظائف (التداوليّة والتركيبيّة والدلاليّة) ودرجة التعقيد المقولي. فقبل أن تصاغ القاعدة السابقة خضعت للسلمية المتفاعلة[1]:

الوظائف التداولية>الوظائف التركيبية>الوظائف الدلالية. فهذه الوظائف تتزاحم على الموقعة لكن الوظيفة التداولية تتغلب على الوظيفة التركيبية التي بدورها تتغلب على الوظيفة الدلالية. وقبل أيضا أن تنجز الصياغة السابقة ينظر إلى درجة التعقيد المقولي إذ؛ "إنّ أقل المقولات تعقيدا تنزع إلى احتلال الرّتب الأولى في الجملة في حين أنّ المقولات المعقدّة تنزع إلى التأخر، حيث إن أكثر المقولات تعقيدا في الجملة، تفضل موقعتها في الرتبة الأخيرة"[2] ، حيث: "اقترح "ديك "صوغ مبدأ "رتبة المكونات المفضلة المستقلة عن اللغات" على النحو التالي:

1- ضمير متصل>ضمير منفصل>مركب اسمي>مركب حرفي>فعل>مركب اسمي>مركب حرفي>جملة مدمجة.

2- أ- بالنسبة لكل مقولة س، س>ح س

ب- بالنسبة لكل مقولة س، س>س وس

جـ - بالنسبة لكل مقولتين س و ص، س>س(ص)"[3].

وبهذا الفعل الأخير، يُملك أن تتغيّر سلميّة المواقع، فدرجة التعقيد المقولي تصبح تسابق الوظائف الثلاث في السلميّة السابقة، وهي بمسابقتها تزيح تأخيرًا الريادة التداوليّة والتركيبيّة والدلاليّة، فتتّصدر الرّيادة، وإذ ذاك تتعدّل السلمية كالآتي[4]:

---

[1]- نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص247.

[2]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية- مدخل نظري -، ص166.

[3]- المصدر نفسه: ص 166.

[4]- أحمد المتوكل من البنية الحملية إلى البنية المكونية: ص52.

التعقيدالمقولي>الوظائف التداولية>الوظائف التركيبية>الوظائف الدلالية.

ومثال ذلك: حيث تتزعزع الجملة (2) بالنسبة للجملة (1):

(1) ساء الجمهور الفرنسي أن زين الدين زيدان نطح اللاعب الإيطالي.

(2) زين الدين زيدان نطح اللاعب الإيطالي ساء الجمهور الفرنسي.

وتستكمل قواعد الموقعة استقرارها بضبط قيد أحاديّة الموقعة الذي ينصّ على: "لا يحتل الموقع الواحد أكثر من مكوّن واحد"[1]، إذ تُلحن الجملة: متى حيدرًا جاء؟(بنبر متى) (اسم استفهام+ بؤ مقا)

تشكل القواعد الأخيرة؛ أي قواعد الموقعة دخلاً للتّلفع المكوني الأخير، إذ تتلفَع أخيرًا بقواعد إسناد النبر والتّنغيم الذي يكون خرج القواعد السابقة. فالنّبر يسند إلى المكون الحامل للوظيفة البؤرة مثل:

البارحة جاء الرئيس الفرنسي للجزائر(بنبر البارحة)

بؤ مقا منبورة

أما التنغيم فيسند إلى القوة الإنجازيّة سواء الحرفية أو المستلزمة أو القوّتين معًا مثل:

غدًا ستسافر إلى أمريكا.

منغمة

فنقول هذه الجملة بتنغيم "ستسافر" مثلاً استهزاء بشخص غير مؤهل للسفر وغير قادر على تحمل غربة السفر[2].

وبهذه الموسيقى التنغيميّة تكون البنية المكونيّة قد أعلنت تمامها وجاهزيتها لأن تتبادل بين الأفراد أصواتا، ويلملم الشكل التالي قواعد الجملة من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة[1]:

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص165.

[2]– ينظر: نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، ص248،249.

(ما قبل التمثيل الصوتي)

[1]– أحمد المتوكل: من البنية الحملية إلى البنية المكونية، ص8.

الفصل الثاني:

الوظائف التركيبيّة والدّلاليّة والتداوليّة

تنزع الجملة علاقات في نظريّة النحو الوظيفي، فهي العاقدة للعلاقات الدلاليّة والعلاقات التركيبيّة والعلاقات التداوليّة، وتعدّ هذه العلاقات مفاهيم أولى، فهي مفاهيم مصادر تشيدّ الجملة نفسها مكونيًّا انطلاقًا منها. والجملة في هذه النّظريّة كما أسلفنا تشمل ثلاثة مستويات أي؛ مستوى البنية الحمليّة والبنية الوظيفيّة والبنية المكونيّة، وكما أشرنا أيضًا أنّه قبل أن تشيّد الجملة مكونيّا، فهي تخضع خضوعًا صارمًا للعلاقات، فهي أي الجملة وإن كانت حمليًّا تنتشر فيها العلاقات الدلاليّة المنطقيّة بشكل واضح، فهي لا تملك في هذه النّظريّة أن تعلن نفسها مكونيّا إلاّ بتركيبة علاقات، فتشتدّ العلاقة الدّلاليّة نضجًا بها كي تغدو بنية مكونية متماسكة. فتركيبة العلاقات الداعمة للعلاقات الدلاليّة أو بعبارة أخرى، العلاقات الأصليّة التي تحتوي وتحتضن العلاقات الدلاليّة التي لا تملك – أي العلاقات الدلاليّة – أن تنضج دون العلاقات التركيبيّة والتداوليّة، فهذه العلاقات الأخيرة تمثل عصب تواصلي يصاهر بين البنية الحمليّة والبنية التركيبيّة، والذي يدلّل على أنّ هذه العلاقات علاقات أصليّة هو إفراد هذه العلاقات بنية تسمى البنية الوظيفيّة، وقد حمل هذا الإشكال اللّسانيّون فـ "كان موضوع إحدى الموائد المستديرة في اللّقاء اللّساني السيميائي الذي انعقد بكليّة الآداب بالرباط سنة 1981 إشكال العلاقة بين البنية الحمليّة " بنية الأدوار الدلاليّة والبنية التركيبيّة الصرفيّة في النتائج اللّغويّة. ويتلخص الإشكال في السؤال الآتي: هل يتمّ الربط بين البنيتين بكيفيّة مباشرة؟ أم هل يتم عبر بنيّة ثالثة، بنيّة الوظائف؟ ويعتبر النحو الوظيفي (FonctioalGrammar) الذي اقترحه في السنوات الأخيرة (سيمون ديك) ومدّرسيوه أحد النتائج اللّغويّة التي تفترض أنّ الربط بين البنية الحمليّة والبنية التركيبيّة الصرفيّة يتمّ عبر بنية وظيفيّة مستقلة يمثل فيها لنوعين من الوظائف: "الوظائف التركيبيّة (فاعل، مفعول) والوظائف التداوليّة (Pragmatic Fonction) كالوظيفة المحور (Topic) والوظيفة البؤرة (Focus[1]). فالعلاقات التركيبيّة التداوليّة ينوجد عملها بالبنية الحمليّة/الوظائف الدلاليّة

[1]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص25.

تخصيصًا، وبهذا الفعل أي إدراج البنية الوظيفيّة، يتمّ قد تمّ التجميع لبنيّة تحتيّة تتوفر على المعلومات الكافيّة والموجهة لكي تتبلور الجملة مكونيًّا. فالبنية المكونيّة لا تجهز نضجًا إلاّ بإجراءات البنية التحتيّة؟ فالبنية الوظيفيّة والحال هذه بنيّة تصاهر بين البنية الحمليّة والبنية المكونيّة. ويحتضن هذه العلاقات جميعها مبدأ التواصل الآنف تفصيله.

. **الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة:** ويظهر لنا من خلال أبجديات نظريّة النحو الوظيفي – وكما أسلفنا الذكر– في الفصل الأول أنّ الوظائف ثلاث: دلاليّة وتركيبيّة وتداوليّة، غير أنّ الذي ننتبه إليه بوضوح هو أنّ الوظائف الدلاليّة تعقد على مستوى البنية الحمليّة في حين أنّ الوظائف التركيبيّة والتداوليّة تلتحق لمباشرة عملها من خلال البنية الوظيفيّة التي أفردت خصيصًا لها[1]". والحال هذه تلتحق الطاقة التداوليّة والطاقة التركيبيّة – المنظوريّة التي تقدّم من خلال الواقعة – بالطاقة الدلاليّة المستأنفة حمليًّا. ويتمّ هذا كله بحثا عن البنية التحتيّة التي تخضع البنية المكونيّة لإرادتها ويمكن تفجير أهميّة الوظائف من حيث أنّ الوظائف الدلاليّة "تحدّد ... الأدوار التي تقوم بها حدود (Terms) الحمل بالنسبة إلى "الواقعة" (عمل، حدث، وضع، حالة) التي يدلّ عليها المحمول (Predicate)[2]"، ومن حيث أنّ الوظائف التركيبيّة "تحدّد ... الوجهة المنطلق منها في تقديم الواقعة التي يدل عليها المحمول[3]". والوظائف التداوليّة "تحدّد... العلاقات القائمة بين مكونات الجملة بالنّظر إلى المقام (Setting[4]). وعلاقات الجملة من الناحية التركيبيّة هي علاقات ليست بالكليّة، إذ يمكن أن يتخلف الفاعل والمفعول في بعض اللّغات الطبيعيّة عن الوصف فلا يرد، في حين أنّ العلاقات الدلاليّة والتداوليّة هي علاقات تفوح بالكليّة في جميع اللّغات الطبيعيّة، إذ؛ تتوافر عند الوصف وبذلك فـ "الوظائف التركيبيّة مفاهيم غير كليّة، بخلاف الوظائف

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص136،137.

[2]– أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص58.

[3]– المصدر نفسه، ص58.

[4]– أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي– الأصول و الامتداد –، ص93.

الدلاليّة، والتداوليّة بمعنى أنّ استخدامها غير وارد في وصف جميع اللّغات الطبيعيّة، إذ؛ هنالك لغات متعدّدة لا يحتاج في وصف خصائصها الوصف الكافي استعمال مفهوم "الفاعل" أو مفهوم "المفعول"[1].

وعلى شرفة ما تقدّم، نملك أن نعتقد بأنّه تكمن أسئلة هامّة يتحتّم على البحث الإجابة عنها، فيبرز؛ ماهو التصور الذي يقدمه النحو الوظيفي لهذه الوظائف/العلاقات؟ وما علاقة هذه العلاقات ببعضها؟ وكذا علاقاتها بالبنى الثلاث الممثلة للجملة في نظريّة النحو الوظيفي؟

[1]– أحمد المتوكل: اللّسانيات الوظيفية، ص137.

أولا: الوظائف الدّلاليّة:

أولا: الوظائف الدّلاليّة: نروم تتبّع علاقات الوظائف بالنسبة لنفسها في بنياتها المستقلة، أو بالنسبة لها في البنيات العامة للجملة، وستبرز هذه العلاقات من خلال التّتبع التراكمي لها في بناء الجملة. وفي الآن ذاته نقدّم مفهمة لهذه الوظائف، ونحاول استقصاء العلاقة من خلال الوظائف التي تفرض علاقتها في الجملة.

ينطلق عمل الوظائف الدلاليّة كما أشرنا، ابتداءً من البنية الدلاليّة/الحملية، فالوظائف الدلاليّة هي التي تعلن البنية الحمليّة، فالبنية الدلاليّة تختزل تعريفًا على أنّها: "تقوم ... حسب النحو الوظيفي على محمول يدلّ على واقعة (عمل أو حدث أو وضع أو حالة) وعدد من الحدود التي تدلّ على الذوات المشاركة في الواقعة الدال عليها المحمول، هذه الحدود بالنّظر إلى أهميّتها بالنسبة للواقعة، صنفان: حدود تسهم في تعريف الواقعة ذاتها (كالحد المنفذ والحد المستقبل والحد المتقبل) وحدود لا يتعدى دورها تخصيص الواقعة من حيث: (الزمان والمكان والحال ...) يصطلح على تسمية الحدود الأولى "موضوعات" وتسمية الحدود الثانيّة لواحق. وتقوم البنية العامة للحمل من محمول وموضوعات ولواحق[1]". ويمكن رصد العلاقة القائمة بين الوظائف الدلاليّة من خلال الأهميّة بالنسبة للمحمول، فتتزاحم حسب الأهميّة في أخذ الرتبة الأولى، وعليه و"استجابة لوسيط المركزيّة أمكن ترتيب هذه الوظائف ترتيبًا جزئيّا يعكس سلميّة الوظائف الدلاليّة، كما يلي:

سلميّة الوظائف الدلاليّة: منف >متق > مستق > مستف> أد > مك > زم[2]". هذه العلاقة الواضحة التي تؤديها الوظائف الدلاليّة في مستوى البنية الحمليّة؛ تعكس:

- علاقة ترتبط بالمحمول: حيث تأخذ الحدود وظائف دلاليّة/أدوار بالنسبة للمحمول.

_ تنقسم هذه الأدوار إلى أدوار ضروريّة تمثّل الموضوعات وأدوار ثانويّة تمثّل اللواحق.

---

[1]– علي آيت أوشان" اللّسانيات والديدكتيك – نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلميّة إلى المعرفة المدرسيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص193،192.

[2]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص224.

_ علاقة بين الأدوار نفسها: إذ؛ تتزاحم الوظائف على كسب حوار المحمول إرضاءً لمقيّداته، فيكون الأمر حسب السلميّة السابقة، وتعقد هذه الوظائف علاقات حتّى مع البنية المكونيّة لأنّ البنية الدلاليّة بنية أساس ستكون حاضرة في كل البنى، وننطلق بعد البيان العلاقي هذا إلى محاولة وضع مفهمة للوظائف الدلاليّة*، توضّح التصور العام.

تنطلق هذه المفهمة من السلميّة التي اقترحها "المتوكل" للوظائف الدلاليّة والتي تترجمها بعض المفاهيم النحويّة العربيّة القديمة، ممّا يجعلنا نتكئ عليها في توضيح مفاهيم الوظائف الدلاليّة. إذ "المتوكل": "يستخلص من كتب النّحاة العرب القدماء أنّ ثمّة علاقات سلميّة تقوم بين أجزاء الجملة التي توارِدُ الفعل، وتقوم هذه العلاقات على مدى أهميّة هذه الأجزاء بالنسبة للفعل♣ (أو درجة اقتضاء الفعل لها) ويمكن صوغ هذه العلاقات في السلميّة (104) :

_ (104) (فاعل> مفعول مطلق> زمان> مكان> حال> مفعول لأجله> مفعول معه)

والتي إذا ترجمت إلى مفاهيم دلاليّة أصبحت السلميّة (105):

– **السلميّة (105):** منف > (مستقبل/متقبل) >حدث> زمان> مكان> حال> علة> مصاحب[1]". وما دام القول يؤول تراثًا عربيًّا، فإنّه سترافق هذه الترجمة توضيحات للمصطلح النحوي العربي؛ انطلاقًا من الناحيّة المعجميّة إلى الفهم المصطلحي النحوي العربي، إلى التقابلات الترجميّة الواردة في القول، إلى التوضيح بالمثال. ويعد الجدول التالي تصديقا لذلك:

---

*– لم تفرد دراسة واضحة للوظائف الدلاليّة في دراسات المتوكل أو أتباع نظريّة النحو الوظيفي، لأسباب مجهولة، قد تكون لكثرة الوظائف الدلاليّة وتنوّعها، أم لأنّها وظائف دلاليّة منطقيّة بديهيّة ... أم أنّ شرحها مربوط بالبنية الحمليّة. إذ توالدت معجما وقواعد تكوين...

♣– لا يهمنا هنا الرتبة وسلميّة الوظائف الدلاليّة بالنسبة لأنماط الجملة فعليّة/اسميّة/رابطيّة أو الإعراب، ما يهمنا من هذا القول، هو التقابلات المصطلحيّة التي نروم بها مفهمة المصطلحات الدلاليّة.

[1]– أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص46.

المصطلح النحوي العربي	المعنى المعجمي	المعنى الاصطلاحي ومثاله	المصطلح الدلالي المقابل له في النحو الوظيفي ومثاله
الفاعل	"هو مشتق (اسم فاعل) من فعل ومن ثمَّ فهو يدلّ على: العامل الذي يقوم بالعمل[1]"	ما أسند إليه عامل مُفرَّغ على جهة وقوعه منه، أو قيامه به[2]" مثل:يذهب فعل/مسند عمر فاعل/مسند إليه -حطم البرد الزجاج. - يتمركز اللاعب قائد الفريق في وسط الميدان.	تقابل الوظيفة الدلاليّة المنفذ الفاعل، إذ؛ المنفذ يسند إليه محمول يدلّ على واقعة (الذهاب) التي لا تقوم: إلاّ إذا نفذها المنفذ. نحو*: - يذهب عمر (يذهب=محمول/فعل). و(عمر=منفذ/موضوع). و"الحدود التي يمكن أن تسند إليها وظيفة الفاعل* هي الحدود الحاملة للأدوار الدلاليّة (المنفذ، الأدوار المحاقلة له (القوة والمتموضع والحائل) والحدث، والمستقبل، والمتقبل، والمكان والزمان[3]". يتّضح من هذا القول أنّ المنفذ يحاقل القوة/المتموضع/والحائل، وعليه تصبح أربعة مصطلحات تقارب الفاعل

[1]- إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندريّة، مصر، ط1. 2002، ص109.

[2]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

=*- يقابل المسند المحمول، ويقابل المسند إليه الموضوع، فالنحو الوظيفي يأخذ بالمصطلحات المنطقيّة (المحمول والموضوع) ينظر: محمد أبو الريان وعلي عبد المعطي محمد: أسس المنطق الصوري ومشكلاته ص170/169. وينظر أيضا: عبد الله بن دجين السهلي: المنطق اليوناني – تأريخه العقدي، وتعريفه ومنهجه العلمي-.

*- الفاعل، في هذا القول هو الوظيفة الوجهيّة في نظريّة النحو الوظيفي.

[3]- أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص40.

		– يحنّ الأب.	بالمنظور النحوي العربي، وأمثلة المصطلحات المحاقلة للمنفذ أتليها في الجمل: – حطمّ البرد الزجاج. – يتمركز اللاعب قائد الفريق في وسط الميدان في الشوط الأول. – يحنّ الأب. وجدير أن نوفّر الشرح لهذه الأمثلة كي تتوهّج هذه الوظائف الدلاليّة إذ تدلّ واقعة الذهاب (المحمول) من قبل عمر (الموضوع) على حركة واضطراب تتبع من عمر/الذات العاقلة/الموضوع، التي تملك أن تراقب هذه الواقعة، إذ وعي (عمر) له الحريّة والرغبة في أن تصير واقعة الذهاب وعدم صيرورتها، ف (عمر) يملك زمام مراقبة الواقعة التي يشارك/يقوم بتنفيذها. فعمر/المشارك: "يكون ... مراقبًا لها إذا توافر لديه إمكان تحقيقها وإمكان عدم تحقيقها على السواء، ويكون بالعكس، من ذلك غير مراقب لها إذا انعدم تحكمه في تحقيقها[1]". في حين أنّ واقعة التحطيم من قبل (البرد) تتبع من البرد/غير

[1]– أحمد المتوكل: قضايا معجميّة، – المحاولات الفعليّة المشتقة في اللغة العربيّة –، ص45.

			العاقل. فالتحطيم صار نتيجة طاقة/قوة طبيعيّة، فالبرد/القوة لا رغبة ولا قصد له في تحطيم الزجاج، فهو لا يتمتع بوعي المراقبة. ويضارع المثال التالي هذا الشرح: انمحى المخطوط، فالمخطوط لا مراقبة له على الانمحاء، وكذا مات الرجل/ فالرجل أيضا لا مراقبة له على الموت، فالمشارك في هذه الحالة يكون متحملاً للانمحاء والموت، أي للواقعة. أمّا الواقعة/التمركز/ المنفذة من اللاعب الذي يراقب وضع قيادة الفريق، ووسط الميدان، والشوط الأول، فاللاعب في هذه الجملة مشارك بدور دلالي يتمثل في التموضع، فهو يحمل الوظيفة الدلاليّة المتموضع، أمّا الأب/الذات العاقلة♣ التي تراقب حنانها الذي يتمثل في حالة شعوريّة تتمّ في الحياة الداخليّة (داخل الوعي الشعور) فالدّور الدّلالي الذي يؤديه الأب يسمى حائلاً لأنّه ينضح بالحنان، أي ذاته تتّسم بحالة[1]. هذا هو إذًا التفصيل الذي يقترحه النحو

♣– هناك أفعال تنحرف بالمنفذ لأن يأخذ وظيفته بسلامة، فتنزاح به معانيًا، أي يضطر لأن يترك وظيفته ويعوض بوظيفة المعاني، ويؤدي إلى هذا الانحراف عدم مراقبة الواقعة، مثل: سمع، رأى... ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص186.

[1]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة – البنية التحتيّة –، ص88.

			الوظيفي للوظيفة الدّلاليّة المنفذ وما يحاقلها (القوة، المتموضع، الحائل) والتي تكاد تضارع الوظيفة النحويّة (الفاعل) بالمنظور النحوي العربي. ويمكن استنتاجًا أن نضع الفهم الذي يملك أن يصف المنفذ وما يحاقله بأنّه: طاقة (غير محدّدة) تثير وتشارك الواقعة كي تنتج نفسها.
المفعول به	"هو مشتق (اسم مفعول) من فعل ومن ثم فهو يدل على من (ما) وقع عليه الفعل[1]"	"هو ما وقع عليه فعل الفاعل[2]" نحو: أهدى الأستاذ الطالب(**م به1**) كتابًا(**م به2**)	يقابل المفعول به (المتقبل والمستقبل)، نحو: أهدى الأستاذ الطالبَ كتابًا، إذ الحدّ المشارك في الواقعة يقوم بدوره الدلالي المتقبل، فهو يتقبل الواقعة التي نفذها الأستاذ، أي الإهداء، فيكون قد وقع عليه فعل الفاعل تقبلاً. وقد استقبل الطالب الواقعة/الإهداء ملكًا. – إذ الكتاب بفعل الإهداء الذي نفذه الفاعل أصبح ملكًا للطالب، فكان الطالب: "الذات التي نقل شيء ما إلى ملكيتها[3]". ونلاحظ أنّه قد اجتمع على المحمول/واقعة الإهداء المتقبل والمستقبل في آنٍ ممّا اضطرّ المستقبل أن

[1]– إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص127.

[2]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة – البنية التحتيّة –، ص88.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

			يتقدّم على المتقبل. إذ يشكّ في نحويّة الجملة*. إذ صيّرناها: أهدى الأستاذ كتابًا للطالب، أهدى الأستاذ للطالب كتابًا. فالجملة أهدى الأستاذ كتابًا للطالب. وإن كانت حالها قليلة المقبوليّة نحويّا كما أشار المتوكل لهذه الصيغ من الجمل إلاّ أنّه لا يمكن التخلي عن هذه الجمل نهائيًّا، وإذا عرضناها على الفحص النحوي العربي القديم تكون مقطعة كالتالي: -أهدى الأستاذ كتابا للطالب هي: (.فعل/فاعل/مفعول به صريح/مفعول به: غير صريح وهو مجرور لفظًا بحرف الجر، منصوب محلاً على أنّه مفعول به غير صريح. على التوالي. والأمر كذلك، نثنّي هذا التقطيع بفحص الأدوار الدلاليّة في الجملة فتكون: أهدى الأستاذ كتابا للطالب. (محمول/منفذ/متقبل/مستفيد) على التوالي. وبالمطابقة بين الفحصين: يكون المستفيد قد التحق بالمفعول به بالمنظور النحوي العربي،

*- نكون بهذه الأمثلة نتوازى مع الأمثلة التي شكك المتوكل في نحويتها، ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص95.

			ونملك بذلك إضافته إلى السلميّة المتوكليّة المترجمة من قبله سابقًا، والمستفيد إذ يتطابق مفعولاً – بالمنظوريّة العربيّة القديمة– يكون بذلك قد وقع عليه فعل الفاعل، ويكون المستفيد من منظوريّة النحو الوظيفي قد وقع عليه فعل الفاعل من خلال استفادته من الفعل الذي نفذه المنفذ*. والمستفيد ينتشر ضمن الحدود اللواحق، إذ؛ نملك حذفه من الجملة دون إلحاق أيّ ضرر "أهدى الأستاذ كتابًا" وذلك خلافًا للمستقبل إذ لا يمكن حذف الموضوع الطالب: أهدى الأستاذ الطالب كتابًا. (الطالب=مستقبل). ويظهر لنا أنّ العلاقة بين المستقبل والمستفيد علاقة ليست بالخلافيّة، إذ؛ هي علاقة وفاقيّة دلاليًّا. – وهذا ما ترجحه مفعوليتها بالمنظوريّة العربيّة القديمة، ويتحقّق التّوافق الدلالي بتأمّل المكونين (المستقبل والمستفيد) في الزوج الجملي: – أهدى الأستاذ الطالب كتابًا.(الطالب=

*– ونحن نشرح المتقبل والمستقبل، ننطلق من التصور العربي للوظيفة المفعول وليس من تصور نظريّة النحو الوظيفي، للوظيفة الوجهيّة المفعول، – لذلك ننبه أمنًا للبس – فالوظيفة الوجهيّة المفعول في نظريّة النحو الوظيفي في علاقتها بالوظائف الدلاليّة تملك أن: تسند ... إلى الحدود الحاملة للوظائف الدلاليّة (المستقبل، والمتقبل، والحدث، والزمان والمكان) دون الحدود الأخرى. ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة ، ص111.

			مستقبل). – أهدى الأستاذ كتابًا للطالب . (الطالب=مستفيد).
المفعول المطلق	**نفسه**	"هو المصدر، وسمي مطلقًا؛ لأنّه لم يقيّد بحرف جر كالمفعول به وله وفيه [1]" نحو: – علمني الأستاذ تعليمًا. (تعليما=م.مطلق) – كرّرت الحفظ كرتين.(كرتين=م.مطلق) – مررت مرور الكرام. (مرور=م.مطلق) – تضافرًا مع العزاويين. (تضافرًا=م.مطلق).	ويقارب الوظيفة الدلاليّة الحدث في نظريّة النحو الوظيفي، ومثاله: – علمني الأستاذ تعليمًا. (تعليمًا=حدث) – كرّرت الحفظ كرتين.(كرتين=حدث) – مررت مرور الكرام. (مرور=حدث) – تضافرًا مع العزاويين. (تضافرًا= حدث). وقد وقعت الواقعة التي نفّذها المنفذ تأكيدًا وبيان عدد ونوع، وهي إذ؛ تقع تكون تستثمر محمولها ازدهارًا والذي تتعالق معه جذرا، إذ تزدهر الواقعة أو تتعالى حدثا حتى تتمصدر، وهي إذ تتمصدر تكون قد ازيّنت ثباتًا وقرارًا مطلقًا، ويكون بذلك دورها الدلالي الازدهار بالواقعة/المحمول وقيادتها إلى التأزم والتوتر النهائي.

[1]– إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص127.

المفعول فيه (الزمان والمكان)	**نفسه**	المكان والزمان/أو المفعول فيه: "هو الذي نسميه ظرف الزمان والمكان، وقد سميّ مفعولاً فيه لأنّه لا يتصور وجود مكان أو زمان دون أن يكون هناك حدث يحدث فيهما، ولذلك يقدرون الظرف بأنّ معناه حرف الجر (في) فأنت حين تقول: حضر علي يوم الجمعة، فإنّ معناه: حضر علي في يوم الجمعة. ولعلّه سميّ ظرفًا لأنّ المكان أو الزمان إنّما هو وعاء يحتوي الحدث أي أنّه ظرف والحدث مظروف فيه[1]". أو "هو	نفس التسميّة يؤخذ بها فتتقارب الوظيفتان الدلاليّتان (المكان والزمان) وفق المنظوريّة العربيّة القديمة (المفعول فيه/الزمان والمكان) فالمكان يشارك الواقعة/المحمول، إذ؛ يحتضنها مأوًى تتمّ فيه، فلا يتصور الوقائع تتمّ دون مكان، ولا يتصور مكان لا تتمّ فيه وقائع، فالمكان يحتضن ويحتوي الواقعة، فالمكان ظرف والحادثة مظروفة، فتكون الباخرة ظرفًا يحتضن الواقعة المظروفة المتمثلة في المجيء والتي نفّذها الأب في الجملة. جاء الأب في الباخرة، فواقعة المجيء استقرت في الباخرة فالمكان إذًا هو: "الموضع الذي يستقرّ فيه شيء ما[1]". أمّا ظرف الزمان (في الصباح) في الجملة (جاء الأب في الصباح) فهو حدّ زماني احتوى واقعة المجيء التي نفذها الأب، وبالمطابقة مع تعريف المتوكل للمكان يكون الزمان: هو الوقت الذي تحدث فيه واقعة ما، فالمفعول فيه/ الزمان والمكان وقعت عليهما

[1]– عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1986، ص240.

		ما ضُمِّن من اسم وقت معنى "في" باطراد لواقع فيه ولو مقدرًا ناصب له[1]".	الواقعة التي نفّذها المنفذ موضعًا ووقتًا، إذ يمثلان الفضاء الزماني والمكاني للواقعة كي تتمّ.
المفعول لأجله/ له	**نفسه**	"مصدر قلبي يذكر لبيان ما فعل الفعل لأجله[3]". أو: "لأنّه مصدر يأتي لبيان سبب الحدث العامل فيه، ولا بدّ أن يشاركه في الزمان وفي الفاعل، فأنت حين تقول: – قمت إجلالاً لأستاذي. أي أن المفعول لأجله هنا وهو (إجلالا) عبارة عن مصدر، وهو يعلّل الحدث الذي قبله وهو القيام، وهو يشاركه في الزمان لأنّ القيام	ويقارب الوظيفة الدلاليّة العلّة إذ؛ الحدّ "إجلالاً" في الجملة: "قمت إجلالا لأستاذي" جاء لبيان سبب عليّة تنفيذ المنفذ لواقعة القيام، فالعلّة تشارك الواقعة من حيث سبب حدوثها، فالواقعة تكون بالنسبة للعلة سببًا، فالعلّة تفسّر الطاقة التي قام بها المنفذ.

[2]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة (البنية التحتيّة)، ص88.

[1]– إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص127.

[3]– إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص127.

		والإجلال حدثا في وقت واحد، ويشاركه في الفاعل لأنّ القيام والإجلال كانا من الفاعل الواحد[1]".	
المفعول معه	**نفسه**	"اسم فضلة وقع بعد واوٍ، بمعنى "مع" مسبوقة بجملة، ليدلّ على شيء حصل الفعل بمصاحبته (أي: معه) بلا قصد إلى إشراكه في حكم ما قبله، نحو: "مشيت والنهر[2]".	يقابل المفعول معه (الزمان/المكان) الوظيفة الدلاليّة المصاحب وقد قدّم المتوكل مثالاً للمصاحب في للجملة "سير والنيل[3]". فالعلاقة بين المصاحب/النيل والواقعة/سير، هي أنّ المصاحب قد حصلت الواقعة بمصاحبته للمنفذ. فهو يشارك/يقوم، بدور دلالي يتمثل في حضوره والواقعة تنفذ من قبل المنفذ.
الحال	"الحال: كيفيّة الإنسان،	"وصف، فضلة، مذكور، لبيان الهيئة للفاعل أو المفعول[5]".	يقابل الحال في نظريّة النحو الوظيفي، ويتعلّق أكثر بالمنفذ إذ يحمل مراقبة هيئته، ويأتي مساعدًا للواقعة كي تتمّ إذ يبيّن هيئة

[1]– عبده الراجحي، التطبيق النحوي، ص236.

[2]– مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربيّة، موسوعة في ثلاثة أجزاء، دار الحديث، القاهرة، 2005، ص482.

[3]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص40.

[5]– المرجع ننفسه، 109.

	وهو ما كان عليه من خير أو شرّ يذكر ويؤنث والجمع أحوال (على التذكير) وحالات على التأنيث[1]"		المنفذ وهو ينفّذ الواقعة، فيحدّد هيئة المنفذ بدقّة وهو يقوم بطاقة كي يحدث الواقعة، مثل: جاء الدبلوماسي فرحًا، فالحد اللاحق فرحًا يحمل همّ مراقبة المنفذ إذ يصف حالته، وفي الآن ذاته يساعد الواقعة إذ؛ يحدّد المجيء الذي أثاره المنفذ بأنّ فيه فرحة، إذ؛ الدبلوماسي قد يكون، هدأ وضعًا أو...

وبهذا نكون قد باشرنا توضيح الترجمة المتوكليّة للسلميّة التي تتقابل فيها الوظائف الدلاليّة في نظريّة النحو الوظيفي، مع الوظائف النحويّة في التصوّر النحوي العربي القديم، إلاّ أنّه يجب أن ننتبه إلى وجود وظائف دلاليّة كثيرة نملك أن نضيف بعضًا منها، والتي صادفتنا في كتب المتوكل: فمثلا الجملة: "مررت بالسيارة" أو الجملة المتوكليّة: "واجهت الموقف بأن أمسكت عن الكلام" فالحمل/الحد المدمج "بأن أمسكت عن الكلام". يحمل وظيفة دلاليّة تسمى الأداة[3]. إذ؛ "الإمساك عن الكلام" مثّل: أداة لمواجهة الموقف، والمرور بالسيارة مثل: أداة المرور. وإذ ذاك نكون نشارك المرور والمواجهة "أداة". في حين أن

[1]– إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، ص109.

[3]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، ص102.

الجملة المدمجة "لأن يصبح طيارًا" تمثل الوظيفة الدلاليّة الهدف في الجملة "يصبو خالد لأنّ يصبح طيارا[1]". إذ؛ تشارك الصبوة هدفًا، والوظيفتان تتفجران مفعوليّة بالرؤيّة النحويّة العربيّة القديمة. ويمكن للجمل التي قبيل الجملة: "أطلق الشرطي النار على الجاني" و"توالدت الفكرة من الأستاذ" أن تستمر بنا وظائف دلاليّة*: إذ يمثل الحدّ "على الجاني" اتجاهًا، ويمثل الحد "من الأستاذ" مصدرًا. فالحد "على الجاني" وقع عليه فعل المنفذ من حيث أنّه حدّد اتجاه الواقعة، إذ؛ حدّد اتجاه إطلاق النار، فالحد "على الجاني" "هو الذات التي ينتقل شيء ما نحوها[2]" ، والحد "من الأستاذ" وقع عليه فعل المنفذ من حيث إنّه حدّد مصدر الواقعة، إذ حدّد مصدر توالد الفكرة فالحد "من الأستاذ" والأمر كذلك هو: "الذات التي ينتقل شيء ما منها[3]". ويمكن أن نعدّ هذه الوظائف فروعا وأغراضا للوظائف الدلاليّة التي تقابل باب المفعوليّة في التراث النحوي العربي القديم.

حاولنا أن نتصدّى لتوضيح علاقة الوظائف الدلاليّة ببعضها في مستوى البنية الحمليّة، ومحاولة تقديم تصور يحاول أن يُمفهم هذه الوظائف، وقبل أن نغادرَ إلى الوظائف التركيبية، نشير إلى مبدإ هام عادة ما يجمع بين الوظائف الدلاليّة ويدعم العلاقة بينهما، وهو العطف الذي يؤَاخي بين الحدود الدلاليّة، وينهض بالعطف مبدأ التناظر الذي يمثل القيد الدلالي بالنسبة للحدود، إذ؛ قيد التناظر بالنسبة للأدوار الدلاليّة يقتضى ضرورة وجوب

---

[1]– المصدر نفسه، ص103/102.

*– يمكن أن تتناسل من الجملة التي من قبيل "توالدت الفكرة من الأستاذ "وظائف دلاليّة/أغراض دلاليّة فروع/خصائص دلاليّة، فالجملة "انتقل النحو من البصرة إلى الكوفة" إذ الحد من البصرة يمثل الوظيفة الدلاليّة المصدر، ونملك أن نخصّصها بدقة وفق الأغراض الدلاليّة الفروع: بالوظيفة الدلاليّة الابتداء المكاني، والحدّ إلى الكوفة الذي حدّد اتجاه الانتقال إلى الكوفة؛ نملك أن نخصّصه بالغرض الدلالي الفرعي: الانتهاء المكاني، وبالسحب الظرفي دائما، أي على الزمان تكون الجمل التي من قبيل: "انتقلت من عصر الجهل إلى عصر النور، فالحد من عصر الجهل يمثل الغرض الدلالي: "الابتداء الزماني". والحد من عصر النور "يمثل الغرض الدلالي الانتهاء الزماني"، وهي طبعًا؛ كلّها أغراض تدخل ضمن الاتجاه والمصدر والتي تؤول مفاعيل في نهاية الأمر؛ فالقرائن جعلتها تنحرف أغراضا دلاليّة.

[2]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة–البنية التحتيّة– ، ص88.

[3]– المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

إذ؛ "يجب أن يكون الحد المعطوف (أو الحدود المعطوفة) والحد المعطوف عليه حاملين لنفس الوظيفة الدلاليّة"[1]. ويقتضي ضرورة مجوّزة إذ: "يجوز العطف بين الحدود المتباينة معنى وإحالة كما يبين من الجملتين (29). (29) أ. تعلمت القراءة والحساب، (ب) قابلت زيدًا وعمرًا[2]".فالعطف يشكل أحد الأدوات الهامّة التي لا يملك اللّسان البشري أن يتفاداها.

ونحاول الآن أن ننتقل إلى فهم علاقة الوظائف التركيبيّة وتحقيق فهم الوظائف التركيبيّة، وفي الآن ذاته نستكمل علاقة الوظائف الدلاليّة في مستوى البنية التركيبيّة انطلاقًا من الإثارات التي تتقدّم بها الوظائف التركيبيّة وذلك حتى لا نكرّر شرحها، إذ؛ ما شرحناه ها هنا كان شرحًا تمّ في مستوى البنية الحمليّة، وبتراكم الجملة من حيث الوظائف نعرض للعلاقات كلٌّ في بنيته. دون أن ننسى أنّ الوظائف المسندة أولاً تبقى تلاحق الجملة حتّى نهاياتها، أي؛ حتّى استكمال نفسها مكونيّا. وتكون حاضرة في مراحل سيرها بناءً.

[1]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص182.

[2]– المصدر نفسه، ص182.

ثانيا- الوظائف الوجهيّة/التركيبيّة:

(الفاعل والمفعول):

ثانيا- الوظائف الوجهيّة/التركيبيّة: (الفاعل والمفعول):

تُبنى العلاقات التركيبيّة من خلال التّشيّيد الذي أقامته العلاقات الدلاليّة، ومن خلال انطلاق العلاقات التركيبيّة من العلاقات الدلاليّة، تحدث علاقة بين الوظائف التركيبيّة والدلاليّة، ونكون بذلك أمام تطور للوظائف الدلاليّة ممّا يحتّم علينا رصد العلاقة التطوريّة لهذه العلاقات الدلاليّة في الآن الذي نباشر فيه علاقة الوظائف التركيبيّة بالنسبة للدلاليّة، وعليه نكون قد رصدنا التضافر الدلالي الوجهي للجملة.

ننطلق في الأسطر التاليّة ونحن نحاول رصد التضافر بين العلاقات الوجهيّة والدلاليّة، وكيف أنّ العلاقات الوجهيّة تحاول بناء ومفهمة نفسها انطلاقًا من العلاقات الدلاليّة؟

ويمكن أن نتدرج بالجملة من البنية الحمليّة إلى البنية الوجهيّة لنحدّد فهمًا للوظائف الوجهيّة إذ؛ تبنى من المحمول وصولاً إلى الأدوار الدلاليّة أو الوظائف الدلاليّة كما أسلفنا الشرح، وإذا كانت الوظائف الدلاليّة تشارك الواقعة أدوارًا مختلفة، فإنّ الواقعة تتحدّد بدقّة من خلال الوظائف الدلاليّة التي تحدّد وجهتها أي وجهة الواقعة، ممّا يجعل الأدوار الدلاليّة تنقسم حدودًا وجهيّة وحدودًا غير وجهيّة من حيث المجال العام، وفي الآن ذاته تنقسم الحدود الوجهيّة إلى حدود توجه الواقعة وهي رئيسيّة وحدود توجه الواقعة وهي ثانويّة، فتكون الحدود الوجهيّة إذ ذاك؛ تحمل منظوريّة رئيسيّة ومنظوريّة ثانويّة. ويقترح النحو الوظيفي أن يسند الفاعل إلى المنظور الرئيسي ويسند المفعول إلى المنظور الثانوي[1]". وبذلك: "تسند الوظيفة الفاعل إلى الحد الذي يشكل المنظور الرئيس للوجهة التي تقدّم انطلاقًا منها الواقعة الدّال عليها محمول الحمل[2]". و"تسند الوظيفة المفعول إلى الحد الذي يشكل المنظور الثانوي للوجهة التي تقدم انطلاقًا منها الواقعة الدّال عليها محمول الحمل[3]". وتدخل الحدود إلى

---

[1]- أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص19/18/17.

[2]- المصدر نفسه، ص19.

[3]- أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص19،20.

الوجهة حسب عمليّة التوجيه إذ؛ التوجيه: "العمليّة التي يتمّ بها إدخال حد من حدود الحمل في مجال الوجهة[1]". ويتفرع التوجيه غير أنّنا نملك أن نلملمه في[2]:

1. **التوجيه الدائم:** ويشمل الحدود التي تثبت وجهة الواقعة: المنفذ وما يحاقله والمستقبل.
2. **التوجيه المتأرجح:** ويشمل الحدود التي تتأرجح موجهة للواقعة وغير موجهة: الحدث، الزمان والمكان، المتقبل.
3. **اللا توجيه:** ويشمل الحدود التي لا تملك أن توجه الواقعة: الحال والعلّة والمصاحب.

وانطلاقًا من العمليّة الوجهيّة تضبط السلميّة المتوكليّة التاليّة، العلاقة الدقيقة بين الوظائف الدلاليّة والوظائف الوجهيّة/التركيبيّة من حيث الإسناد؛ إذ يمكن دمج أو تركيب سلميّة الفاعل[3] والمفعول[4] كالتالي:

(منف، قو، متض، حا)> مستق> متق> (حد، زم، مك) > مستف> حل> عل> مصا								
ف	+	+	+	-	-	-	-	-
مف	-	+	+	+	-	-	-	-

نملك أن نعلّق بأنّ الوظائف الدلاليّة المؤشر لها بـ (+) تملك بأن تستقبل إسناد الوظائف الوجهيّة (الفاعل والمفعول) في حين أنّ الوظائف الدلاليّة المؤشر لها بـ (–) هي وظائف لا تملك استقبال إسناد الوظائف الوجهيّة، فهي وظائف مقصاة العلاقة مع الوظائف الوجهيّة التركيبيّة. ويشير المؤشر (>) إلى التزاحم والتسابق الحاصل بين الوظائف الدلاليّة في استقبال الوظائف الوجهيّة الفاعل والمفعول*. ... – والحال هذه – يتضح التعالق أو

---

[1]– المصدر نفسه، ص30.

[2]– المصدر نفسه، ص31،30.

[3] – أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص23. وأيضا دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص42.

[4]– أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص24.

*– يؤشر للفاعل ب (فا) وللمفعول بـ (مف) كما في السلميّة السابقة.

– توجد سلميّة أخرى دقيقة تذكر إلاّ الحدود الدلاليّة المتعالقة إسنادًا مع الوظائف الوجهيّة ولا تذكر الحدود المقصاة وهي:

التضافر بين الوظائف الدلاليّة والتوجيهيّة/ التركيبيّة، إذ بهذا التضافر أو العلاقة الدلاليّة التركيبيّة تجهزّ البنية الوظيفيّة الجزئيّة، والتي نملك أن نمثل لها بالجملة*: "أخذ عمر الدرس البارحة في المدرج"، والتي نصيّرها بنيّة وظيفيّة جزئيّة: أخذ ف(س1: عمر (س1)) منف فا (س2: درس (س2)) متق مف (س3: بارحة (س3)) زم(س4: مدرج (س4)) مك.

وبهذا النّضج الوظيفي الجزئي نملك أن نعقد علاقة أو نبحث العلاقات القائمة بين الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والوظائف التداوليّة، ونحن إذ؛ نفعل ذلك، نحاول تحقيق مفهمة للوظائف التداوليّة، ورصد التضافر بينهما وبين الوظائف التركيبيّة والدلاليّة، أي؛ بحث العلاقات القائمة. وفي الوقت ذاته نكون رصدنا علاقة الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة في محطتها المناسبة مع الوظائف التداوليّة وإذ ذاك نكون تفادينا تكرار شرحنا للعلاقات.

	متف>	مت>	مستق>	متق>	أد>	مك>	زم
فا	+	+	+	+	+	+	+
مف	+	+	+	+	+	+	+

وينظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص16.

*- الجملة الفعليّة هذه مختارة فقط، إذ؛ نملك الإسناد للجملة الاسميّة والرابطيّة كالجمل: "شوقي شاعر"، "كان شوقي شاعرًا".

ثالثا – الوظائف التداوليّة:

ثالثا- الوظائف التداوليّة: نكرّر القول بأنّه "إذا كانت الوظائف الدلاليّة تحدّد دور موضوعات المحمول ولواحقه في الواقعة وكانت الوظيفتان التركيبيّتان ترمزان إلى الوجهة المعتمدة في تقديم الواقعة، فإنّ الوظائف التداوليّة تحدّد وضع المكوّنات داخل البنية الإخباريّة[1]". فالوظائف التداوليّة ومن موقع الوضع التخابري، تروم حمل التعالق بين المقام والمقال، فالمكوّن المسندة إليه وظيفة تداوليّة يربط بين البنية والمقام، فعلاقات الجملة تداوليّا تحمل رصد علاقة المتكلم بالمخاطب في ظروف مقاميّة معيّنة، فأهميّة هذه الوظائف في النحو الوظيفي بالغة إذ تشكل وضوحًا وحسمًا في فهم الجملة من خلال الحيويّة التواصليّة التي تكمن فيها، فمهمتها: "تكمن... في تحديد الوضع التخابري للمكونات داخل المحيط التواصلي الذي تستعمل فيه، ويتشكل الموقف التواصلي من الخلفيّة الإخباريّة لدى المتكلم والمخاطب، والخلفيّة الاجتماعيّة الثقافيّة التي تحكم عمليتي الإنتاج والفهم[2]". وتكمن أهميتها بالنسبة للبنيّة الوظيفيّة أنّها: "تنقل البنية الوظيفيّة الجزئيّة إلى بنيّة وظيفيّة تامة[3]".

والوظائف التداوليّة من حيث علاقتها بالحمل تنقسم قسمين: وظائف داخليّة ووظائف خارجيّة، فتعدّ وظائف داخليّة تلك الوظائف التي تسند إلى مكون من مكونات الحمل، أو تسند إليه كله، فيكون بذلك الإسناد الأول، إسناد مكون، والإسناد الثاني إسناد جملة. والوظائف الداخليّة تشمل: (البؤرة، والمحور). في حين أنّ الوظائف الخارجيّة والتي تشمل: (المبتدأ والذيل والمنادى)، فإنّها وظائف يتحدّد وضعها بالنسبة للحمل أو إلى المحمول لو شئنا الدقة، بأنّها وظائف تسند إلى المكونات الخارجيّة عنه، وتكون بذلك الوظائف التداوليّة خمس وظائف، اثنتين داخليتين وثلاث خارجيتين، وفي هذا يقول "المتوكل" مستجمعًا إيّاها: "تنحصر الوظائف التداوليّة في النحو الوظيفي، في خمس وظائف. وتقسّم بالنّظر إلى وضعها بالنسبة للحمل قسمين: وظائف خارجيّة ووظيفتين داخليتين. تسند الوظائف الخارجيّة

[1]- أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي - الأصول والامتداد -، ص93.

[2]- نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص226.

[3]- المرجع نفسه: الصفحة نفسها.

إلى المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل ذاته، أي الوظيفة "المنادى" والوظيفة "المبتدأ" والوظيفة "الذيل". أمّا الوظيفتان الداخليتان فهما الوظيفتان اللّتان تسندان إلى مكونات تعدّ عناصر من عناصر الحمل ذاته (موضوعات المحمول أو لواحقه. فالوظيفتان الداخليتان هما الوظيفتان: "البؤرة" و "المحور[1]".

يتمركز بالنسبة للوظائف التداوليّة الكلمتان (الداخليّة والخارجيّة) ولعلّه من الضروري جدًّا توضيح الوصف الداخلي والوصف الخارجي للوظائف. وما السرّ وراء هذا التصنيف؟

فملك التصنيف أن انطلق من قرائن لفظيّة وقرائن مقاميّة في تحديد نفسه، كيف ذا وأنّ هذه الوظائف تُجمِع بين البنية والمقام؟.

ينطلق التصنيف في البنية التحتيّة في أنّ الحمل يُصَورَن بتحديد محموله ومقولته التركيبيّة ومحلات حدوده، وعلاقة المحمول بـ محلات حدوده الموضوعات من خلال قيد الانتقاء وصولاً إلى تقليد الحدود بالأدوار الدلاليّة التي تضمن للواقعة الانتشار والتفجّر[2]". ويصل في البنية الوظيفة بإسناد الوظائف (التركيبيّة والتداوليّة) وقواعد تحديد مخصّص الحمل[3] وأسلفنا بالنسبة للوظائف التداوليّة أنّه يخرج من الداخليّة الحمليّة/الوظيفيّة: المكون المبتدأ والذيل والمنادى. ذلك أنّ هذه المكونات لا توافق العلاقات الوفاقيّة الداخليّة الحمليّة.[4].فهي ليست مكونات تشكل موضوعا من موضوعات المحمول، فهي والحال هذه بالتالي لا تخضع لقيود انتقائه وإذ ذاك تكون تختلف معه. فلا تصاب هذه المكونات في البنية الوظيفيّة بـ مخصّص الحمل/القوة الإنجازيّة للسبب السابق. فالقوة الإنجازيّة جاءت لتنصّب على الحمل، وهذه المكونات تتخلّف عن الفعل الإنجازي الحملي.

---

[1]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة – مدخل نظري –، ص139.

[2]– أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص33.

[3]– علي آيت أوشان، اللسانيّات والبيداغوجيا، ص60.

[4]– ينظر الشرح الذي تكفلّ به المتوكل بالنسبة لوظيفة المبتدأ. في كتابه: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص126،122.

تعدّ هذه الأسباب قرائن تدلّ على الداخليّة الحمليّة والوظيفيّة. لكن هذا لا يعني أنّ هذه المكونات الخارجيّة أتت من فراغ، إذ لا تربطها أيّة علاقة بالتكوين الداخلي، إذ مهما كانت الجملة إلاّ وهناك علاقة تربط هذه المكونات بالتكوين الداخلي، إذ المكونات جميعها تتضافر علاقات، وعليه فإن لم تكن هناك قرائن لفظيّة تدلّل على علاقة فالصمت المقامي أبلغ تدليلاً على أنّ هناك علاقة بين المكونات الخارجيّة والداخليّة، إذ يطلب هذا الصمت التحتي المقامي كلامًا يفسّر من قبل المحلّل اللّساني، فبالنسبة لحتميّة وجود العلاقات بين المكونات الداخليّة والخارجيّة يوفر "المتوكل" لوظيفة المبتدأ مثلاً: "تستخلص من مجموعة الملاحظات هذه أنّ المبتدأ وظيفة تداوليّة خارجيّة فعلاً. غير أنّ هذا لا يعني أنّ المبتدأ لا يشكل جزءًا من الجملة ولا يعني أنّه مستقل عنها الاستقلال الذي يُبيح أن تلي أيّة جملة أي مبتدأ.

لقد لاحظنا، ونحن نعرّف المبتدأ، أنّ من عناصر هذا التعريف الأساسيّة أن يكون الحمل واردًا بالنسبة "لمجال الخطاب" ومبدأ الورود هذا يحتّم أن تكون ثمّة (بين المبتدأ والجملة التي تليه) علاقة تجعل الجملة صالحة لأن تحمل على المبتدأ كما نرى من الجملتين (36أ ـــــ ب): 36 (أ)* السيارة، تفتحت أكمامها.

(ب)* الوردة، نجا سائقها من الموت.

في المقابل (37 أ ب):

(أ): السيارة، نجا سائقها من الموت.

(ب): الوردة، تفتحت أكمامها[1].

فيظهر من خلال هذا أنّ المبتدأ يرتبط لفظيّا ومقاميًّا من خلال:

– موالاة الجملة التي تأتي بعد المبتدأ للمبتدأ.

[1]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص126/125.

– في أغلب الحالات يردّ ضميرا يعود على المبتدأ. (أكمامها)

– بالإضافة إلى الوضعيّة المقاميّة،

– إذ نكرّر القول بأنّ نظريّة النحو الوظيفي تتجهز بنيتها استنادًا إلى المقام؛ لا سيما أنّ المبتدأ هو الذي يحدّد مجال الخطاب. وبالنسبة للذيل نكرّر نفس العوامل:

– إذ يوالي المكون الذيل الحمل فيأتي خادمًا له. مثل: تخلفوا +اللاعبين. فاللاعبين خادمة للحمل، فلا يمكن أن تأتي الجملة على الشكل، تخلفوا، الشمس.

– بالإضافة إلى الوضعيّة المقاميّة إذ؛ الذيل يأتي، موضّحًا أو مصحّحًا أو معدّلاً لمعلومة داخل الحمل،

وجدير بالذكر أن نرافع من أجل درجة داخليّة الذيل والابتعاد عن درجة الخارجيّة بالنسبة للمبتدأ والمنادى إذ: "يلاحظ "سيمون ديك"... أنّ المكون الذيل، على أنّه مكون "خارجي" يظل مرتبطا بالحمل أكثر من المكونين الخارجيين الآخرين (المبتدأ والمنادى)[1]". فالذيل كما أشرنا سابقًا له علاقة وطيدة بالحمل بنيويًّا ومقاميًّا، إذ؛ بنيويًا يرافق الضمير الذيل ضرورة على خلاف المبتدأ، ويأخذ إعرابه إرثًا من المكون الحملي، الذي يوضّح أو يعدّل أو يصحّح معلومته، فالقرابة قرابة إرثٍ، فإذا كان المكون الحملي يأخذ إعرابه أصالة، فإنّ الذيل كأحد أقربائه يرثها عنه، ويحكم هذا الارتباط البنيوي، الوضع المقامي الذي ينطلق من زاويّة التّوضيح والتصحيح والتعديل[2]. ومن القرائن التي تؤشر لدخول المنادى في علاقة مع الحمل ممّا يؤسّس لداخليّته هو[3]:

_ يسند إلى كائن حي، حتىّ يخدم الحمل.

---

[1]– المصدر نفسه، ص149.

[2]– أحمد المتوكل، الوظائف التداوليّة للغة العربيّة، ص152،149.

[3]– المصدر نفسه: ص165/164.

_ يحيل على المخاطب.

نمثل: للقيد الأول بـ (1) يا تلفاز، حضر محمد. (2) يا أخي، جاء أبي. فالجملة (1)لاحنة بالنسبة للجملة (2). ذلك أنّها لا تخدم الحمل.

ونمثل للقيد الثاني: بالجملة (1) يا بلال (1)، أعذرت أخاه (1).

(2) يا بلال(1)، أعذرت أخاك (1).

فالجملة (1) لاحنة لأنّها متناثرة إحاليّا، في حين أنّ الجملة (2) تتفجر صحة ذلك أنّها تتواصل بحميميّة إحاليّة، فالحمل يتواصل بالمنادى بأن جعل في بنيته ضميرًا يعود على المنادى. وتلملم هذه الروابط جميعها الوضعيّة المقاميّة التي توطّد علاقة المكون المنادى بالتركيبة الحمليّة، إذ؛ يمكن صياغتها لماذا نوديَ على المنادى؟

فهذا السؤال ينتشر داخل جميع مكونات الجملة.

هذا إذًا من حيث علاقة الوظائف الدلاليّة من خلال وضعيتها بالنسبة للمحمول.

ننطلق الآن ونحن نروم مباشرة الوظائف التداوليّة مفهمةً وتباينًا لعلاقتها بالوظائف الدلاليّة والتركيبيّة، أو فهم علاقة الوظائف بالوظائف، أي؛ في مستوى البنية الوظيفيّة.

فنقف عند كلّ وظيفة من الوظائف الخمس تفصيلاً:

1-الوظائف التداوليّة الداخليّة:

أ. **البؤرة:** تناولت التحليلات اللّسانية على المكون الوظيفي البؤرة، وقد امتاز هذا المكون بالمرونة، ذلك أنّه مكوّن في حالة نشاط وتفاعل، فهو يجمع بين البنية والمقام، إذ؛ المقام حالته لا تثبت من شدة النشاط والتفاعل، وبعد زمن من اجتهاد أعلام نظريّة النحو الوظيفي عليه، ومتابعة التفاعل المقامي اتجاهه، قدمه

"المتوكل". – والمتوكل إذ؛ يفعل ذلك يكون قد طوّر دراسة حول المكون البؤرة في كتابه الوظائف التداوليّة –. في الخطاطة التاليّة التي تلملم تفرعاته المقاميّة[1].

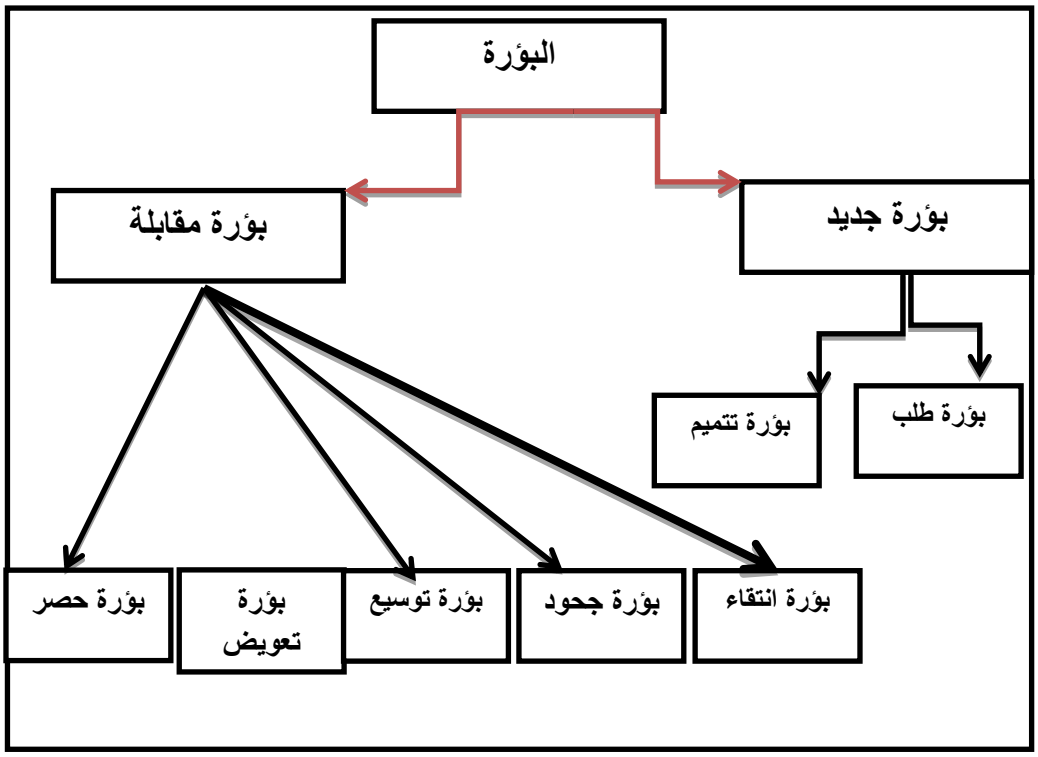

والتي تتجدول مفهمةً كالتالي:

نوع البؤرة	المفهمة والتوضيح
البؤرة	وتستند إلى المكون: "الحامل للمعلومة الأكثر أهميّة أو الأكثر بروزًا في الجملة[2]".وهي "التي يعتقد المتكلّم أنّها أحرى بأن تدرج في مخزون معلومات المخاطب[3]". والوضع كذلك، فالبؤرة تعبّر عن حالة كل من المتكلم والمخاطب تجاه المعلومة، وإذ ذاك "فالمعلومة البؤريّة تنتمي إلى الحيّز الذي يشكل الفرق بين مخزون المتكلم ومخزون المخاطب[4]". ويوضّح القول التالي هذا القول إذ يفصّل حالة المعلومة، إذ الفرق لا ينحصر: "في المعلومات

[1]– أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية –بنية الخطاب من الجملة إلى النص– ص 118,

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص28.

[3]– أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية – بنية الخطاب من الجملة إلى النص– ، ص116.

[4]– المصدر نفسه، ص117.

	الجديدة بالنظر إلى مخزون المخاطب فحسب، بل كذلك في المعلومات التي لا تتطابق؛ أي في معلومات المخاطب التي لا توافق معلومات المتكلم، مؤدّى ذلك أنّ ما يمكن أن يضيفه المتكلم إلى مخزون المخاطب ليس معلومات جديدة لا يملكها المخاطب فحسب بل كذلك معلومات تعدّل أو تصحّح أو تعوّض معلومات في مخزون المخاطب يعدّها المتكلم متوجهة للتعديل أو التصحيح أو التعويض[1]".
بؤرة الجديد (طلب+تتميم)	وتسند إلى المكون: "الحامل للمعلومة التي يجهلها المخاطب (المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب". أو تسند إلى: "المكون الحامل للمعلومة التي لا تتوافر في مخزون المتكلم "بؤرة طلب" ولا في مخزون المخاطب (بؤرة تتميم) واقترحنا تسميتها في الحالة الأولى "بؤرة طلب" لأنّ المتكلم يطلب من المخاطب أن يمدّه بمعلومة لا تتوافر في مخزونه وتسميتها في الحالة الثانية "بؤرة تتميم" لأنّ المكون المعنى بالأمر يحمل معلومة تتمّم مخزون المتكلم، وربّما كان من الأنسب، أن نطلق على فرعي بؤرة الجديد "بؤرة استتمام وبؤرة تتميم على التوالي[2]".
بؤرة المقابلة	هي: "البؤرة التي تسند إلى المكون الحامل للمعلومة التي يشكّ المخاطب في ورودها أو المعلومة التي ينكر المخاطب ورودها[3]".
بؤرة الجحود	"تسند إلى المكون الحامل لمعلومة من معلومات مخزون المخاطب يعدها المتكلم غير واردة وترد عامة في سياق النفي[4]".

[1]– المصدر نفسه، ص118.

[2]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفة –بنية الخطاب من الجملة إلى النص– ص119.

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص29.

[4]– أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللّسانيات الوظيفة –بنية الخطاب من الجملة إلى النص– ص119.

بؤرة التعويض	"وتكون بالنسبة لبؤرة الجحود إذ "يعوضّ المتكلم المعلومة التي يراها غير واردة بمعلومة أخرى فتسند بؤرة التعويض إلى المكون الحامل لهذه المعلومة[1]".
بؤرة الحصر	"ترد... في السياقات التي يكون فيها مخزون المخاطب متضمنًا لمعلومة واردة ومعلومة يعدها المتكلم غير واردة[2]".
بؤرة الانتقاء	" تسند إلى المكون الحامل للمعلومة المنتقاة من بين مجموعة من المعلومات على اعتبار أنّها المعلومة الواردة[3]".
بؤرة التوسيع (بؤرة الإضافة)	سميت بؤرة الإضافة في كتاب الوظيفة والبنية" "تسند... إلى المكون الدّال على المعلومة المضافة إلى الرصيد الإخباري السابق للمخاطب[4]".

وتعدّ الأمثلة التي تُقترح تاليا تحديدا لأنواع البؤرة التي جدولت:

- المساء أقلعت الباخرة من فرنسا(البؤرة المقابلة).

- أقلعت الباخرة من فرنسا مساءً (بؤرة جديد).

- متى تقلع الباخرة من فرنسا؟ (بؤرة طلب استتمام).

-تقلع الباخرة من فرنسا مساءًا (بؤرة تتميم).

- لا لم تقلع الباخرة من فرنسا بل من ألمانيا. (بؤرة جحود + بؤرة تعويض على التوالي).

---

[1]- المصدر نفسه: ص119.

[2]- المصدر نفسه: ص120.

[3]- أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص149.

[4]- أحمد المتوكل، الوظيفة والبنية، ص45.

– لا لم تقطع الباخرة إلاّ من فرنسا (بؤرة حصر).

– من فرنسا أقلعت الباخرة أم من ألمانيا أم إيطاليا؟ (من فرنسا أقلعت الباخرة، (بؤرة انتقاء).

أمّا البؤرة من حيث مجال التبئير فتنقسم بؤرة مكون وبؤرة جملة، حيث تسند وظيفة البؤرة في الأولى إلى مكون من مكونات الحمل، وتسند في الثانيّة إلى الحمل كله، ومثال الأولى: "المساء أقلعت الباخرة من فرنسا". ومثال الثانيّة: "أأقلعت الباخرة"[1]؟.

وقد وضع المتوكل لكل من بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة حالة مقاميّة، إذ؛ يشترط في بؤرة الجديد "أن يجهل المخاطب المعلومة التي يقصد المتكلم إعطاءه إيّاها أو يعتبر المتكلم أنّ المخاطب يجهلها:

– يجهل المتكلم المعلومة التي يطلب من المخاطب إعطاءه إيّاها (في حالة الاستفهام)[2]".

أمّا عن بؤرة المقابلة فيشترط أن: "يتوفّر المخاطب على مجموعة من المعلومات، ينتقي المتكلم للمخاطب المعلومة التي يعتبرها واردة.

– ويتوفر المتكلم على مجموعة من المعلومات يطلب المتكلم من المخاطب أن ينتقي له المعلومة الواردة (في حالة الاستفهام).

– ويتوفر المخاطب على المعلومة التي يعتبرها المتكلم غير واردة[3]". والبؤرة إذ تسند إلى المكونات تتقيد في إسنادها بـ*:

– لا موضوع يحمل أكثر من وظيفة واحدة من كل نوع من الوظائف الثلاث.

---

[1]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص31،32.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص29.

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص29،30.

*– بالنسبة للوظائف الدلاليّة والتركيبيّة يضاف إلى القيد السابق: "لا وظيفة تسند إلى أكثر من موضوع واحد داخل نفس الحمل" أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص41.

– أمّا بالنسبة لعلاقة البؤرة بالوظائف الدلاليّة والتركيبيّة فإنّها تسند إلى أي مكوّن من مكونات الجملة وتلتزم بؤرة المقابلة في البنيات الموصوليّة بالرفع والإضمار، وتتزاحم الوظائف الدلاليّة الآتية أسبقيةً في التبئير: "الحال، العلّة، المكان، الزمان وكذا المكونات المسورة والمكونات الداخلة عليها حتى[1]".

يكون المكون الداخلي البؤرة في الأخير يشكل المعلومة الحمليّة المختلف فيها بين المتكلم والمخاطب.

ب– المحور: تشكل الوظيفة التداوليّة الداخليّة المحور المعلومة المتّفق عليها بين المتكلم والمخاطب، خلافًا لنظيرتها البؤرة إذ: "المكونات التي تسند إليها وظيفة المحور مكونات تختصّ بحملها معلومات تدخل ضمن المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب بخلاف المكونات التي تسند إليها وظيفة البؤرة[2]". وقد أتى "المتوكل" على الوظيفة التداوليّة المحور بأنّها: "الوظيفة التي تسند حسب مقتضيات المقام، إلى الحدّ الدّال على الذات التي تشكل "محط الحديث" داخل الحمل[3]".فالجملة: "أضرب الطلبة" يعدّ فيها المكون (الطلبة) محورًا إذ؛ يشكّل هذا المكون محطّ الحديث بالنسبة للمحمول "أضرب".

أمّا بالنسبة لعلاقة المحور بالوظائف الدلاليّة والتركيبيّة فإنّه يسند إلى أي مكون مكونات الحمل[4] إلاّ أنّ الوظيفة الفاعل تزاحم هذه الوظائف جميعًا وتتفوّق في أخذ الوظيفة المحور، إذ المحور يستأثر بالفاعل إذ؛ "يعزى هذا الترابط القائم بينهما، حسب رأي "المتوكل" (المتوكل 141/1989) إلى أنّهما معًا يشكلان منطلق الجملة، المنطلق الوجهي بالنسبة للفاعل، والمنطلق الإخباري بالنسبة للمحور، وهما معًا يدلّان في معظم الحالات على معلومة يتقاسم معرفتها المتكلم والمخاطب، ويسندان إلى مكون يشغل أحد، المواقع الأولى

[1]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص41،42.

[2]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص229.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة مدخل نظري، 239.

[4]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص76.

في الحمل[1]". وقد قدّم المتوكل سلميّة توضح علاقة المحور بالوظائف التركيبيّة – الفاعل خصوصًا– والوظائف الدلاليّة هي كالآتي[2]:

فاعل>	مفعول
	متقبل
	مستفيد
	زمان

والمحور إذ؛ يكون كذلك فإنّه يخضع لقيد أحاديّة الإسناد الذي خضعت له البؤرة ويمكن للنص المتوكلي التالي أن يعاين الوظيفة التداوليّة المحور وهي تتفرّع وذلك من منظور النص والخطاب إذ؛ يقول المتوكل: "يعدّ (محورًا جديدًا) المحور الذي يُدمج لأول مرّة في الخطاب وحين يعاد إدراج نفس هذا المحور في الخطاب فإنّه يصبح محورًا "معطى" وفي حالة مكوث هذا المحور محطًا للخطاب فإنّه يعاود ذكره ويتمّ ذلك إمّا بطريقة مباشرة أو بواسطة أحد متعلقاته أو توابعه. في الحالة الأولى نكون أمام محور معاد وفي الحالة الثانية نكون أمام محور فرعي[3]". إذ؛ هذه التفرعات المحوريّة تتواكب "أوضاعًا خطابيّة مختلفة لنفس المحور[4]".

2. **الوظائف التداوليّة الخارجيّة:** وهي وظائف/أرباض وقد قدمنا دلائل خارجيتها بالتفصيل في الصفحات السابقة، وتشمل المبتدأ والذيل والمنادى، وهي: "المكونات التي لا تنتمي إلى الحمل أي المكوّنات التي ليست حدودًا موضوعات ولا حدودًا

[1]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص229.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص74.

[3]–أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة –بنية الخطاب من الحمليّة إلى النص– ص112.

[4]– المصدر نفسه: ص113.

لواحق بالنّظر إلى المحمول[1]". ونضيف مكرّرين أنّ هذه الخارجيّة ليست خارجيّة مطلقة، إذ وكما تبيّن سابقًا هناك قرائن تشير إلى داخليتها فهي وظائف خارجيّة وداخليّة في آن، إلاّ أنّ التصنيف العلمي صنفها على أنّها خارجيّة وذلك لأنّ نسبة خارجيتها أكثر من نسبة داخليتها. وبما أنّ هذه الوظائف لا تسند إلى مكونات حاملة لوظائف تركيبيّة ودلاليّة نكتفي في مستوى البنية الوظيفيّة بتقديم مفهمة لها.

أ. **المبتدأ:**

- (1) أمّا الأستاذ، فمحاضراته كاملة.

- (2) كتابتي الرواية الإلكترونيّة، فذاك هو اختياري المستقبلي.

يشكل (الأستاذ) في الجملة (1) مركب اسمي يحمل الوظيفة المبتدأ، وتشكل الجملة (كتابتي الرواية الإلكترونيّة) مبتدأ جملة، وتعدّ هذه الجمل سليمة سلامة تامة لأنّ المبتدأ يخضع للقيد الذي يتوفر على الشرط: "يجب في المبتدأ أن يكون عبارة محيلة، أي أن يكون المخاطب قادرًا على التّعرف على ما تحيل عليه[2]". فهو وظيفة "تحديدها لا يمكن أن يتمّ إلاّ انطلاقا من الوضع التخابري القائم بين المتكلم والمخاطب في طبقة مقاميّة معينة. وتتحدّد هذه العلاقة في إطار معارف المتكلم حول العالم الخارجي[3]". فلا يكتفي بالقرائن البنيويّة (ال/الإضافة) للتعريف، فالإحالة هي المعرف الحقيقي للمبتدأ. وإذ ذاك يكون المبتدأ قد وفّر لنفسه بأن يعرّف بأنّه: "هو ما يحدّد مجال الخطاب الذي يعتبر الحمل بالنسبة إليه واردًا[4]". أي "يكون المبتدأ خارج الحمل، بخلاف المحور الذي يكون داخله[5]".

---

[1]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، ص167.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص120.

[3]– المصدر نفسه: ص116.

[4]– المصدر نفسه: ص115.

[5]– يحيى بعيطيش: الوظائف التداوليّة في رواية ريح الجنوب، مجلة علامات، ج1، م13، 2004، ص662.

ب.- **الذيل:** السّر اللّغوي في تسميّة المبتدأ بالمبتدأ أنّه يبتدأ به الكلام إذ؛ يأخذ المرتبة الأولى_ عادة _في الكلام، و الأمر نفسه بالنسبة لتسميّة الذيل بالذيل، ذلك أنّه يأتي متأخرًا في الكلام، إذ؛ يذيّل به الكلام فيأتي مصححًا ومعدّلاً وموضحًا. وقد أتى "المتوكل" عليه معرفًا إيّاه: "يحمل الذيل المعلومة التي توضّح معلومة داخل الحمل أو تعدّلها أو تصححها[1]". فهو مكون تداولي خارجي يأتي على المعلومة الداخليّة للحمل فيصحّحها ويعدّلها ويوضّحها. والذيل بالنسبة للمعلومة الحمليّة أذيال، إذ؛ يرد تارة موضحًا وتارة مصححًا وأخرى معدّلاً. فهو ذيل توضيح، وذيل تعديل وذيل تصحيح، وتتوالى الجمل الثلاثة على التوالي موضحة للأذيال:

(1) مدير بحثه مسافر، رئيس القسم.

(2) مشيت الطريق، بعضه.

(3) استأنفت القراءة، بل الكتابة.

يلاحظ من الأمثلة الثلاثة أن الذيول تمايزت بنية، وأنّها تمايزت إجراءات إنتاج، إذ؛ الجملة (1) قدّم المتكلم المعلومة ثم لاحظ أنّها ليست واضحة، فأضاف ذيلاً يوضّحها، وفي الجملة (2) قدّم المتكلم المعلومة ثم لاحظ أنّه لم يضبطها تقديمًا فأضاف ذيلاً يعدّل عدم ضبطه، وفي الجملة (3) قدّم المتكلم المعلومة وقد أخطأ في تقديمها فسرعان ما استبدلها بذيلٍ تصحيحا لها[2]. والحال هذه، فإنّه يشرط في ذيل التوضيح الإحالة الإبهاميّة، خلافًا لذيل التعديل والتصحيح يقول المتوكل: "أمّا ذيلاَ التعديل والتصحيح فإنّه لا يشترط فيهما، بخلاف ذيل التوضيح، أن يكونا عبارتين محيلتين لأنّ المعلومة التّي يحملها كل منهما لا يقصد بها إزالة الإبهام عن معلومة واردة في الحمل عن طريق تعيين ما تحيل عليه[3]".

[1]- أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص147.

[2]- أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص147/148.

[3]- المصدر نفسه: ص155.

ج. – **المنادى:** وهي وظيفة تداوليّة خارجيّة اقترحها "أحمد المتوكل" بأن تنضاف إلى المكوّنات التداوليّة الأخرى يقول: "ونرى أنّ من الوارد أنّ تضاف إلى الوظائف التداوليّة الأربع المقترحة في إطار النحو الوظيفي وظيفة خامسة: وظيفة المنادى. ويزكّي اقتراحنا إضافة هذه الوظيفة أنّ الوصف اللّغوي الساعي إلى الكفاية لا يمكن أن يغفل المكون المنادى وروده في سائر اللغات الطبيعيّة ولغنى خصائصه في بعضها كاللغة العربيّة[1]". فالنداء لا سيما أنّ نظريّة النحو الوظيفي من مبادئها مبدأ التواصل، فلا يمكن أن يخلوَ التواصل من النداء، وقد مُيّز بين النداء كفعل لغوي شأنه شأن الأفعال الأخرى، وبين المكون المنادى كونه وظيفة تداوليّة، تقيم علاقة تداوليّة داخل الجملة/صرفيّا وتركيبيًّا وخارج الجملة مقامًا، وهي بذلك تؤالف بين البنية والوظيفة استنادا دائمًا إلى المبدأ الجامع مبدأ التواصل. وبذلك: يعدّ "النّداء" فعلاً لغويّا شأنه في ذلك شأن الأفعال اللغويّة الأخرى كالإخبار والسؤال والالتماس. ونميّز بين النداء باعتباره فعلاً لغويًّا و"المنادى" باعتباره مكونا من مكوّنات الجملة يدل على الذات محطّ النداء، فالنداء إذًا فعل لغوي في حين أنّ المنادى وظيفة، أي علاقة تقوم بين مكونات الجملة وباقي المكونات التي توارده[2]". وقد أتى "المتوكل" على المكون المنادى الذي يقيم علاقة داخل الجملة معرّفًا إيّاه بأنّه: "وظيفة تسند إلى المكون الدّال على الكائن المنادى في مقام معين[3]". والمصطلح/المنادى إذ؛ يكون كذلك فإنّه يجب أن[4]:

– يحيل على كائن حي.

– وأن يحيل على المخاطب.

---

[1]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص160.

[2]– علي آيت أوشان: اللسانيات والديداكتيك – نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلميّة إلى المعرفة المدرسيّة– ص232.

[3]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص161.

[4]– نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربيّة، ص235.

وتدرج تحت حقل وظيفة المنادى ثلاثة أنواع هي: منادى النداء ومنادى الندبة ومنادى الاستغاثة وأمثلتها على التوالي: "يا خالد، اقترب"، "وا زيداه!"، "يا لعمرو، لما أصابنا"[1].

والمكون المنادى في العربيّة تسبقه الأدوات: "أ، أي، يا، أيا، هيا، آي، آ، وا" وتدمج ... طبقًا لمبادئ النحو الوظيفي، على أساس المعلومات الموجودة في البنية الوظيفيّة، عن طريق تطبيق قواعد التعبير[2]". وقد اقترح المتوكل قواعد لإدماجها، إذ؛ تختلف القواعد من أداة لأخرى[3]. ونمثّل للمنادى بالجملة (1) "أيها الأب"، "حضر الولدان"، لا يمثل للمنادى حمليّا إذ؛ البنية الحمليّة: أب [تد[تا[مض حضر ف (ع2ذش: ولدان (س1)(منف]]].

وبما أنّ المكونات التداوليّة الخارجيّة لا تحمل وظائف دلاليّة وتركيبيّة فالمنادى (الأب) في الجملة يأخذ وظيفة المنادى فقط في البنية الوظيفيّة: أب منا، [تد[تا[مض[حضر ف(ع2ذس1: ولدان (س1) (منف فا مح]]].

فالوظائف التداوليّة الخارجيّة (المبتدأ، والمنادى، الذيل) وبحكم خارجيتها تنوولِت من منظور النص في طرحين/مقاربتين منهجيتين؛ إذ قال المتوكل: "فيمكن أن تقارب من منظورين اثنين:

1- تعامل هذه العبارات على أساس أنّها حاملة لوظائف نصيّة (كتحديد مجال الخطاب مثلا) أي لعلاقات تتعدّى مجال الجملة الواحدة. في هذه الحالة تؤوّل العلاقات التداوليّة والدلاليّة والبنيويّة التي أشرنا إليها في الفترة السابقة على أساس أنّها قائمة بين المكون المعنى بالأمر (ما نسميه المبتدأ مثلاً) وجميع الجمل التي تليه، أي وحدات النص الجمليّة كلها.

---

[1]- أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة، ص162/163.

[2]- المصدر نفسه: ص167.

[3]- ينظر: المصدر نفسه: ص167.

2- ويمكن أن تعدّ العبارات نفسها، بحكم ارتباطها بالجملة، تشكل مع هذه الجملة وحدة خطابيّة أكبر، يمكن تسميتها (نظرًا لعدم توافر المصطلح المقابل جملة كبرى)[1]".

فالمبتدأ والذيل والمنادى نصّيًا ينظر إليهما على أنّهما: عبارات حاملة لوظائف نصيّة أو أنّهما يندرجان ضمن الجملة الكبرى.

ما قمنا به حتى الآن؛ هو أنّنا حاولنا تقديم مفهمة للوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة، وكذا رصد العلاقات القائمة بين شتّى الوظائف على مستوى البنية الوظيفيّة، لكن إذا كانت الوظائف تنشط علاقات مع بعضها على مستوى البنية الوظيفيّة، فكيف تتعالق هذه الوظائف مع البنية المكونيّة؟

[1]- أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة -بنية الخطاب من الحمليّة إلى النص-، ص224.

رابعًا: علاقة الوظائف بالبنية المكونيّة

رابعًا: علاقة الوظائف بالبنية المكونيّة: تبني الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة علاقات مع البنية المكونيّة وذلك على مستوى قواعد التعبير المتمثلة في الإعراب والموقعة.

فبالنسبة للإعراب يميّز بين ثلاثة أنواع من الإعراب إذ: "يمكن تقسيم الحالات الإعرابيّة (case) أقسامًا ثلاثة: الحالات الإعرابيّة اللازمة والحالات الإعرابيّة البنيويّة والحالات الإعرابيّة الوظيفيّة (fonctionnal cases♣)[1] والذي يهمنا هو الإعراب الوظيفي ذلك أنّه إعراب تحدّده الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة بتفاعلها مع بعضها، وقد عرّفه "المتوكل" بـ :"تعدّ حالات إعرابيّة "وظيفيّة" الحالات الإعرابيّة التي تسند إلى المكونات حسب مقتضى وظائفها الدلاليّة أو التركيبيّة أو التداوليّة[2]".

أ- **علاقة البنية الوظيفيّة/الوظائف بالبنية المكونيّة إعرابا:** تسهر الوظائف التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة على رفع ونصب المكونات إذ "الحالتان الإعرابيتان الوظيفيتان هما حالتا "الرفع" والنصب[3]". والوظائف الثلاث وهي مجتمعة متفاعلة تتزاحم في إعراب المكونات، وقد حددّ المتوكل هذا التسابق بالضبط السلمي الآتي[4]:

الوظائف التركيبيّة> الوظائف الدلاليّة> الوظائف التداوليّة.

والسلميّة كذلك؛ فإنّ المكونات المنتمية إلى خارج الحمل تأخذ حالتها الإعرابيّة بمقتضى وظيفتها التداوليّة، أمّا المكونات الداخليّة فإنّها تأخذ حالتها الإعرابيّة بمقتضى وظيفتها التركيبيّة والدلاليّة فـ: "الوظائف التداوليّة لا ورود لها في تحديد الحالات الإعرابيّة إذا تعلّق

♣- أمّا الحالات الإعرابيّة اللازمة والبنيويّة فهي على التوالي: تعدّ حالة إعرابيّة لازمة الحالة الإعرابيّة التي تلازم المكون في مختلف السياقات البنيويّة والوظيفيّة التي يرد إليها... أمّا الحالات الإعرابيّة البنيويّة فإنّها الحالات التي تسند إلى المكونات حسب السياق البنيوي الذي ترد فيه المكونات". ينظر: أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة/ص32/33. وتراجع التفاصيل في ص 32 وما بعدها.

[1]- أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص32.

[2]- أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة، ص33.

[3]- المصدر نفسه: ص33.

[4]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، ص152.

الأمر بالمكونات المنتميّة إلى الحمل و... أنّ الحالة الإعرابيّة التي تقتضيها الوظيفة التركيبيّة "تحجب" الحالة الإعرابية التي تخول المكون إيّاها وظيفته الدلاليّة[1]".

ونستتبع السلميّة شرحًا وتفصيلاً؛ إذا المكون الحامل لوظيفة دلاليّة يأخذ الحالة الإعرابيّة النصب فـ: "المكون الحامل لوظيفة دلاليّة فقط، يأخذ حالته الإعرابيّة النصب إذا لم يدخل عليه جار، بحكم هذه الوظيفة نفسها[2]". أمّا بالنسبة لحال المكونات المسندة إليها وظيفة تركيبيّة فإنّها تأخذ حالتها الإعرابيّة بمقتضى هذه الوظيفة فيرفع الفاعل وينصب المفعول، يقول "المتوكل" بالنسبة للفاعل "يأخذ المكون الفاعل في اللّغة العربيّة الحالة التي تقتضيها وظيفته التركيبيّة نفسها، أي الحالة الإعرابيّة الرفع[3]". وبالنسبة للمفعول "يأخذ المكون المفعول الحالة الإعرابية (المجردة) النصب بمقتضى وظيفته التركيبيّة (المفعول) أيًّا كانتَا وظيفته الدلاليّة ووظيفته التداوليّة[4]". أمّا بالنسبة للمكونات التداوليّة الخارجيّة♣ فيأخذ المكون المنادى الحالة الإعرابيّة النصب، ويأخذ المكون المبتدأ الحالة الإعرابيّة الرفع بمقتضى الوظيفة التداوليّة يقول "المتوكل": "أمّا إذا كان المكوّن مكونًا خارجيّا (كالمبتدأ أو الذيل والمنادى) فإنّه يأخذ حالته الإعرابيّة بمقتضى وظيفته التداوليّة ذاتها (الحالة الإعرابيّة الرفع بالنسبة للمبتدأ والحالة الإعرابيّة النصب بالنسبة للمنادى)[5]". هذا ونكرّر القول بأنّ الذيل تربطه علاقة قويّة بالحمل مقارنة بالمبتدأ والمنادى ولذاك: "يتصرف الذيل بالنسبة للمكون الداخلي الذي يعدّل أو يصحّح كما لو كان "بديلاً" له، هذا الوضع يؤهله لأن يرث خصائصه الدلاليّة والتركيبيّة. دليل ذلك أنّه يأخذ نفس الوظيفة الدلاليّة ونفس الوظيفة التركيبية. فالمكون "خالدًا"

---

[1]– أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة ص34.

[2]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص45.

[3]– المصدر نفسه، ص46.

[4]– أحمد المتوكل: من البنية الحمليّة إلى البنية المكونيّة ، ص73.

♣=– يخضع في الإعراب المكونان الداخليّان التداوليّان (البؤرة والمحور) للوظائف التركيبيّة والدلاليّة، ونشير كذلك أنّه: "إذا توارد على نفس المكون إعرابان، إعراب وظيفي وإعراب بنيوي، فإنّ الغلبة تكون للإعراب الثاني، الذي يحجب الإعراب الأول". ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي، ص99.

[5]– أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، ص45.

في الجملة (202) والمكون المصحّح "عمرًا" يحملان نفس الوظيفتين الدلاليّة والتركيبيّة، والوظيفتين المتقبل والمفعول كما يتبين من البنية الوظيفة (203).

(202) "رأى بكر عمرًا، بل خالد"(203) [خب[تد[تا[مض[رأى ف (ع1مس1: بكر((س1)) منف فا مح(ع1مس2: عمر (س2)) متق مف بؤجد]]]] [خالد] متق مف.

ويأخذ الذيل في هذا الضرب من البنيات الذيليّة، نفس الحالة الإعرابيّة التي يأخذها من المكون المعدّل أو المصحح"[1]. غير أنّ هذا الإرث لا يصدق أو يثبت مع بعض البنيات مثل: "قابله عمرو، خالد"[2].

يكاد يكون هذا الوضع العام لعلاقة الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة بالبنية المكونيّة من حيث الإعراب، أو بعبارة أخرى هذا هو الوضع الإعرابي الوظيفي. ونحن إذ؛ ننهي هذه التغطية ننتقل في الصفحات القادمة للحديث عن موقعة المكونات في البنية المكونيّة وكيف تنهض الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة بهذه الموقعة/الرّتبة، ونكون إذ ذاك نقدّم تغطية لعلاقة الوظائف بالبنية المكونيّة من حيث الموقعة والرّتبة، وفي الآن ذاته نكون نعرض لكيفيّة اتصال البنية الوظيفيّة بالبنية المكونيّة بعدما تحدثنا عن الواسطة الإعرابيّة.

ب- علاقة البنية الوظيفيّة بالمكونيّة موقعة: تعدّ البنيات التاليّة التي تتوافق أنماطَ جملة – فعليّة اسميّة رابطيّة – تبيانًا لعلاقة البنية الموقعيّة – من حيث الوظائف الدلاليّة والوجهيّة والتداوليّة – بالبنية المكونيّة. وهذه البنيات هي بنيات فعليّة واسميّة ورابطيّة على التوالي[3]:

[1]- أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة –مدخل نظري- ص236،237,

[2]- المصدر نفسه: ص237.

[3]- أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص21.

م4،م2، م1 مØ ف ف فا (مف) (ص)، م3

م4،م2، م1 مØ فا م ص / م س / م ح / م ظ (مف) (ص)، م3

م4،م2، م1 مØ فا م ص / م س / م ح / م ظ (مف) (ص)، م3

وإذا كنا قد لاقينا تفاعلاً حيويًا هامًا في تحديد الإعراب من قبل الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة فإنّنا نجد: "نفس التفاعل ... حين يتعلق الأمر بتحديد رتبة المكونات مع فارق أنّ الغلبة هنا تكون للوظائف التداوليّة[1]". وبفارق الغلبة للوظائف التداوليّة تكون إذ ذاك السلميّة الضابطة للموقعة كالتالي[2]:

الوظائف التداوليّة> الوظائف التركيبيّة> الوظائف الدلاليّة.

فالسلميّة والحال هذه، تفيد بتقدّم المكونات الحاملة للوظائف التداوليّة وبتوسط المكونات الحاملة للوظائف التركيبيّة وبتأخر المكونات الحاملة للوظائف الدلاليّة (طبعا إذا خلت من وظائف تداوليّة تركيبيّة) وهو ما تثبته البنيات الموقعيّة أعلاه، وقد استنتج "المتوكل" من هذه البنيات التي تتفاعل فيها الوظائف بنية تموقع المكونات بحسب الوظائف إذ يقول: "حاصل رصدنا لترتيب المكونات ومحدّداته في اللغة العربيّة البنية الرتبيّة العامة التاليّة:

[1]– أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي–الأصول والامتداد– ص99.

[2]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة –مدخل نظري–، ص167.

منادى، مبتدأ، [صدر1 صدر2 ف فا (مف) (ص)] ذيل.

حيث: "صدر1 وصدر2 " تساوي الموقعين المعدّين للأدوات الجمليّة والمحور وبؤرة المقابلة وحيث: ص= مجال تحتله المكوّنات اللّواحق التي لا تحمل وظيفة تداوليّة أو وظيفة تركيبيّة[1]".

ومن خلال البنيات الموقعيّة والبنية العامة اللّتين تقدّم بهما "المتوكل" نملك أن نبسط الوظائف الثلاث فرزًا، أي؛ في قواعد مستقلة كالتالي:

– بالنسبة للوظائف التداوليّة الخارجيّة♣ فإنّها تأتي على حافتي الحمل ويتأخر الذيل للمعلومة المقاميّة. في حين أن المكونات الحمليّة تتصدّر الحمل بمقتضى ترأس الوظائف التداوليّة للسلميّة، وتكاد تكون غالبًا: م4، م2، محور/بؤرة مقابلة [> بؤرة جديد♣]، ذيل

– أما بالنسبة للوظائف التركيبيّة فإنّها تتأخر حسب السلميّة بأن تأتي ثانية بالنسبة للوظائف التداوليّة، وبما أنّ اللّغة العربيّة بنيتها العامة[2] (فعل، فاعل، مفعول) فإنّ الوظيفتين التركيبيتين تكون: فاعل> مفعول

– أما بالنسبة للوظائف الدلاليّة فإنّها تأخذ سلميتها كالتالي[3]: (طبعا وهي تأخذ سلميتها تكون مكوناتها خالية من وظائف تداوليّة تركيبيّة):

منف > مستقبل> متقبل> حدث> زمان> مكان> حال> علة> مصاحب.

---

[1]– أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي–الأصول والامتداد– ص201.

♣– الوظائف التداوليّة الخارجيّة (المنادى، المبتدأ، الذيل) مواقعها ثابتة إذ "... تحتل مواقع ثابتة قبل الجملة وبعدها" وللمزيد، ينظر: أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي–الأصول والامتداد– ص100.

♣– يقول المتوكل في هذا التأخير: "إذا كان المكون المبأّر حاملا لوظيفة "بؤرة جديد" فإنّه يحتل الموقع الذي تخوله إيّاه وظيفة الدلاليّة (أي الموقع "ص") أو وظيفته التركيبيّة (فا) أو (مف)". وللمزيد ينظر: أحمد المتوكل الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص52.

[2]– أحمد المتوكل: المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي–الأصول والامتداد– ص100.

[3]– أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفيّة، مدخل نظري، ص167.

ويمكن أن نضيف بأنّ المكون البؤرة يأتي منبورًا وبهذا النّبر تكون الوظيفة التداوليّة البؤرة تقيم علاقة بين البنية الوظيفيّة والبنية المكونيّة.

وبهذا نكون بالكاد استكملنا علاقة الوظائف ببعضها (في مستوى البنية الوظيفيّة والبنية المكونيّة) وعلاقتها في الربط بين البنية الوظيفيّة والبنية المكونيّة.

وبهذه الوظائف نحاول أن نتصدّى لتحليل سورة يوسف في الفصل اللاحق، ونحن إذ نفعل ذلك نحاول أن نبرّر قيمتها الوظيفيّة، والفنيّة إجرائيّا.

الفصل الثالث

تحليل جملة سورة يوسف

1_تصنيف الجمل في سورة يوسف: لا يكاد يخلو تحليل لغوي عبر تاريخ الدراسات اللّغويّة قديمها وحديثها من بحث الجملة، إذ هي مبحث محوريّ لم ينفك الباحثون عنه، فهي في نظريّة النحو الوظيفي بوشرت دراسة وتحليلاً لفترة طويلة من عمر هذه النظريّة، وقد تأخرت الدراسات النصيّة في هذه النظريّة؛ لأنّ الجملة كانت المهيمنة على الدراسة.

والجملة جمل فهي؛ مصطلح فلوت لم يتمكن الدارسون من ضبطه تعريفًا، فهي ذلك المبحث المقلق، يقول "ديبوجراند":"...فالمقلق أنّ هذا التركيب الأساسي قد أحاط به الغموض وتباين صور التعريف حتّى في وقتنا الحاضر..."[1].

والبحث إذ يروم بحث الجملة في سورة يوسف فإنّه، يصطدم حيرة كيف يباشر تحليله للجملة، فسورة يوسف هي نص يتفجّر ترابطًا،إلاّ أنّنا بعد أخذ وردٍّ باشرنا مقاطعة هذا الترابط المستمر؛ وذلك بأن حاولنا اقتطاع الجمل فرزا من تشكلها السردي الكبير، فصنفناها من حيث اكتمالها مبنًى ومعنًى، ونحن إذ؛ نصنّف الجملة كذلك فإنّنا نستند إلى "ابن يعيش" إذ يقول: "اعلم أنّ الكلام عند النحويين عبارة عن كلّ لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه، ويسمى الجملة[2]". وقول "ابن يعيش" بهذه الصيغة يروم أن يلتمس القارئ منه أنّ الجملة مبحث يحقّق نفسه اكتمالاً إذا حقّق استقلاله وإفادته مبنًى ومعنًى. أمّا "إذا انتقلنا إلى المحدثين من اللّغويين العرب وجدنا الدكتور "إبراهيم أنيس" يعرف الجملة بقوله: "إنّ الجملة في أقصر صورها هي أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنًى مستقلاً في نفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر". ونلاحظ على هذا التعريف أنّه يجمع بين معياري الشكل

[1]– روبارت ديبوجراند: النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007، ص88.

[2]– ابن يعيش: شرح المفصل، نقلا عن: محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1988، ص20.

والمضمون... وقد ارتضى الدكتور مهدي المخزومي هذا التعريف فذكره بنصه دون أن يشير إلى صاحبه[1]".

ونحن إذ؛ نعتقد في القولين السابقين تصنيفًا فقد قلبَنا النّظر في التعالق الجملي لسورة يوسف، فنتج عن هذا التقليب أن فرزنا خمس عشرة ومئة جملة مستقلة مبنىً ومعنىً، وبهذا الفرز نعمد إلى تسهيل طريقتنا في التحليل، فضاعفنا التحليل استنادًا إلى الفرز الأول بأن صنفنا الجمل بتبنّي الطرح المتوكلي، الذي يطلب تصنيف الجمل من حيث التكوين أي؛ من حيث البساطة والتعقيد، و"المتوكل" إذ يبسطها ويعقدّها ينطلق بذلك من الحمل، إذ يعدّ الجمل التي تحتوي على حمل واحد جملا بسيطة، والجمل التي تزيد على ذلك جملاً مركبة، يقول: "الجمل في اللّغات الطبيعيّة، بالنظر إلى عدد الحمول التي تتضمنها نمطان: جمل بسيطة وجمل مركبة. تتكوّن الجمل البسيطة من حملٍ واحد متضمن لمحمول (فعلي أو غير فعلي) وحدود ومخصّص محمول ومخصّص حمل. وتتكوّن الجملة المركبة من حمول متعدّدة تقوم بينها علاقة إدماج أو علاقة استقلال[2]". وإذّاك فقد صاغ المتوكل قاعدتين عامتين تختزلان الجملة بساطة وتركيبا. يقول: "... تكون البنية العامة للجملة البسيطة والبنية العامة للجملة المركبة هما البنيتان (120و201) بالتوالي:

(120) [ج [حمل]]

(121) [ج [حمل1] [حمل2]...[حمل ن]][3]".

نملك أن نعدّ بذلك الجمل (أ) تتوافق مع البنيّة البسيطة (120) والجملة (ب) تتوافق مع البنيّة المركبة (121):

[1]– محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1988، ص22/21.

[2]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، منشورات عكاظ، ط1، 1988، ص07.

[3]– المصدر نفسه: ص34.

(أ) – عاد محمد من الهجرة.

– محمد شاب.

(ب) – اقتنيت الكتب التي لها علاقة باللّسانيات.

(ت) – نال إعجابي التحليل اللّساني الذي اقترحه "المتوكل".

والجملة من حيث البساطة والتعقيد تأخذ تفرعات، وقد سهر "المتوكل" جمعا للتشعبات على تقديم خطاطة عامة كالتالي[1]:

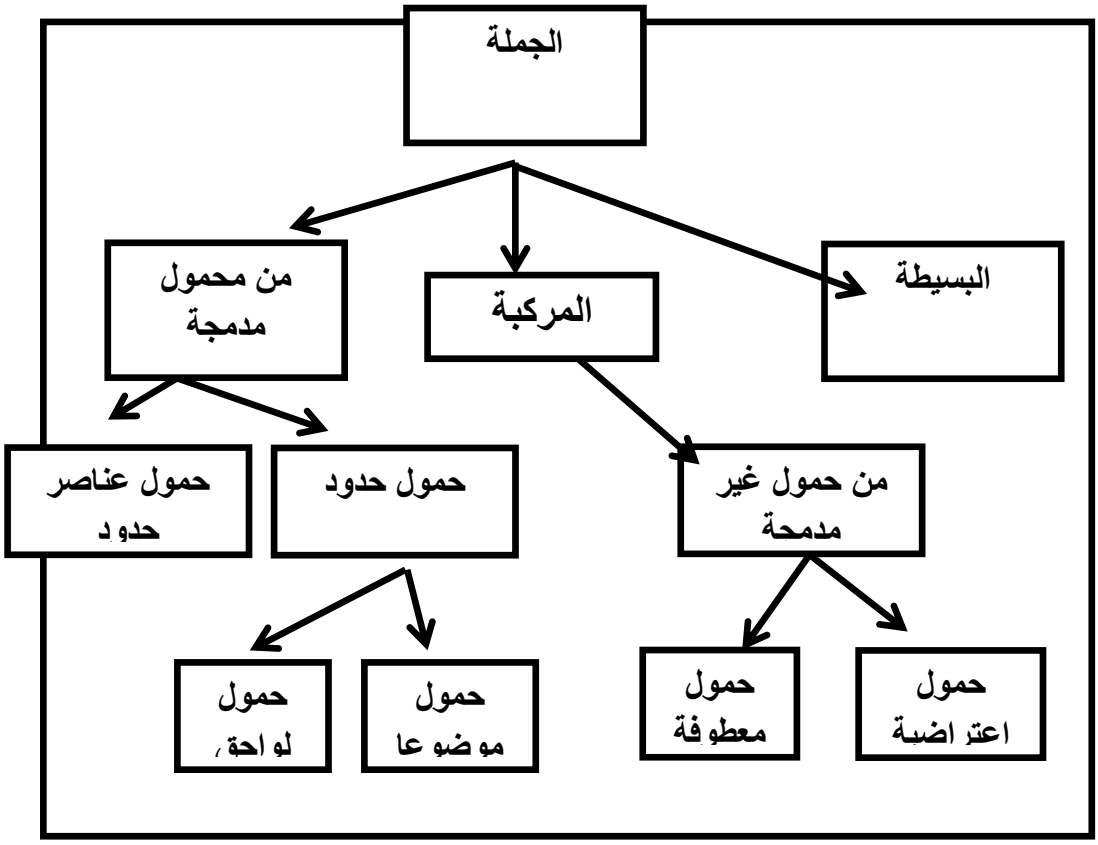

[1]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربية، ص36.

وقبل أن نستأنف شرح التفرعات الجمليّة، لا بأس أن نشير إلى أنّ الجملة يحدّد جنسها محمولها، فهي إذا كان محمولها فعلا فهي جملة فعليّة، وإذا كان محمولها مركبًا اسميًا أو حرفيًا أو ظرفيًا أو وصفيًا فهي جملة اسميّة[1]. والجمل الفعليّة والاسميّة إذّاك على نحو: "ذهب عمر إلى المدرسة"، "الطالب قائم". في حين أنّ الجمل التي من قبيل "كان الرجل أمينا" جمل تبقى لا هي اسميّة ولا هي فعليّة، وقد اتّخذ النحو الوظيفي تنميطًا ثالثا لها، فهي الجمل الرابطيّة، أي: "الجمل ذات المحمول غير الفعلي المشتملة على رابط (copula) من قبيل كان وغيرهما[2]". و"بالتالي تعدّ الجمل الرابطيّة نمطًا بنيويًا قائم الذات، فهي ليست جملاً فعليّة ولا جملاً اسميّة، وإنّما هي جمل وسطى، تشارك الجمل الاسميّة في بعض مميّزاتها الحمليّة والوظيفيّة، وتقاسم الجمل الفعليّة بعض خصائصها المكونيّة[3]". فالأفعال المساعدة/الناقصة إذا وردت مع الجمل الاسميّة فهي روابط أمّا إذا وردت مع الجمل الفعليّة فتظل أفعالاً مساعدة.

ونحن إذ؛ نفعل هذا التّوضيح، نكون قد حملنا الجملة على جنسها، لنعود مباشرة بعد هذا الحمل الجنسي للجملة، لنواصل التوضيح والشرح التشعبي للجملة من حيث بساطتها وتعقيدها. وننطلق في التوضيح من الجملة البسيطة، ونملك من الخطاطة المتوكليّة التالية أن نتلوها تعليقاً يتوافق والخطاطة[4]:

[1]– يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، رسالة دكتوراه، ص158، 159.

[2]– أحمد المتوكل: الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، ص21. وينظر كذلك: تفاصيل الأفعال المساعدة التي ترد مع محمولاتها الفعليّة : أحمد المتوكل: من قضايا الرابط في اللغة العربيّة.

[3]– يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، رسالة دكتوراة، ص175.

[4]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، ص28.

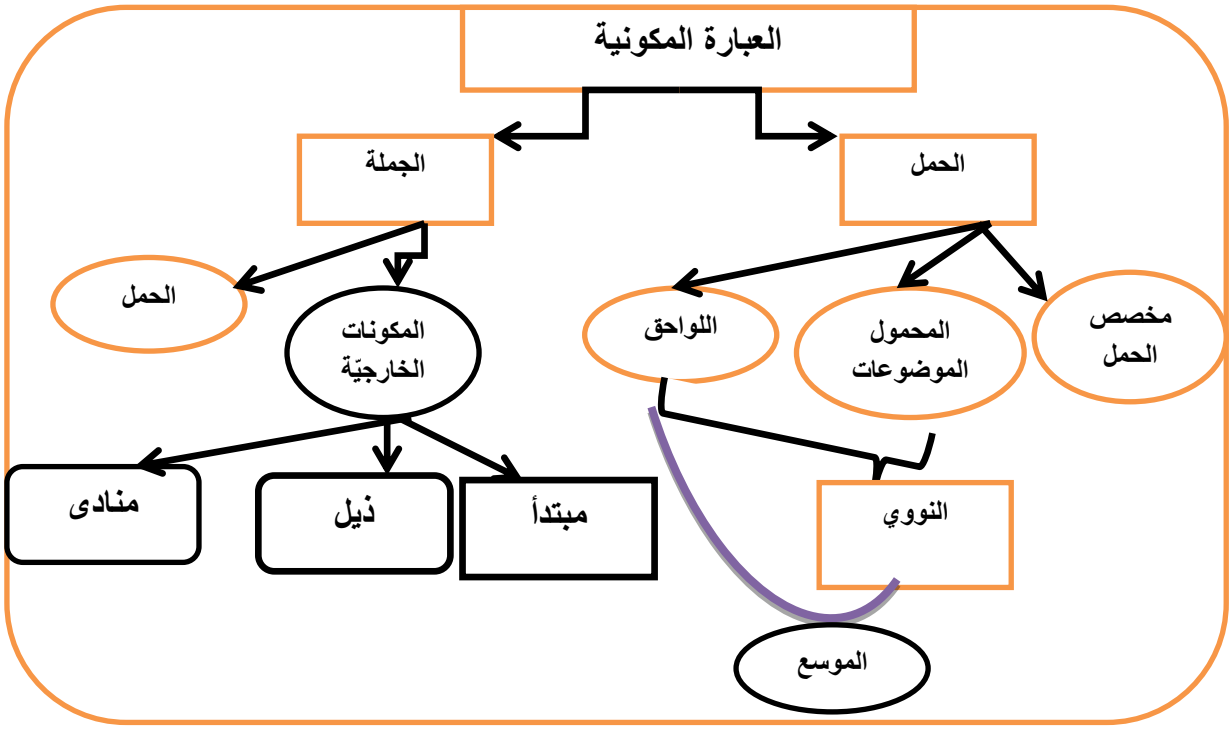

فالجملة في بساطتها، تكون جملة نوويّة بمحمول وموضوعات، فإذا أرادت التّخصيص للواقعة التحقت بها اللّواحق توسيعًا، فتكون جملة موسّعة، لتزيّن بمخصّص حمل يمثل قوتها الإنجازيّة*، فالحمل- والحال- هذه يمكن إذا التفت يمينًا أن يجاوره مبتدأ أو منادى، وإذا التفت يسارًا، أن يجاوره ذيل، فتكون الجملة بحسب المكونات الخارجيّة: مبتدئيّة وندائيّة وذيليّة. فالجملة البسيطة إذًا "هي كل عبارة لغويّة، تتضمّن حملاً واحدًا (نوويًّا أو موسعًا) يواكبه مخصّص مؤشر لقوّته الإنجازيّة، يمكن أن يكيّفه لاحق، وقد يضاف إليه أحد المكونات الخارجيّة الثلاثة يمينًا أو يسارًا، وبذلك تكون الجملة البسيطة مقولة تركيبيّة تعلو الحمل، إذ؛ تتضمنه بالإضافة إلى مكون أو مكونات خارجيّة[1]".

* - هناك عبارات تبدو أنّها مكونات خارجيّة مثل عبارة: "بصراحة" في الجملة: "بصراحة، اغتاب صديق صديقة" إلاّ أنّها مدروجة في النحو الوظيفي على أنّها لواحق بالنسبة لمخصّص الحمل، ينظر: أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، ص32،33.

[1] - يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، رسالة دكتوراة، ص181.

وإذا كانت الجملة البسيطة فجرت بساطتها بحمل واحد، فإنّ الجملة المركبة تفجّر تركيبها بأن تتعدّى حمولاً فـ "تعدّ جملةً مركبة كلّ جملة متضمنة لأكثر من حمل واحد[1]". ونحاول إزاء هذا التّعدد الحملي أن نقف عند كلّ تفرع حمليّ.

فالجمل المركبة من حيث الرّبط، تكون إمّا جملاً اعتراضيّة أو معطوفة، فالاعتراضيّة؛ لا تقيم أي رابط بنيوي، في حين أنّ الجمل المعطوفة تقيم عاطفًا بين الحمول[2]. فمثال الأولى: "ناقشني الأستاذ – أعزّه الله – مناقشة طيبة"، ومثال الثانيّة: "دخل الأستاذ وخرج الطالب".

أمّا بالنسبة للحمول المدمجة فإنّها: "تتوارد ... مندمجة بعضها في بعض، بحيث تتضمّن حملين أو أكثر، بينهما تداخل تركيبي، قد تشكل عنصرًا من عناصر أحد حدود المحمول الرئيسي، أو تشكل بالنّظر إلى المحمول الرئيسي، حدودًا موضوعات وحدودا لواحق[3]". وتستجيب الخطاطة التاليّة بالمثال لقول/لتقسيم الباحث "يحيى بعيطيش":

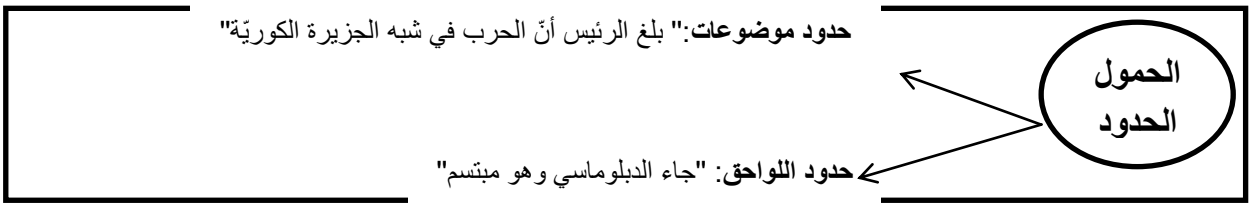

الحمول أجزاء الحدود: "صفق الرئيس الذي كرم الفريق الرياضي".

وتكون المقاطع "أنّ الحرب في شبه الجزيرة الكوريّة"، و"هو مبتسم"، "الذي كرّم الفريق الرياضي"، حمولاً مدمَجة بالنسبة للمقاطع/الحمول المتبقيّة والتي تمثل الحمول الرئيسيّة المُدمِجة.

[1]– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، ص34.

[2]– المصدر نفسه: ص35.

[3]– يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، رسالة دكتوراة، ص183.

ونحن إذ نقتحم الجملة تصنيفًا من حيث البساطة والتعقيد، فقد أسندنا المحمولات في الجمل فكانت الجمل البسيطة (28) جملة والجمل المعقدّة (124) جملة، وكانت الجمل الفعليّة (ذات المحمول الفعلي (429) جملة، والجمل الاسميّة (ذات المحمول الاسمي) (106) جملة ونقتطع من الحصيلة الكليّة للجمل الاسميّة، الجمل الرابطيّة فكان عدد الجمل الرابطيّة (20) جملة وبالتالي ينخفض عدد الجمل إلى (86) جملة.

والجدول الموالي يقارب لنا إحصائيّة دقيقة للجمل بحسب الأنواع السابقة*:

نوع الجملة	العدد
– الجمل من حيث الاستقلال مبنًى ومعنًى	**115**
– الجمل ذات المحمول الفعليّ (الجمل الفعليّة)	**429**
– الجمل ذات المحمول الاسميّ (الاسميّة)	106– 20جملة رابطيّة فتصبح 86 جملة اسميّة
– الجمل الرابطيّة	**20**

*– نشير إلى أنّ التّصنيف من حيث المبنى والمعنى والبساطة والتعقيد – وإن كان المقام لا يمكنه استيعاب عرضنا للإجراءات العمليّة للتصنيف –، اعتمدنا فيه الكتب التاليّة:

– فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، م9.

– عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي، تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، م9، م10.

– محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984، ج12، ج13.

– أحمد المتوكل: الجملة المركبة في اللغة العربيّة، البنية الوظيفيّة.

– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

– محي الدين محمد الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق– بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق– بيروت، ط7، 1999، م3، م4.

– سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط35، 2005، م4.

الجمل البسيطة	**28**
– الجمل الفعليّة البسيطة	**18**
– الجمل الاسميّة البسيطة	**10**
– الجمل الفعليّة المعقّدة	**411**
– الجمل الاسميّة المعقّدة	**96**

يتّضح لنا من خلال الجدول أنّ الجمل المعقّدة والفعليّة كثيرة مقارنة بالجمل البسيطة والاسميّة، وذلك لأنّ؛ السورة تسرد وتحكي، فالجمل لا يمكنها أن تنفصل عن بعضها للتوالد والتناسل السردي فكانت الجمل المعقّدة كثيرة، وقد حمل هذا التعقيد الجمل الفعليّة، التي تدلّ على الحَدثيّة، فتناسل بذلك السرد أحداثًا وأعمالاً وحالات، فالمحمولات الفعليّة تدلّ وقائعها على العمل والحدث والحالة في حين اكتفت الجمل البسيطة والاسميّة بأن حملت محمولاتها واقعة الوضع عمومًا، ذلك أنّه لا يدلّ في ذاته على واقعة، ومن ثمة فدلالته على العمل أو الحدث أو الحالة ضئيلة، وقد التجأ "المتوكل" إلى دلالة الوضع حين تغيب بقيّة الدّلالات، فالوضع إذّاك يشخص حالة ثابتة مستقرة تتخلل السرد المتغير، ودلالة الثبوت والمتغير تحمل بلاغات كثيرة يمكن الوقوف عندها حسب مقام كل جملة.

وعليه تكون جمل سورة "يوسف موضحة" كلها على الشكل التالي*:

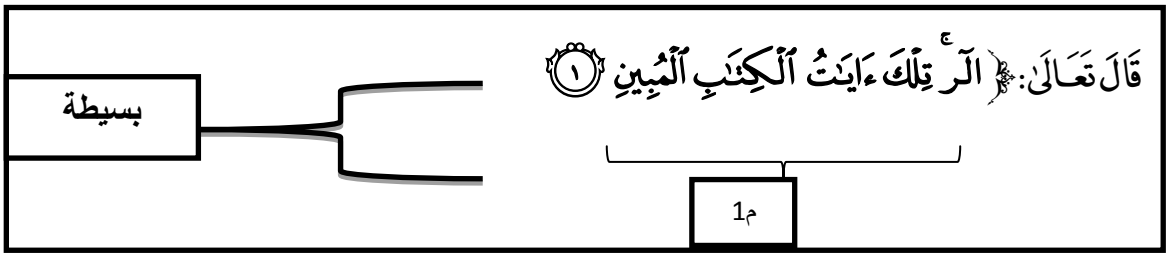

* _ يحمل كل إطار الجمل التي صنفناها من حيث المبنى والمعنى، ويدل الرمزان 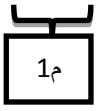

و ▬ على المحمول، إذ به صنفنا الجمل من حيث البساطة والتعقيد.

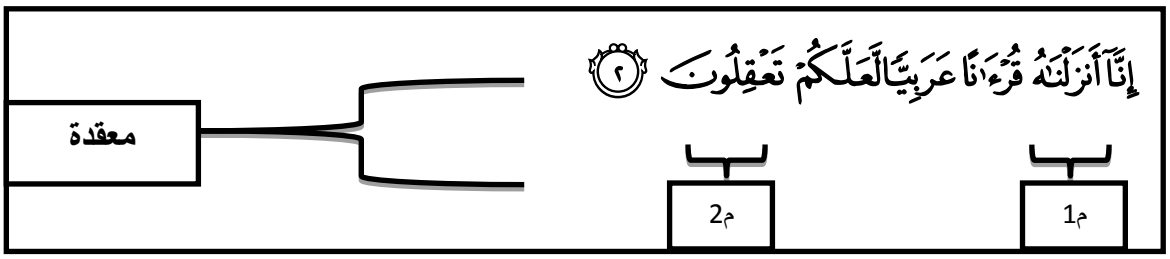
إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾
معقدة
1م
2م

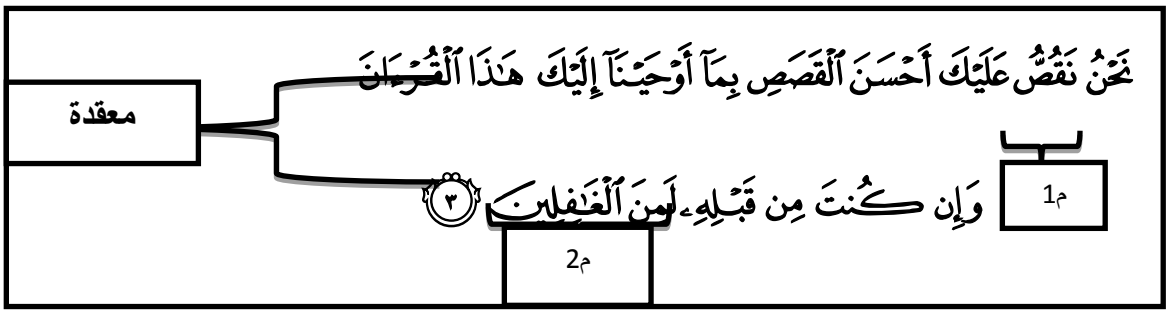
نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ
وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾
معقدة
1م
2م

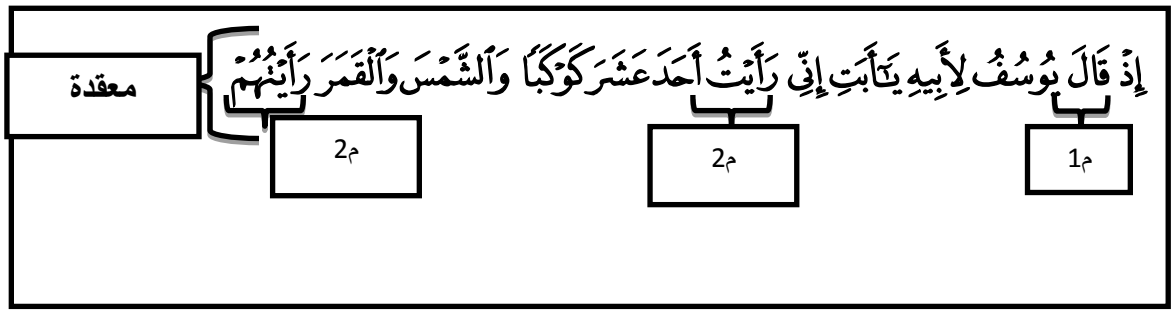
إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
معقدة
1م
2م
2م

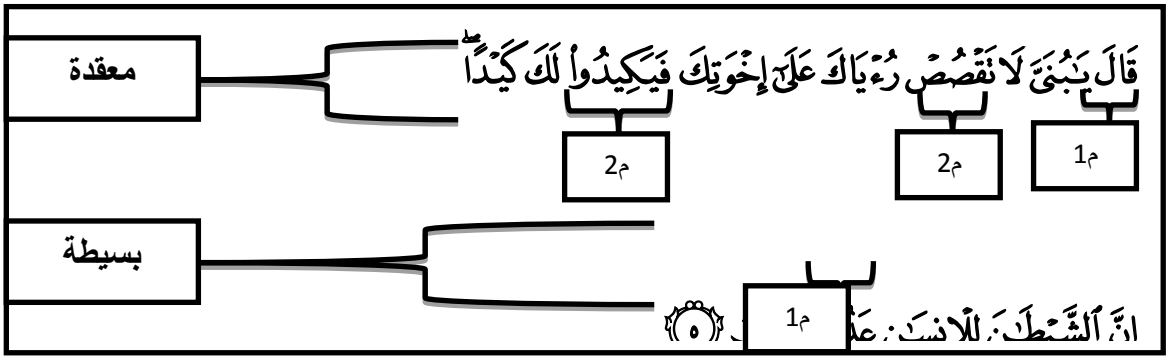
قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا
معقدة
1م
2م
2م
بسيطة
1م
﴿٥﴾

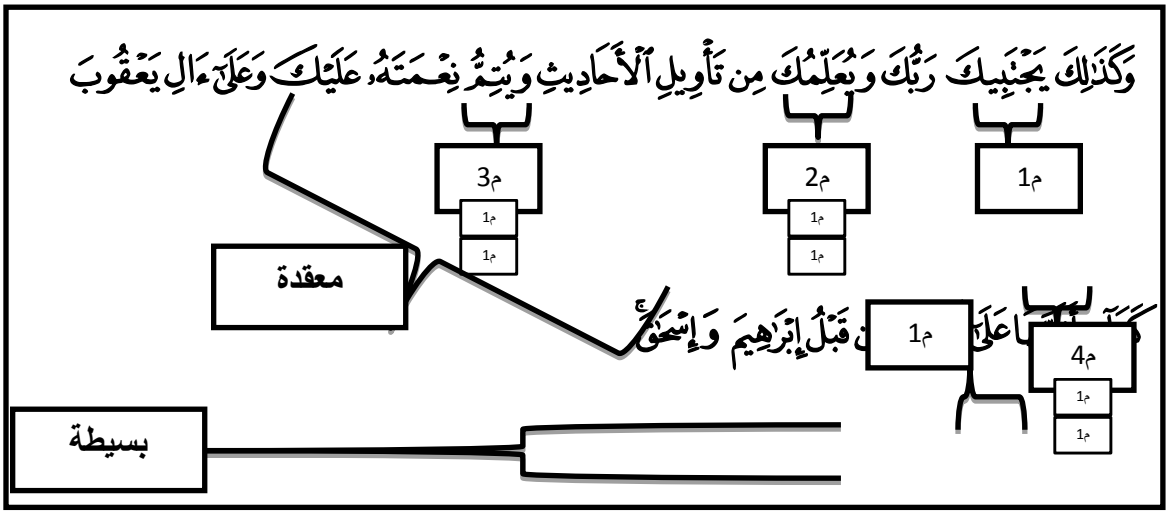
وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ
1م
2م
3م
معقدة
1م
4م
بسيطة

لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾

بسيطة

إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ

معقدة

بسيطة

3م
1م
1م
2م
1م
1م
1م

اقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾

معقدة

3م
2م
1م

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ

فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾

معقدة

قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾

معقدة

أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾

معقدة

قَالَ إِنِّى لَيَحْزُنُنِىٓ أَن تَذْهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾

معقدة

قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾

معقدة

فَلَمَّا ذَهَبُوا۟ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓا۟ أَن يَجْعَلُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾

معقدة

وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾

معقدة

قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾

معقدة

وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾

معقدة

وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

معقدة

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾

معقدة

وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

معقدة

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

مع قدة — بسيطة

وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

مع قدة — بسيطة

وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ

معقدة — بسيطة

وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

معقدة

قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾

معقدة

وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾

معقدة

فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾

مع قدة — بسيطة

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾

مع قدة — بسيطة

وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا

معقدة — بسيطة

۞ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ وَأَعۡتَدَتۡ لَهُنَّ مُتَّكَـٔٗا وَءَاتَتۡ كُلَّ وَٰحِدَةٖ مِّنۡهُنَّ سِكِّينٗا وَقَالَتِ ٱخۡرُجۡ عَلَيۡهِنَّۖ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾

معقدة

قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾

معقدة

قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

معقدة

فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾

معقدة

بسيطة

ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا رَأَوُاْ ٱلۡأٓيَٰتِ لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٣٥﴾

معقدة

وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُ

بسيطة

معقدة

بسيطة

قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

معقدة

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾

معقدة

يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾

بسيطة

معقدة

مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾

يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾

معقدة

وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾

معقدة

وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

معقدة

قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

معقدة

وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾

معقدة

يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفۡتِنَا فِي سَبۡعِ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٤٦﴾

معقدة

قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾

معقدة

ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾

معقدة

ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾

معقدة

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾

معقدة — بسيطة

قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾

معقدة

ذَٰلِكَ لِيَعۡلَمَ أَنِّي لَمۡ أَخُنۡهُ بِٱلۡغَيۡبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾

معقدة

وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ

بسيطة — معقدة

بسيطة

وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾

معقدة

قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ٥٥

معقدة

وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦

معقدة

وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٥٧

معقدة

وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ٥٨

معقدة

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمۡ قَالَ ٱئۡتُونِي بِأَخٖ لَّكُم مِّنۡ أَبِيكُمۡۚ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ

فَإِن لَّمۡ تَأۡتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيۡلَ لَكُمۡ عِندِي وَلَا تَقۡرَبُونِ ٦٠

معقدة

قَالُواْ سَنُرَٰوِدُ عَنۡهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ٦١

معقدة

وَقَالَ لِفِتۡيَٰنِهِ ٱجۡعَلُواْ بِضَٰعَتَهُمۡ فِي رِحَالِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ

معقدة

فَلَمَّا رَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيهِمۡ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلۡكَيۡلُ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَآ أَخَانَا نَكۡتَلۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٦٣

معقدة

قَالَ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبۡلُۖ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٦٤

معقدة

وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ

معقدة

معقدة

قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾

معقدة

وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾

معقدة

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾

معقدة

وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾

معقدة

فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾

معقدة

قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾

معقدة

قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾

معقدة

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾

معقدة

قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾

معقدة

قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾

معقدة

فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ

معقدة

لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ

عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ

معقدة

قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾

قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥ ۖ

معقدة

بسيطة

إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ ۖ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾

معقدة

فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا ۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم

مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُّمُونِى فِى يُوسُفَ ۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ

وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾

معقدة

ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ ۖ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا ۖ وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ

حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾

معقدة

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾

معقدة

قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ

معقدة

بسيطة

وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾

معقدة

قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾

معقدة

قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

معقدة

يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ

معقدة

إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾

بسيطة

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ

معقدة

وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ

بسيطة

قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾

معقدة

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠

معقدة

قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١

معقدة

قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢

معقدة

ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٣

معقدة

وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلۡعِيرُ قَالَ أَبُوهُمۡ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَۖ لَوۡلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ٩٤

معقدة

قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلۡقَدِيمِ ٩٥

معقدة

فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٩٦

معقدة

قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ٩٧

معقدة

بسيطة

قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٩٨

معقدة

بسيطة

فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾

معقدة

وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾

معقدة

بسيطة

رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾

معقدة

ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾

معقدة

وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

معقدة

وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾

معقدة

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾

معقدة

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾

معقدة

أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾

معقدة

قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾

معقدة

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۗ وَلَدَارُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَواْۗ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿١٠٩﴾

معقدة

حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾

معقدة

لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾

معقدة

أسلفنا – من البنيّة الحمليّة، إذ؛ تبحث هذه البنيّة دلالة المحمول وكذا الوظائف الدلاليّة التي يفرضها على الحدود.

فالمحمول– الفعل أو الاسم أو الصفة أو الظرف أو المركب الحرفي – يدلّ على واقعة صنّفها علماء نظريّة النّحو الوظيفي أعمالاً أو أحداثًا أو أوضاعًا أو حالات. وبالنسبة لهذه الواقعة تشارك الحدود المنتقاة (استبدالاً وتوزيعًا) في تحقيق الواقعة، وهذه الحدود

تحمل وظائف دلاليّة قد تكون أصليّة (موضوعات) لا يمكن الاستغناء عنها كالمنفذ والمتموضع والمتقبل والمستقبل، وقد تكون ثانويّة (لواحق) تعمل على تخصيص الواقعة وتحديد ملابساتها، كالوظائف الزمان والمكان والعلة.

وما إن يستقر الوضع الدلالي حتى يستأنف تركيبًا وتداولاً، فتسند في البنيّة الوظيفيّة الوظائف التركيبيّة والتداوليّة.

فالبنيّة التركيبيّة وإن كانت وظائفها غير كليّة بالنسبة للّغات، فإنّها تقتصر على إسناد الفاعل والمفعول فقط إذ؛ هما من يحدّد الوجهة التي تقدّم منها الواقعة، ولا داعي لتكرار الوظائف الدلاليّة. في حين أنّ الوظائف التداوليّة تحمل همّ التّعالق بين البنيّة والسياق، فتسند الوظائف التداوليّة إلى مكونات الجملة وهي تتفاعل في ظروف سياقيّة اجتماعية، نفسيّة، ثقافيّة، مكانيّة...

إنّ التّحليل الدّلاليّ في النحو الوظيفي، يروم تحليل الجمل وهي تحمل دلالة منطقيّة واضحة، والتحليل التركيبي يقوم بتحديد الوجهة التي قدّمت من خلالها الواقعة، في حين أنّ التحليل التداوليّ يروم تفعيل البنيّة الدّلاليّة المنطقيّة في السياق، والمحمول في وضعيّته الدّلاليّة يتحقّق في أربعة أصناف، فيدل تارة على عمل وتارة على وضع ومرّة على حدث وأخرى على حالة.

وإذا لا حظناه في سورة يوسف فإنّه أخذ بكثرة دلالة العمل والحالة والوضع*؛ ذلك أنّ السورة سرديّة، جاءت تقصّ أعمالاً واقعيّة وتقدّم حالات الأفراد وأوضاعهم في تركيبة سرديّة واقعيّة.

---

*الأعمال:

محمولات فيها حركة واضطراب.

تصدر من ذات عاقلة غالبًا.

ومراقبة للحدث (لها القدرة على الإنجاز وعدمه).

والوظيفة الدلاليّة التي تأخذ بالنسبة للمحمل هي المنفذ.

وقد أخذت حدود هذه المحمولات – في هذه التشكيلة السرديّة عمومًا – الوظائف الدّلاليّة: المنفذ/الحائل/المتوضع، المتقبل، الاتجاه، المكان والزمان.

فَحَملَ المنفذ/المتوضع/الحائل، المتقبل، الاتجاه، دور الذوات الفاعلة في السرد، فهي ذوات تجعل الأحداث تتنامى وتتكاثر، وقد قلّصت هذه الوظائف إلى هذه الدرجة عمومًا تدليلاً على الواقعيّة القصصيّة، وكل ما هو واقعي يأخذ بالاختصار والتقليص. فلا داعي إلى تمديد الوظائف (استبدالا وتوزيعا) فأخذ السرد القرآني التعبير عن الذوات الفاعلة في تكاثر القصّ فقط، فيكون الأمر الدّلالي – والحال هذه – يتوازى مع ذلك الاختصار الوجهي/التركيبي الذي صنفه علماء نظريّة النحو الوظيفي؛ إذ تحمل وظيفتي الفاعل والمفعول الدورين اللذين تقدّم منهما الواقعة، أي الدور الرئيسي والثانوي، فيكفي للواقعة أن تُقدّم بحدّ رئيسي وثانوي دون التعديّة إلى حدود أخرى، فالذات الإلاهيّة هي مصدر الوحي، تقبل على سرد قصة يوسف ﷺ فقدمت الذوات الفاعلة في القصّ، والواقعيّة كما هو معهود تقلّص الخيال فتقلصت بذلك الوظائف المحيطة بالواقعة، والوظائف إذ تتقلص في الفعل السردي كذلك، فإنّ هذه الواقعيّة في التقليص لا يمكنها أن تمتنع أو أن تمدّد تخصّصا ببعض الزمان والمكان، إذ الزمان والمكان هما الحاملان للفعل السردي وبدونهما لا تتمّ أيّ واقعيّة سرديّة،

الأوضاع:

= تصدر من ذات مراقبة لوضع.

الوظيفة الدلاليّة التي تأخذ بها بالنسبة للمحمول المتموضع.

الحالة:

تصدر من ذات عاقلة تخصيصًا.

الوظيفة الدلاليّة التي تأخذها بالنسبة للمحمول الحائل.

وقد كثرت المحمولات الأعمال ممّا يدلّ على حركيّة السرد واضطرابه، ووردت أيضا المحمولات الأوضاع والحالات للتدليل على وضعيات الذوات الفاعلة في السرد وحالتها ضمن التنغيمة العمليّة الكبيرة للأعمال/المحمولات السرديّة.

وقد وردت بقيّة الوظائف في تارات متنوعة، كالعلة والحدث والمصاحب... شأن هذه الوظائف أن تتخلّل السرد تعليلاً وتأكيدًا للوقائع ومصاحبة للذوات في التركيبة السرديّة.

ونكرّر القول – تناسقا مع الوظائف الدلاليّة وتثبيتا للواقعيّة السرديّة – أنّ الوقائع إذا حملناها على المنظور الوجهي/التركيبي، نجد الوظيفتين الفاعل والمفعول شديدتي الالتصاق بالوظيفتين المنفذ/ المتوضع/ الحائل، والمتقبل والاتجاه، والوظيفتين التركيبيتين إذ؛ تكونا كذلك؛ فإنّهما يحدّدان الذوات والمنظور الذي قدمت من خلاله الواقعة بدقّة، فهاتان الوظيفتان تحدّدان الذوات المركزيّة المساهمة في النماء السردي وتكاثره.

فكانت الذوات المشاركة في تقديم الوقائع دلاليًّا (منفذ/متوضع/حائل، متقبل، اتجاه) وتركيبيًّا (الفاعل والمفعول) فهي اللّه ﷻ،ويوسف ﷺ، يعقوب ﷺ، الإخوة الكبار (إخوته لأبيه)، الأخ الأصغر (الشقيق)، أفراد القافلة، العزيز، نسوة في المدينة، الفتيان (وفتيا السجن)، الملك، فتيان يوسف وخدمه.

وقد وردت في العموم هذه الوظائف من حيث المسافة* الإسناديّة قريبة من المحمول وذلك ما يبرّر التقليص في الوظائف، وتحقيق الواقعيّة السردية، فالوظائف شديدة الالتصاق بالمحمول، وفي هذا تحقيق لأصليّة الإسناد اللغّوي "والأصل في طرفي الإسناد أن يتقاربا[1]" فهذه الأصليّة تتطابق مع واقعيّة القص فيؤدي هذا الالتصاق إلى وضوح المعنى وأمن اللّبس، وتحقيقًا للواقعيّة السرديّة، وعلى كل ما سبق نورد الشواهد الآتيّة:

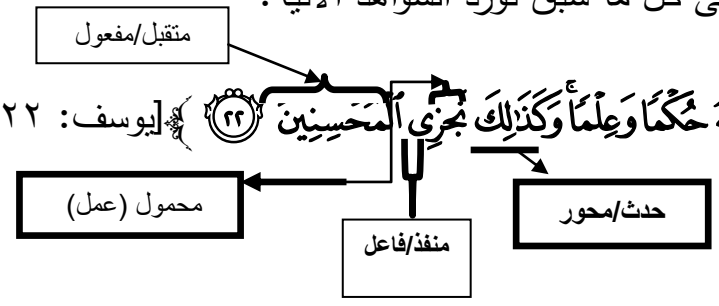

*– مصطلح أورده الباحث تمام حسان في كتابه: البيان في روائع القرآن.

[1]– تمام حسان: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000، ص38.

-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [يوسف: ٢٤]

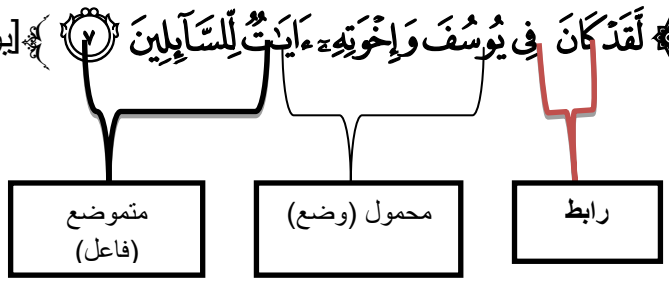

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧]

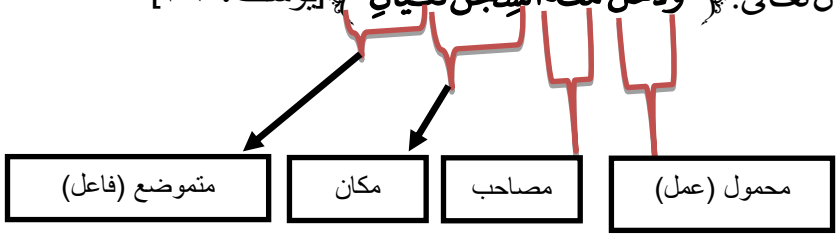

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ﴾ [يوسف: ٣٦]

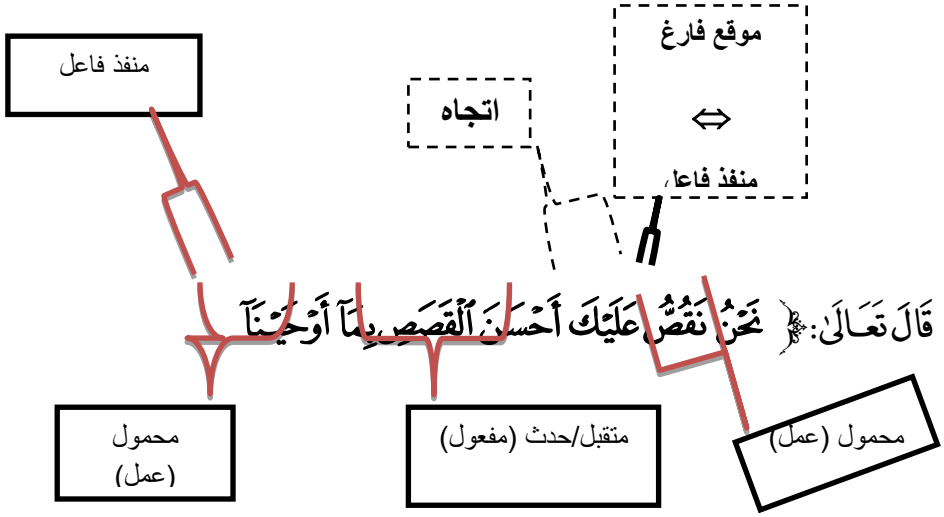

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ

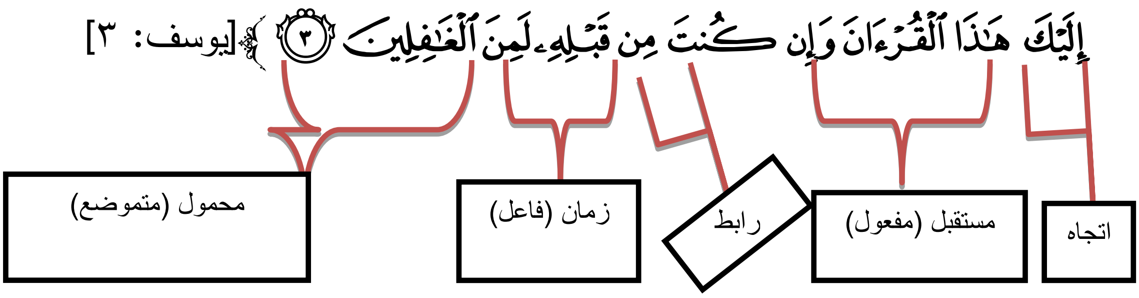

فالجملة الأخيرة لو أردنا تصنيفها دلاليًّا وتركيبيًّا يمكن أن يحدث التوازي التالي مثلاً:

من حيث الدلالة		**من حيث الجهة**
الواقعة	**الحدود**	
نقص عمل	موقع فارغ⇔منفذ←←←←←←←←←←←←← عليك ←اتجاه← أحسن القصص ← حدث	**فاعل** **مفعول**
أوحى عمل	نا ←←←←←←←←←←←←←←←منفذ إليك ←←←←←←←←←←←←← اتجاه هذا القرآن ←←←←←←←← متقبل	**فاعل** مفعول
لمن الغافلين **(وضع)**	ـــــــــ ت متموضع ←←←←←←←←← من قبله ـــــــ زمان←←←←←←←←←	**ت.فاعل** **مفعول**

من خلال التصنيف الدلالي: تتحدّد الواقعة وحدودها المشاركة في تقديمها، ويقبل التصنيف الوجهي/التركيبي على تحديد الحدود المركزية التي قدّمت من خلالها الواقعة، وتتعيّن لنا دلالة منطقيّة واضحة من خلال النظام الذي يجمع المكونات. فهذه الجملة المعقدّة تتشكلت من ثلاثة محمولات "نقصُّ"، "أوحى"، "لمن الغافلين"، وهي عمل، عمل

ووضع على التوالي، وشاركت هذا التّشكل المحمولي أي عمل القصّ وعمل الوحي ووضع الغفلة **الوظائف الدلاليّة والتركيبيّة توازيا: عمل القصّ** المنفذ (موقع فارغ) الفاعل والاتجاه (عليك) المفعول والحدث(أحسن القصص).

وعمل الوحي: نـــا (المنفذ) الفاعل (إليك): الاتجاه هذا القرآن المتقبل: المفعول.

و (لمن الغافلين) متموضع فاعل (من قبله): زمان/مفعول. ونشير إلى أنّ الوظيفة الحدث والاتجاه زادت الواقعة تخصيصًا وتوضيحًا.

أمّا من حيث الوضعيّة التداوليّة فإنّ سورة يوسف سورةٌ تتفجّر إخبارًا في صيغته الأصليّة، فهي تلك السورة التي نزلت تسلية لقلب النبي ﷺ. وتتعدّى التسليّة إلى العصبة المسلمة في آن الرسول ﷺ والأجيال اللاحقة والعالمين، فهي أخبارٌ/معلومات جديدة تطرأ وحيًا على النبي ﷺ وتنتشر في محيط الصحابة بين عام الحزن وبيعة العقبة*، فهذه السورة هي تلك الخبر الذي وقع "في تلك الفترة الحرجة في تاريخ الدعوة وفي حياة الرسول ﷺ والعصبة المسلمة معا في مكة...[1]".

فالسورة تشكيلة سرديّة تفوح إخبارًا، وهذا الهمُّ الإخباريّ تتحملّه حسب نظريّة النحو الوظيفي الوظيفة التداوليّة البؤرة، فكانت المعلومة تتأرجح تناغمًا بين بؤرة الجديد وبؤرة المقابلة، إذ؛ الخبر لأول مرّة يأتي بؤرة جديد مثل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ ﴾[يوسف: ١]،قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ

*– سيد قطب: في ظلال القرآن، م4، ص1049.

[1]– سيد قطب: في ظلال القرآن، م4، ص1049.

﴿ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾﴾[يوسف: ٣٦] والمعلومة الجديدة في التنغيمة السرديّة ما إن يتقدم السرد حتّى تصبح بؤرًا للمقابلة بالنسبة للمتلقي.

فالتنغيم الخبري السردي، وهو يتقدّم، بؤرة جديدة لا بدّ له من تنغيم خبري سردي يتناسق معه ويتمثل في بؤرة المقابلة، إذ؛ المعلومة التي تمثل بؤرة جديدة أي؛ المعلومة التي لا تدخل في القاسم الإخباري المشترك بين المتكلم والمخاطب لا يمكن لها أن تصمد تشكلاً سرديًّا طويلاً، فالذهن لا يتخيّل سردًا كله جديد فلا بدّ أن تتخلّله معلومات واردة بالنسبة للمخاطب/بؤرة مقابلة.

وبهذا فقد تخلّلت سورة يوسف بؤرًا للمقابلة مؤكدة أكدّها الله ﷻ مثلا: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾﴾[يوسف: ٥] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾﴾[يوسف: ٧]

فهذه المعلومات لا تشكل بالنسبة للمتلقي صدمات ومفاجآت وإنّما يتعامل معها ذهنه بنوع من الألفة لأنّها واردة بالنسبة إليه.

وقد تصبح معلومات بؤر المقابلة متداولة في التشكيلة السرديّة بالنسبة للقارئ مثل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾﴾[يوسف: ٢٨] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾﴾[يوسف: ٢٩] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾[يوسف: ٢٣]

وهذه الجمل إذا حملناها على المخاطب في السورة نجدها جملاً مُذَكرة ومنبّهة؛ ذلك أنّ المرأة متمرّدة عن نسق هذه القيم غفلة وإلحاحًا في الخيانة وتحقيقًا لمصالح أهوائها بالنسبة لمن عقله صالح وصاحٍ فهي معلومة متداولة.

وجملة: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾[يوسف: ٥] مثلاً: هي بؤرة مقابلة تحمل معلومة متقاسمة ومؤكدّة في العرف الديني والاجتماعي، وحملتها الكتب السماويّة، ومؤكدة من الله ﷻ ... فهذه الاعتقادات والقيّم منتشرة في ذهنيّة الإنسان فحملتها بؤرة المقابلة، أمّا بالنسبة لبؤرة الجديد؛ فهي قد حملت معلومات جديدة سواء تلك المعلومات التي تؤخذ إنصاتًا للوحي في صورته العامة، أو من حيث هي جديدة بالنسبة للتشويق السردي مثل: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ ٨٣ ﴾[يوسف: ٨٣] وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكَ كَيۡلٞ يَسِيرٞ ٦٥ ﴾[يوسف: ٦٥].

فالإخبار في سورة يوسف حملته تارة بؤرة الجديد؛ وذلك حسب التوالد السردي للمعلومات الجديدة/الوحي، وحملته بؤرة المقابلة حسب قدم المعلومات في التوالد السردي وتقدّمه، وحسب علاقة الذوات بالاعتقادات والقيّم والنسق الاجتماعي.

أمّا بالنسبة لوظيفة المنادى فقد وردت بكثرة ومن أمثلتها:

- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ۞ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾يوسف: ١٠١

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾يوسف: ١٠١

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾يوسف: ٣٣

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾يوسف: ٢٩

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾يوسف: ٤٦

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾يوسف: ٤٣

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾يوسف: ٧٨

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ ﴿٦٧﴾ ﴾يوسف: ٦٧.

فوظيفة المنادى ترد بين المقاطع السرديّة، وهي تحمل همَّ تقويّة التواصل بين الذوات الفاعلة في السرد، فتعبّر عن القرب والبعد أو المسافة بين المتكلم والمخاطب. فقد تكون هذه

المسافة اجتماعيّة كأن تعبّر عن احترام وتقرّب من المتكلم للمخاطب مثل: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا ﴿٧٨﴾ ﴾يوسف: ٧٨

أو عن رتبة اجتماعيّة: – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا ﴿٧٨﴾ ﴾يوسف: ٧٨

– أو عن تقرب ولقب يستحقه لعرف أو لحادثة يقينيّة سابقة مثل: – قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾يوسف: ٧٨

– أو عن علاقة أنس واستخلاص إذ؛ ينادى المنادى باسمه للثقة والاطمئنان إليه ويضمر المشكوك فيه مثل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَـٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾يوسف: ٢٩

– أو عن القرابة بين الأب والأبناء مثل:"يا أبت"، "يا أبانا"، "يا بني"... ففي الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالَ يَـٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ ﴿٦٧﴾ ﴾يوسف: ٦٧. تدلّ على علاقة القرابة بين الأب وأبنائه في صورة تحمل دلالة الافتقاد، إذ؛ فقد الأب ابنين، فاحتار في أمر الفقد هذا فأصبح يوصي شفقة وحيرة بالتفرّق حتى إذا حدث حادث لم يصب الجميع، فتتفرّق الإصابة حتّى يرجع من يستأنس به على حزنه، فالغرض احتياطي هنا. وفي الآية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ

﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾﴾[يوسف: ٤] يحمل المكون المنادى المسافة القريبة جدًّا بين الولد الصغير وهو يقصّ على والده ما حدث له ويناديه بلقب الأبوة الذي يتردّد كثيرًا على ألسنة الأولاد، وهو إذ؛ يشرح واقعته لأبيه فالطفل لاجئ لأبيه دائمًا، شاكيًّا همّه له، ومناداته بـ "يا أبت" تدليل على أنّ (سيدنا يعقوب) كان يهتمّ لابنه كثيرًا، ممّا دعا الابن إلى قصّ حتّى المنام عليه، وناداه وهو حاضر معه بـ: " يا أبت" لقرب المسافة بين الولد وأبيه ولضرورة الاهتمام به، فالنداء يحمل التقريب عن طريق إرادة الأنسَة والألفة منه. وتعدّ علاقة الوالد بولده أعظم علاقات القرابة بعد علاقة الفرد بربه ورسوله، فتحمل علاقة الفرد بربه مسافة قرب ديني تتفجّر خضوعًا ورجاء وتضرعًا وخوفًا وتذلّلاً فالمنادى إذا حملته الجملة فإنّها تفيد مسافة ندائيّة دعائيّة تلمع قربا. قَالَ تَعَالَى:﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾[يوسف: ٣٣] وتتعزّز المسافة الدعائيّة بتكرار النداء، وقد ازيّنت القرابة بحسن تأدب مع الله في الدعاء. قَالَ تَعَالَى: ﴿ ۞ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾يوسف: ١٠١

وفي الآية: قَالَ تَعَالَى:﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾﴾[يوسف: ٣٩] . يحمل هذا المكون دلالة قصدها سيدنا يوسف عليه السلام وهو ضرورة الاهتمام بالخطاب الموجّه إليها الذي يحمل تنغيمة استفهاميّة ذات قيمة حجاجيّة، وهو إذ؛ يذكر الشخصين وهما معه حاضران يبغي خلق نوع من الألفة تدلّ على القرابة التّي من شأنها تقوية التواصل، و التّي تبعث فيه نوعا من الحيويّة، حتّى يتأمّله صاحبا السجن ويكترثا له، بدل أن يباشرهما حديثا. فالنداء إمكانيّة تمهيديّة تخلق حيويّة وديناميّة تبعث التواصل لأنّ يتمّ ويستمرّ، وفي النداء ألفة ومؤانسة.

والنداء إذ يتمّ في التركيبة السرديّة لسورة يوسف، من شأنه أن يقيم التواصل الحيوي بين الذوات الفاعلة في السرد، ونشير أنّ الجملة الندائيّة وكل جملة، لا بدّ أن توضع دائمًا وأبدا في سياقها حتى يتمّ استكناه دلالتها الحقيقيّة.

وقد منح الإيقاع والتهاطل السردي – الذي يتفجّر إيجازًا ويلمّ بكلّ الحيثيّات – للجمل الفعليّة الكثيرة والجمل المعقّدة المترابطة مع بعضها في تشكيلة جمليّة مترابطة جدًّا من أن يشتغل المكون المحور باستمرار وتشتغل الحمول داخليّا.

فورد المحور – محطّ – الحديث كثيرًا، فالتركيبة الحمليّة شكلّ محط حديثها المحور داخليّا، وما طرأ من المبتدآت كمكونات خارجيّة تسهم في تحديد مجال الحديث إلاّ قليلا وهي الجمل:

1- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾يوسف: ٨

مبتدأ

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ

مبتدأ محور مبتدأ

ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾يوسف: ٤١

محور

مبتدأ

3- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ ﴾يوسف: ٦٥

فالمحاور تقع داخل التركيبة المحموليّة، التي قلنا عنها بأنّها تركيبة فعليّة معقّدة عمومًا، فمحطّ الحديث/المحور يشتغل باستمرار داخل هذه التركيبة، وقد حمل في غالبه همّ الذوات الفاعلة في تشكيل السرد وإحداث منعرجاته، فهو مطلوب ضمن التناسل السردي الهائل، فصار كل مبتدأ يشكل مجال الحديث من خارج الحمل نادرًا في الفعل السردي، فكل مبتدأ هو إمكانيّة طارئة بالنسبة للحمل، إذ؛ يأتي مساعدًا للمكون المحور بخارجيّته بالنسبة للحمل، فهو يشكّل مجال الحديث العام، ففي الجمل السابقة وردت المبتدآت مكوّنات مساعدة في تشكيل محطّ الحديث فهي تضاعف، دلالة المكوّن المحور من حيث الأهميّة، وذلك لأنّ المحور داخليّا تنقص دلالته بأنّه هو محطّ الحديث، فتستعار لها طاقة خارجيّة تعوّض النقص إذ؛ لولا هذه المكونات لأصاب المحور مكونات الاتجاه (إلى أبينا، إلينا) والمتقبل (ربّه) والمتموضع (الطير) وهذا يبقى المكوّن المحور يصيب المواقع الفارغة (يسقي) (ردّت) والمكان (من رأسه) ، ولضرورة، صيغة التفضيل إذ؛ لا يمكن لغويًّا وضع ضمير بعد اسم التفضيل أو اسم يعود على ما سبقه وإنّما يأخذ موقعا فارغا.

أمّا بالنسبة للمحاور المشكلة لمحط الحديث كما أسلفنا – فكثيرة – وهذا طبيعي إذ؛ المحمولات لا بدّ لها أن تكون لها محاور هي محطّ الحديث داخل الحمل. ومن أمثلتها.

- قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يوسف: ٢٣

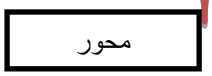

- قَالَ تَعَالَى: ﴿لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾ يوسف: ٢٤

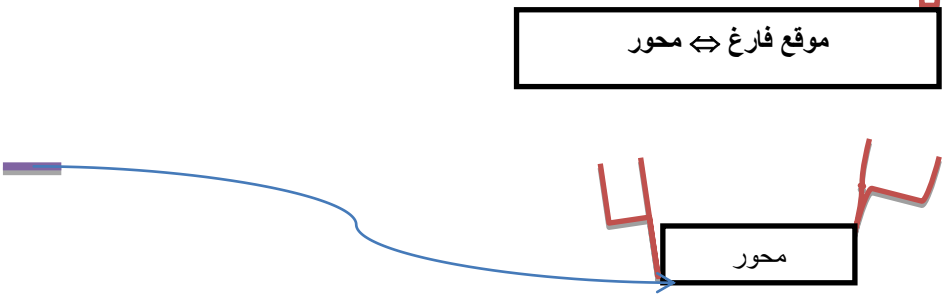

- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾يوسف: ٤

أما بالنسبة للوظيفة الذيل فلم ترد في السورة، إذ؛ من الناحيّة الجمليّة جاءت المعلومات مضبوطة، وهذا الضبط تكفّل به التعبير الإلاهيّ، فالمعلومات في الجملة لا تصحّح ولا تعدّل ولا توضّح، فالجملة تعبير قصير تتمكن منه ذاكرة الفرد وتستوعبه، كما أنّ لكل تعبير إلاهي الدّقة والفائدة التامة معنًى ومبنًى، ويطمئن ذهن المتلقي إليه، ممّا يبرّر عدميّة التوضيح والتصحيح والتعديل، حاشا والله قائل المعلومة.

ونشير أنّه من الناحيّة النصيّة للتركيبة السرديّة ككل، يمكن أن نجد أذيالاً موضّحة تمثل جملاً ككل، وذلك شفقة ورحمة بذهن المتلقي، وذاكرته، وهذا الأمر إذ؛ يتحقّق فإنّ القارئ سيضل حاضرًا في فعل القراءة ولا يصيبه التشويش.

واستتباعًا لتحليل هذه العلاقات الدلاليّة والوجهيّة والتداوليّة، نورد فيما يلي طائفة من الجمل محلّلة إلى وظائف تركيبيّة ودلاليّة وتداوليّة:

1-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ ﴾يوسف: ١

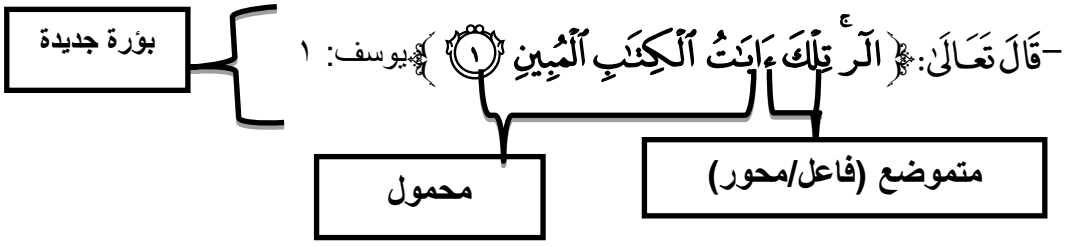

2- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ ﴾يوسف: ٥

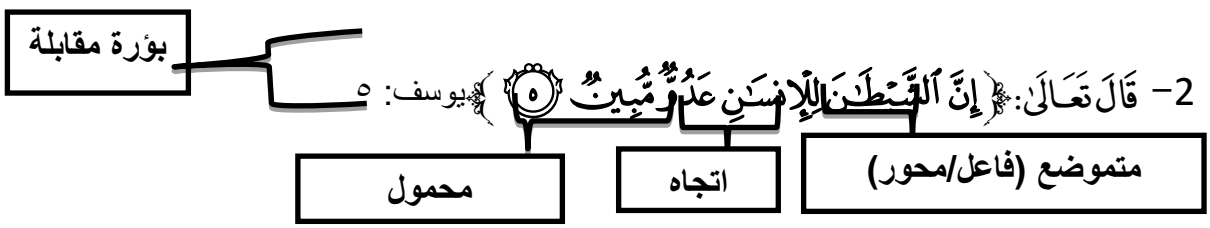

3-قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝٦﴾ يوسف: ٦

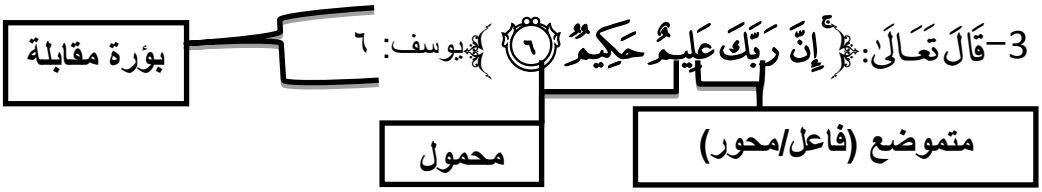

4- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ۝٧﴾ يوسف: ٧

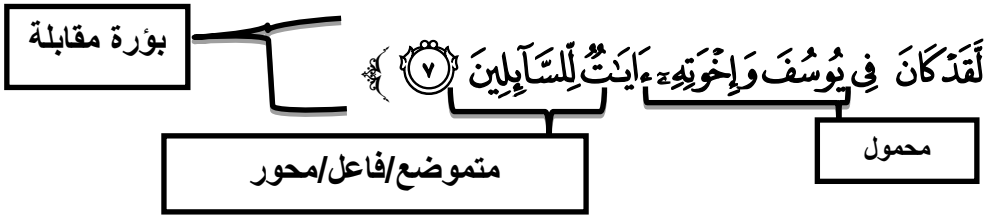

5- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ يوسف: ٨

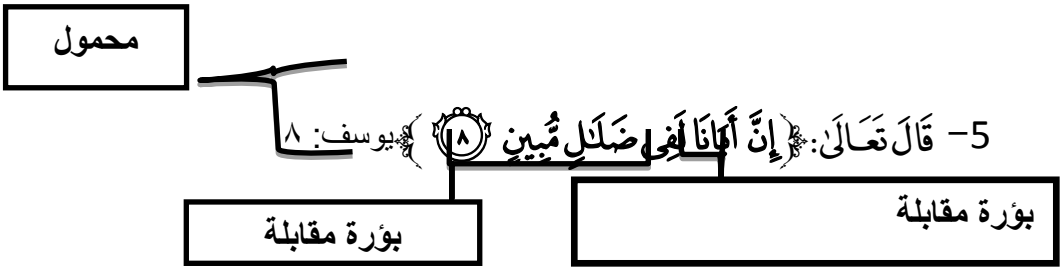

6- يوسف: ٢٢

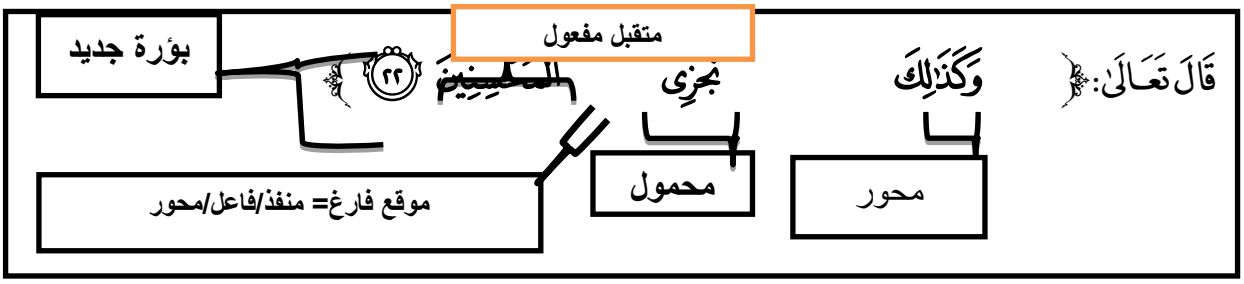

7- يوسف: 23

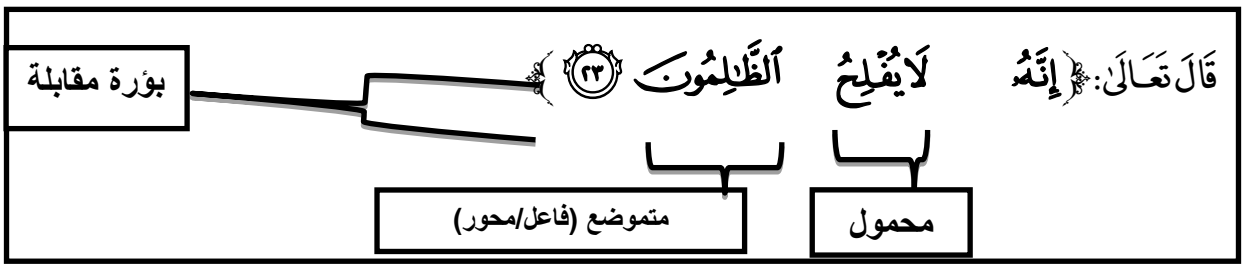

8- يوسف: ٢٤

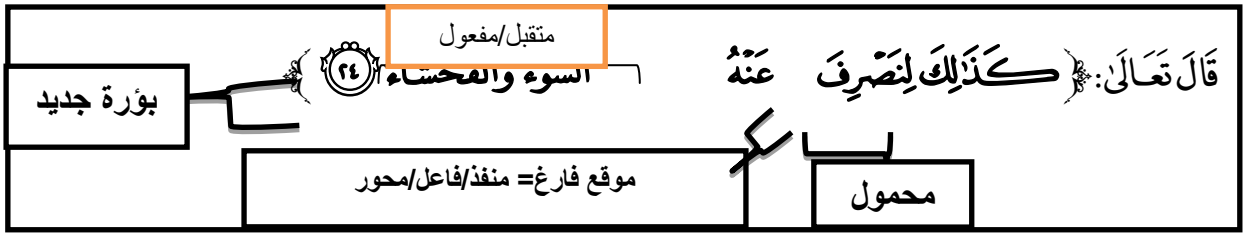

09- يوسف: ٢٤

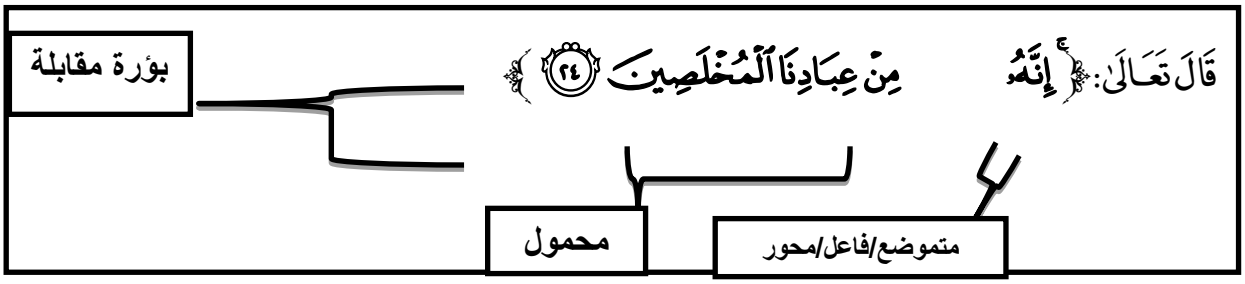

10- يوسف: ٢٨

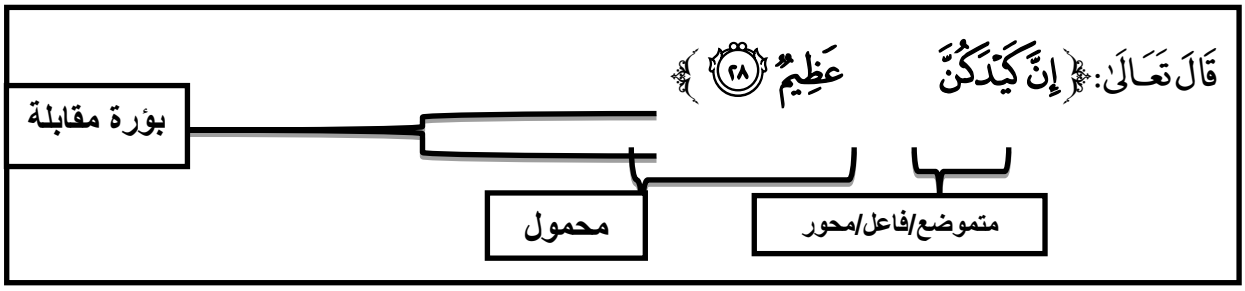

11- يوسف: ٢٩

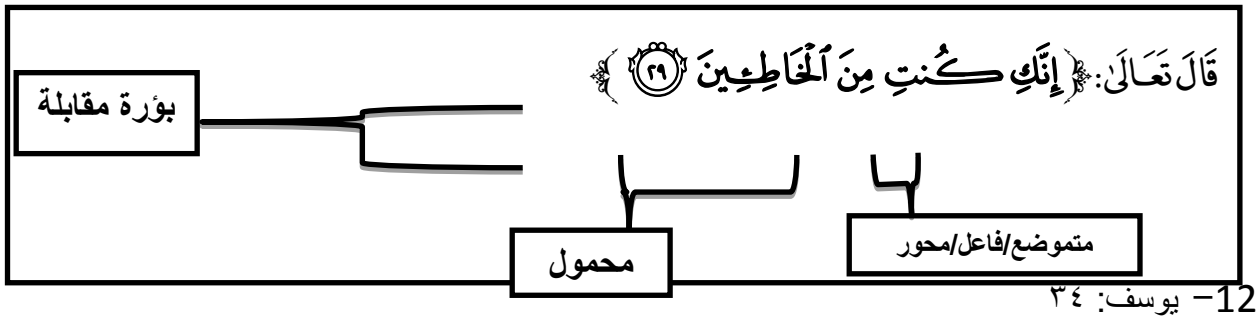

12- يوسف: ٣٤

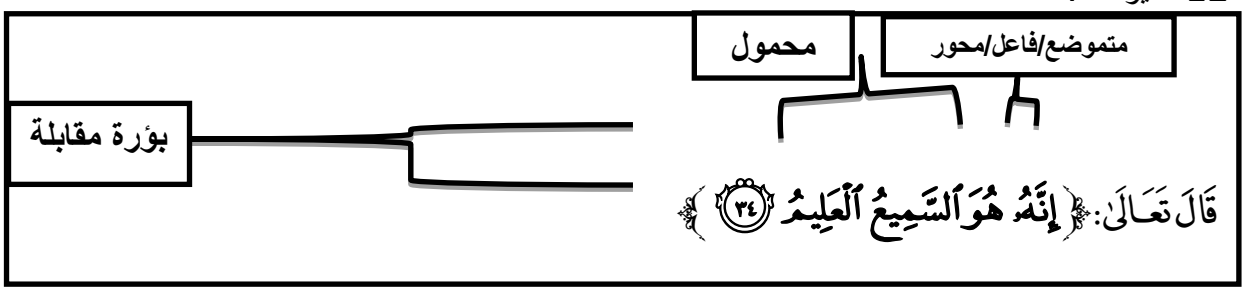

13- يوسف: ٣٦

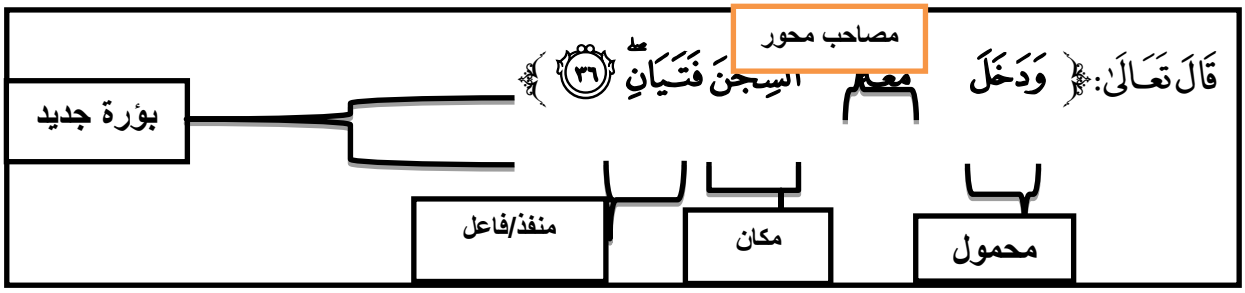

14- يوسف: ٣٦

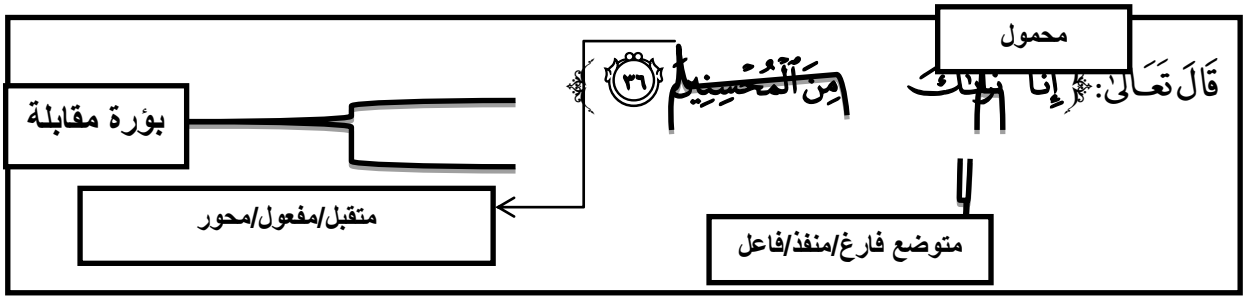

15- يوسف: ٣٦

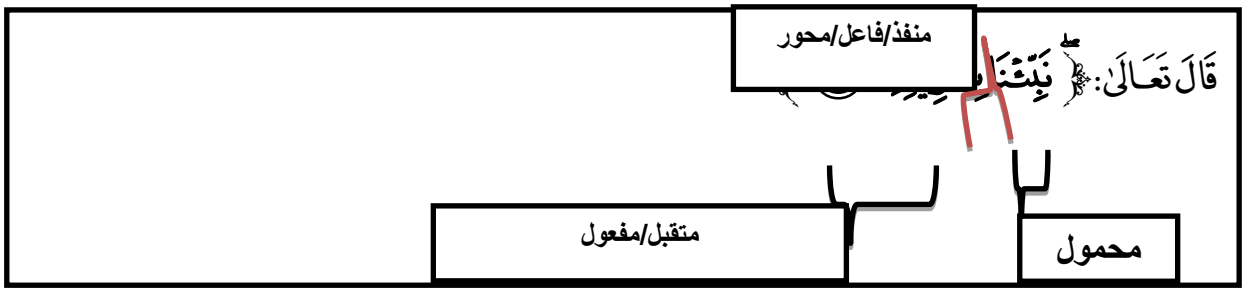

16- يوسف:٣٩

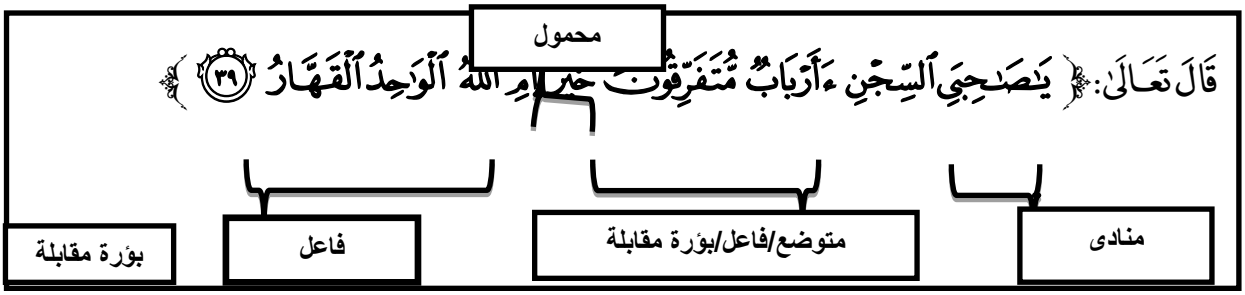

17- يوسف: ٦٥

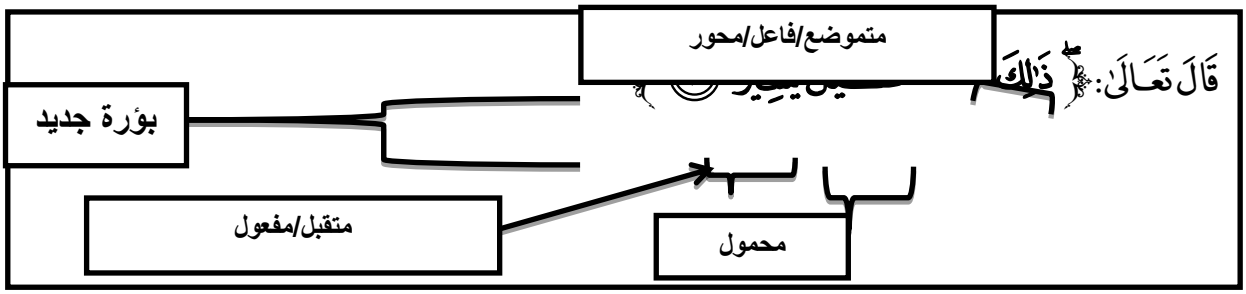

18- يوسف: ٣٦

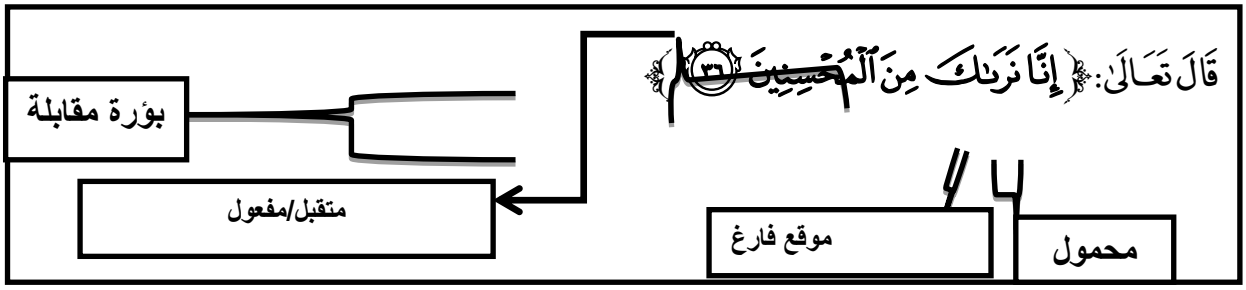

19- يوسف: ٨٣

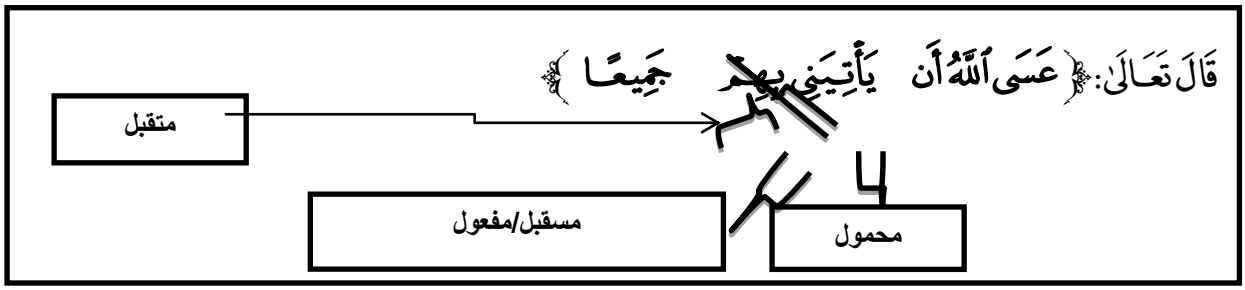

20- يوسف: ١٠٠

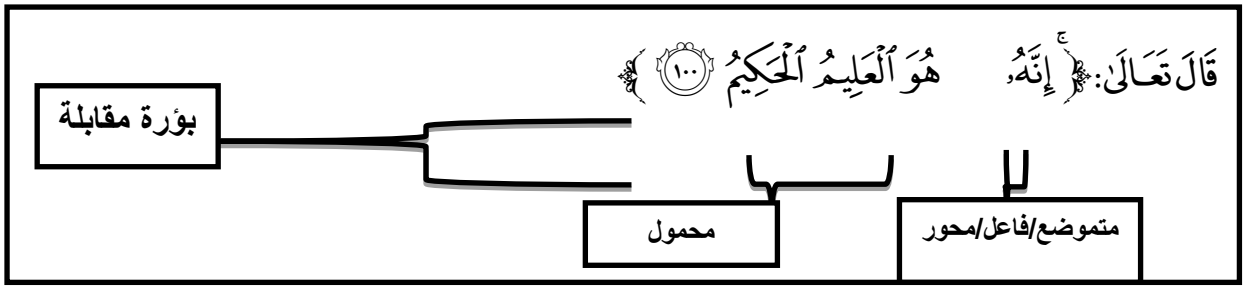

21- يوسف: ٨٧

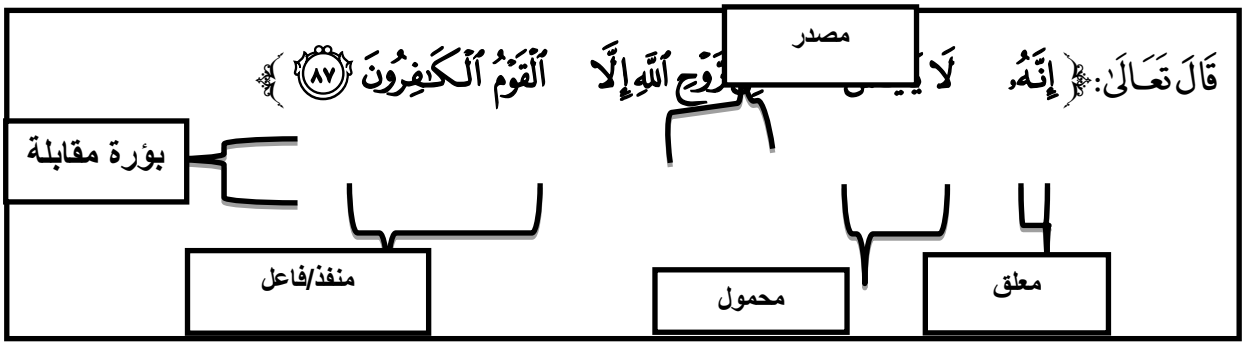

22- يوسف: 88

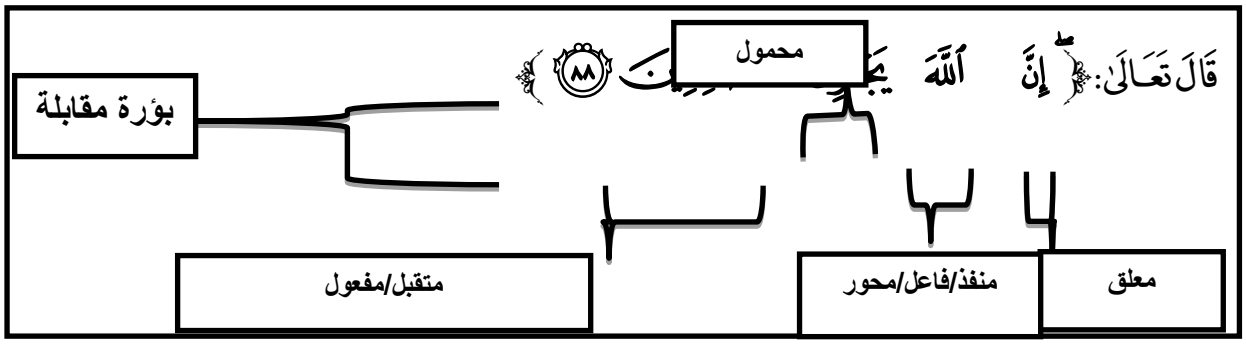

23- يوسف:٩٧

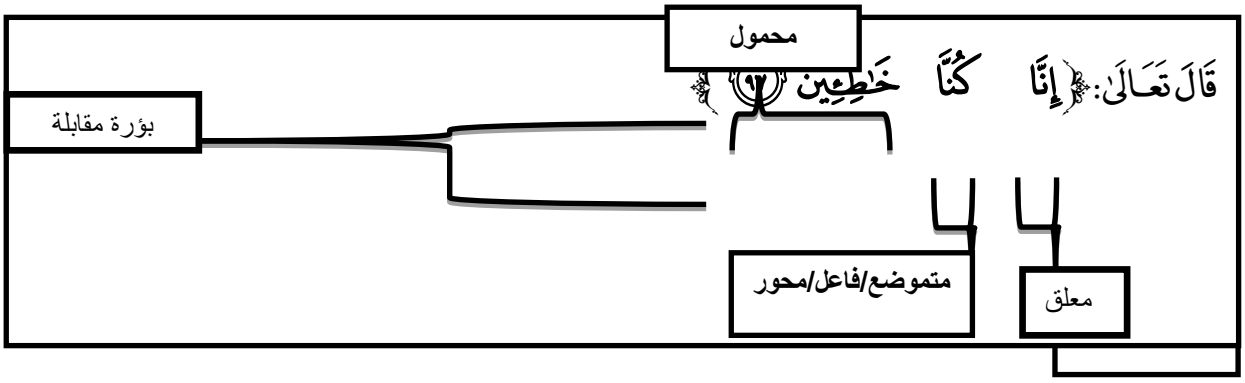

24- يوسف: ٩٨

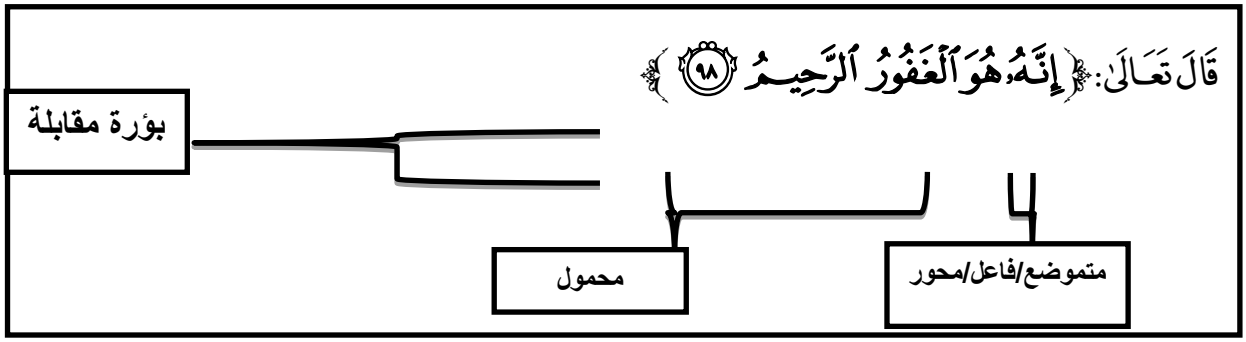

25- يوسف: ٥٠

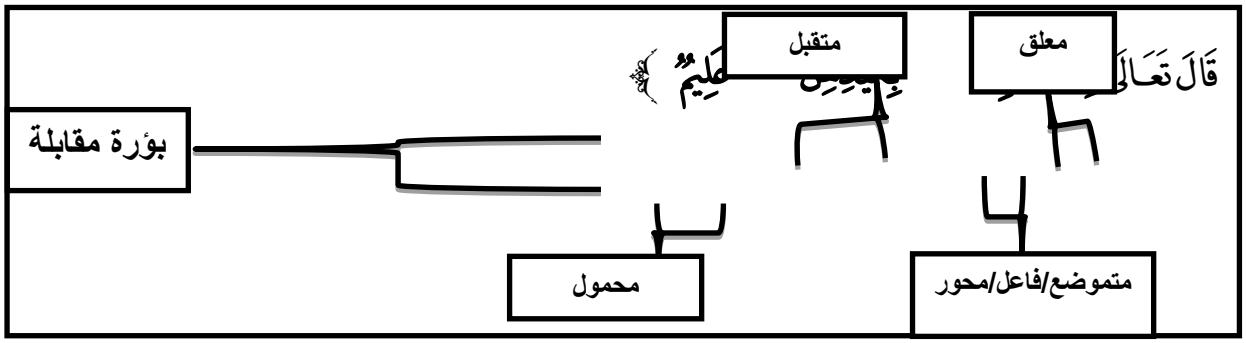

26- يوسف: ٥٣

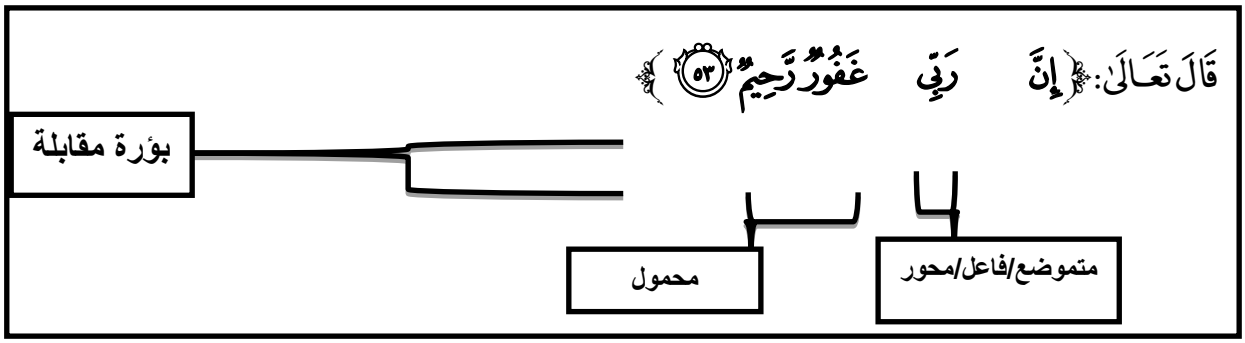

27- يوسف: ١٠٠

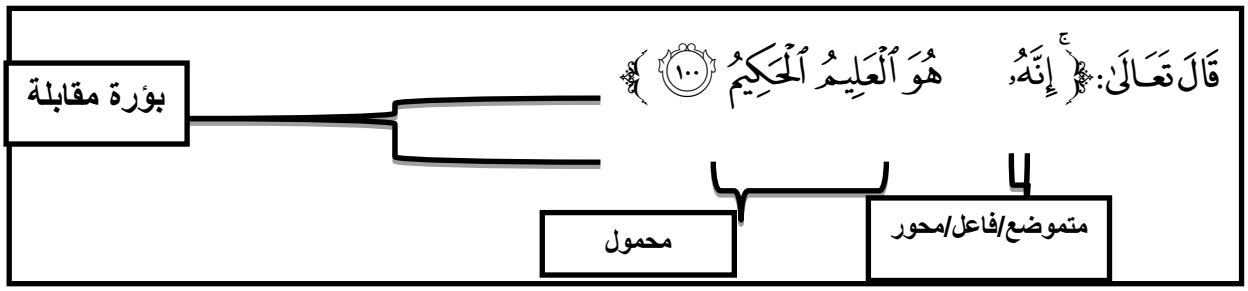

28- يوسف:١١١

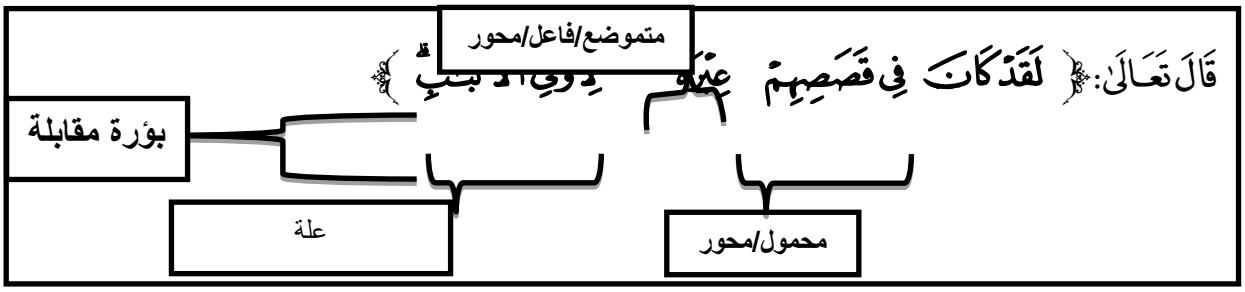

3- القوة الإنجازيّة للجمل: والجمل إذ؛ تحلّل إلى علاقاتها، فلا بدّ أن نستحضر قوّتها الإنجازيّة والحرفيّة التي ساعدت على إسناد الوظائف للجمل: وتضع الجمل في وضعها السياقي فالمحمولات ومؤشّراتها الإنجازيّة تحدّد بشكل كبير الوضعيّة الدلاليّة والتداوليّة ويعدّ الإخبار أصلاً في اللّغة، والإخبار في أصله يعود إلى الحياة كلها، فقيمة الحياة أن تحكي وتسرد وتخبر، فالخبر أصل لغويّ بامتياز، لكن هذا الأصل تطرأ عليه أساليب يبتدعها الإنسان، وبغض النّظر عن أصليّتها التي تخبّئ خبرًا في كل الأحوال، فإنّ هذه الأساليب تجعل الجزء أصلا يموج حيويّة، فما الإنشاء أي الأمر والتعجب والقسم والنّهي... إلاّ تلوّنات خبريّة تأتي طوارئ على الخبر، إذ يزيّن الخبر تفاعلا بها... فالإنشاء و- الحال هذه - حُليٌّ الأصل الأول في اللّغة أي الخبر، فهذه الأساليب تأتي باحثة عن الدّقة الخبريّة. ونحن إذ؛ نعتقد كذلك فإنّنا ننطلق من التأمل الجرجاني في الخبر إذ يقول: "اعلم أنّ معاني الكلام كلّها معان لا تتصوّر إلاّ بين شيئين، والأصلُ والأول هو "الخبر" وإذا أحكمت العلم بهذا المعنى فيه، عرفته في الجميع[1]". ويضيف الجرجاني قائلاً: "وجملة الأمر أنّ "الخبر" وجميع الكلام،

[1]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص526، 527.

معانٍ ينشئها الإنسان في نفسه، ويصرّفها في فكره، ويناجي بها قلبه، ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنّها مقاصد وأغراض، وأعظمها شأنًا "الخبر" فهو الذي يتصور بالصّور الكثيرة، وتقع فيه الصّناعات العجيبة، وفيه يكون في الأمر الأعمّ، المزايا التي يقع بها التفاضل في الفصاحة[1]".

فالإنسان هو كائن باحث عن الحقيقة، والحقيقة في دقتها هي؛ ذلك الخبر الذي يكتشفه الإنسان، فالأساليب الإنشائيّة ما هي إلاّ وسائل يتوصّل بها إلى الحقيقة/الخبر. إذا اعوجت مسالك الخبر بالنسبة للعقل البشري.

نورد هذا الكلام ونحن نتأمّل في جمل سورة يوسف؛ إذ؛ الجمل الخبريّة/الحاملة للمعلومة كثيرة مقارنة بالجمل الإنشائيّة المعدودة، فالسورة عبارة عن قصّة، والسرد يفوح إخبارًا فلا عجب أن نجد الجمل الإخباريّة كثيرة، أمّا بالنسبة للأساليب الإنشائيّة كطاقة مضاعفة للخبر تجعل العقل يصيبه الضّجيج، والعقل إذ؛ يصاب بالضّجة الفكرية فإنّه يستمتع أكثر بالقيمة الخبرية ولا يملّ التّتالي الخبري في صيغه الأصليّة.

ونحن إذ؛ نذهب هذا المذهب نروم تحليل نماذج من سورة يوسف بحسب قوتها الإنجازيّة الحرفيّة والمستلزمة. وهذه عديد الجمل البسيطة والمعقّدة التي ارتضيناها نماذج من حيث قوّتها الإنجازيّة، حيث وجدنا في السورة نسبًا عاليّة من الجمل الخبريّة مقارنة بالإنشائيّة؛ ذلك أنّ الخبر يروج كثيرًا إذا تعلّق الأمر بتشكيلة سرديّة.

	الجملة	القوة الإنجازيّة	
		الحرفيّة	المتلازمة

[1]– عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز: ص528.

1	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١ ﴾يوسف: ١	إخبار	/
2	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾يوسف: ٥	إخبار	تعليل النّهي (لا تقصص).
3	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦ ﴾يوسف: ٦	إخبار	تمجيد النعم.
4	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۞ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ ﴾يوسف: ٧	إخبار	رفع شأن صاحب القصة (يوسف عليه السلام).
5	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ﴾يوسف: ٨	إخبار	تعليل التعجب.
6	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾يوسف: ٢٢	إخبار	السببيّة؛ تعلّل سبب الجزاء.
7	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ ﴾يوسف: ٢٣	إخبار	– تعليل الامتناع. – الإصرار على الامتناع.

8	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ ﴿٢٤﴾ ﴾يوسف: ٢٤	إخبار	التنبيه إلى رؤيّة البرهان من ربّه.

9	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾يوسف: ٢٤	إخبار	تعليل حكمة صرف السوء والفحشاء.
10	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾يوسف: ٢٨	إخبار	اللّوم المضاعف.
11	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَٰطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾يوسف: ٢٩	إخبار	تضعيف المؤاخذة.
12	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾يوسف: ٣٤	إخبار	علّة للاستجابة لأنّه يعلم ما في الضمائر.
13	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ ﴿٣٦﴾ ﴾يوسف: ٣٦	إخبار	علة للاستجابة لأنّه يعلم ما في الضمائر.
14	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾يوسف: ٣٦	إخبار	– تعلّل العلاقة الطيّبة، التّودد. – تعلّل التوسّم الحسن

			ليوسف، الاستئناس.
15	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَبِّئْنَا ﴿٣٦﴾ ﴾ يوسف: ٣٦	إخبار	– تعلّل أن تفسير الرؤيّة كان منتشرًا في القوم. – استئناسهم في يوسف بأنّه أهل للتأويل.
16	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ يوسف: ٣٩	استفهام	إنكار.
17	قَالَ تَعَالَىٰ: ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾	إخبار	إنكار.
18	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ يوسف: ٣٦	إخبار	– الاستئناس وتوسم الحسن وقابليّة التواصل معه والتودّد.
19	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ﴿٨٣﴾ ﴾ يوسف: ٨٣	إخبار	عدم القنوط والأمل في الله.
20	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ يوسف: ١٠٠	إخبار	– تعليل رجائه بأنّ الله يعلم مواقفهم المتفرقة. – القدرة الإلاهيّة في إيجاد أسلوب حكيم يجمع الشمل

			بهم .
21	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾يوسف: ٨٧	إخبار	تعليل الإخبار بالنهي عن اليأس.
22	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾يوسف: ٨٨	إخبار	التودّد.
23	قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ ﴾يوسف: ٩٧	إخبار	تقوية الاعتراف بالذنب.
24	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾يوسف: ٩٨	إخبار	تأكيد مغفرة الذنوب من اللّه مهما كانت هذه الذّنوب.
25	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ ﴾يوسف: ٥٠	إخبار	– الثقة بالله. – إبهام النسوة كي يتخصّص التحقيق ليصل إلى امرأة العزيز.
26	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾يوسف: ٥٣	إخبار	الاطمئنان بالله بعد الاعتراف بالذنب.
27	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾	إخبار	الاهتمام (الضمير).

	﴿يوسف: ١٠٠		
28	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي ﴿١١١﴾ ﴾يوسف: ١١١	إخبار	– القياس. – معرفة الغائب من المعلوم.

	الجملة	القوة الإنجازيّة	
		الحرفيّة	المستلزمة
1	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا م1 لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾يوسف: ٢ م2	م1← إخبار م2← إخبار	م1←الإبانة. م2 ← التأكيد والجزم.
2	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ م1 ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ م2	م1←إخبار م2← إخبار	← التأكيد. ←التسويّة (بين سورة يوسف وباقي القصص القرآني).

	وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ يوسف: ٣ 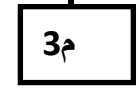	م3← إخبار	←عدم العلم.
3	قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ 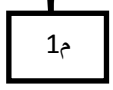 إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ 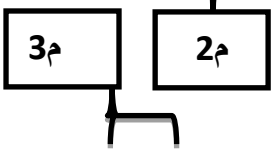 وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ يوسف: ٤	م1←إخبار م2← إخبار م3← إخبار	←تخصيص القصّ بقصة يوسف وحده إفراد له. ←الاهتمام. ←تأكيد الرؤية.
4	قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ 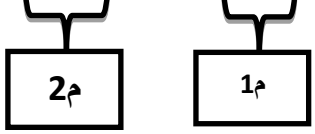 إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ يوسف: ٥	م1←إخبار م2←النّهي م3← إخبار	←الشفقة والتحبيب. ← الشفقة والتحبّيب. ← التهويل والتعظيم.

	م3		
5	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ م1 وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ م3 م2 نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾يوسف: ٦ م4	م1←إخبار + م2← إخبار + م3← إخبار + م4← إخبار	←المواساة والتسليّة.
6	قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ م1 أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا م3 م2 لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾يوسف: ٨	م1←إخبار م2← إخبار م3← إخبار	←التوكيد، الحيرة. ← المفاضلة. ← التعجب.
7	قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ	م1←إخبار م2← إخبار	← يلتمس منه الإقناع. ← الإقناع.

	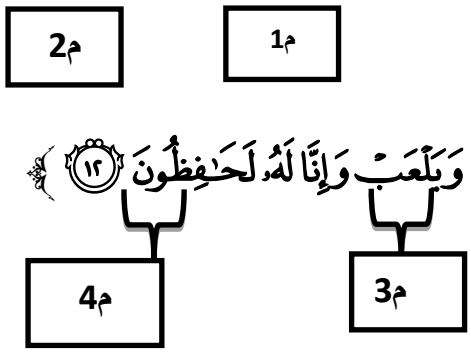 يوسف: ١٢	+ م3← إخبار م4← إخبار	←الحرص.
8	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً م1 م2 يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ ﴾يوسف: ١٦	م1←إخبار م2← إخبار	← التدليل على المصيبة ← التمويه وإثارة الشّفقة.
9	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ م2 م1 حُكْمًا وَعِلْمًا ﴿٢٢﴾ ﴾يوسف: ٢٢	م1←إخبار + م2← إخبار	← الاصطفاء والتعظيم.
10	قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا م2 م1 عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ م4 م3	م1←إخبار م2← إخبار م3← إخبار	← الإصرار. ← الاستنقاص. ← الخوف، شدّة الغلق.

	هَيْتَ لَكَ ﴿٢٣﴾ يوسف: ٢٣	م4← إخبار	← غلظة الشهوة.
11	قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ﴿٢٩﴾ ﴾ يوسف: ٢٩ م1 — م2	م1←إخبار م2← إخبار	← الاهتمام. ← اللوم والاستنقاص، ربما لأنّه وسيم عرف أنّها هي التي طلبته.
12	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن ﴾ يوسف: ٤١ م1 — م2 — م3	م1←إخبار + م2← إخبار + م3← إخبار	←التقرير والتأكيد.
13	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا ﴾ م1 — م2 — م3 — م4	م1←إخبار + م2← إخبار	←التأكيد.

	سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴿يوسف: ٧٣ م5	م3← إخبار + م4← إخبار م5← إخبار	←الإنكار.
14	قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ م1 م2 م3 م4 م5 م6 م7 م8	م1+ م2 +م3 +م4 +م5 +م6 +م7 +م8← إخبار	م1← برّ الوالدين ومنزلتهما. م2← التحيّة والتعظيم وتحقيق الرؤيّة. م3← الإثبات الفعلي وتحقّق وعد الله. م4← الإثبات الفعلي وتحقّق وعد الله. م5← اللّطف. م6+م7← تخصيص الإحسان. م8← التكرم

	بَيۡنِي وَبَيۡنَ ﴿١٠٠﴾ يوسف: ١٠٠		
15	قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ م1 لِّمَا يَشَآءُ م2 ﴿١٠٠﴾ يوسف: ١٠٠	م1+م2← الإخبار	←الاهتمام.
16	قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ م1 م2 وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ﴿١٠١﴾ يوسف: ١٠١	م1+م2← الإخبار	←الاعتراف والشكر.
17	قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ م1 أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي م3 م2 مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾	م1←الإخبار م2+م3 ← الأمر	←الخضوغ. ← الدعاء بالتثبيت.

	﴿يوسف: ١٠١		

أشير بالنسبة للجمل المعقّدة أنّ الجمل تأخذ قوّتها الإنجازيّة حسب الحمل الأصلي.

UNIVERSITE SETIF2

خاتمة

حاولت أن ألتزم الخطة وتسلسلها التي ارتضيتها بداية، فعكفت على توضيح ومعالجة النقاط التي تضمنتها؛ فوضّحت في الفصل التمهيدي التّحولات الكبرى للّسانيات الحديثة إذ؛ وقفت عند الدرس البنيوي ثم عند الدرس التوليدي التحويلي وصولاً إلى الدرس الوظيفي التداولي، وبهذا حاولت في الفصل الأول توضيح نظرية النحو الوظيفي؛ فتطرقت إلى منشئها ومبادئها المنهجيّة وتصورها للجملة، ثم إلى الجهاز الواصف الذي صاغته لتحليل الجملة، لينتقل البحث في الفصل الثاني ليوضح البنية الوظيفية، ثم حاولت في فصل ثالث وأخير أن أفعّل هذه الوظائف في جملة سورة يوسف.

والبحث في تتبعه لهذه النقاط كلها توصل إلى النتائج التالية:

– نظرية النحو الوظيفي نظرية قائمة على مبدإ التواصل، فهي بتواصلها هذا مدعاة إلى خلق تحاور العلوم، فجهازها المفاهيمي – كما لاحظنا – منجز بتواصل المعارف، فاستعار واقترض من أجل نمائه مفاهيم من نظريات أخرى: كنظرية التواصل، نظرية الأفعال الكلامية، التداولية، المنطق ... وبحوارها هذا تروم تحقيق كفاية نمطيّة لدراسته الظاهرة اللّغوية من المادة التواصليّة كلها، أي تلك المادة الموفورة الوقائع، والتي كما أسلفنا تعذرت دراستها على دي سوسير ولذلك اختار اللّسان منها فقط، وكان قد صرّح بصعوبة الإحاطة بجميع الوقائع ذلك أنّه يجهل الكيفيّة التي تباشر بها هذه الوقائع من أجل تحقيق نمطية لهذه العلوم، فإنّه والحال هذه؛ تكون نظريّة النحو الوظيفي قد وضعت نفسها في مادة تُعذرت دراستها في زمن ما، وباستفادتها من تراكم المعرفة اللّسانيّة استطاعت أن تقدم فرضيات ومبادئ منهجيّة تدرس بها الوقائع التواصليّة التي ظلت لزمن طويل يتعذر دراستها، لأنّه لم يكن بإمكانهم تحقيق دراسة علميّة نمطيّة لهذه الوقائع، ونظرية النحو الوظيفي اليوم تسعى جاهدة لإنجاز بحوث علمية نمطيّة بمبادئها المنهجيّة لهذه الوقائع الموفورة المتبعثرة، تساعدها في ذلك حواريّتها للعلوم والمعارف وتواصلها مع مختلف الأنساق المعرفيّة.

– ومن خلال مبدإ التواصل دائما تكون نظريّة النحو الوظيفي من النظريات التي تدرس اللّغة بعيدًا عن كل تجريد، فتدرس اللّغة من حيث هي نشاط اجتماعي حيوي تحكمه أسْيقة ومقامات.

– استطاعت نظريّة النحو الوظيفي أن تخرج المبدأ السابق من حيّز التنظير إلى حيّز التطبيق وتجعل له حيوية علميّة، وأن تبتعد عن التجريد الموفور بكثرة في النّظريات البنيويّة والتوليدية، من خلال اعتمادها المبدأ القاضي بتبعيّة البنية للوظيفة إذ؛ كانت البنية في الدراسات التجريديّة السابقة المركز الذي قام عليه الجهاز الواصف للنظريات، في حين أنّ نظرية النحو الوظيفي، جعلت المركز الذي تقوم عليه هو الوظيفية وتبعيّة البنية لهذه الوظيفية، وهي إذ؛ تفعل ذلك تروم أن تجعل موضوعها وصف الملكة التبليغيّة للمتكلم/السامع وتفسيرها.

– نظرية النحو الوظيفي نظريّة منفتحة، ذلك أنّها اتّخذت مبدأ تواصلها المعرفي أساسًا لها ما جعلها عالميّة مرنة تتعدّى البيئة الواحدة، فيمكن القول أنّها نظريّة وليدة الفلسفة التواصليّة. وما يؤكد هذا انتشارها في أقطار العالم رغم حداثتها الشديدة (1978 بإصدار ديك).

– ومن خلال تواصلها مع الأنساق المعرفيّة القديمة والحديثة فهي نظرية متجدّدة ومراجعة لنفسها باستمرار، فهي تسعى لإقامة حوار داخل إفرازاتها الداخليّة، بحيث تروم تحقيق لسانيات واحدة، فتوجد لسانيّات الجملة ولسانيات النّص، انطلاقًا من فكرة التماثل البنيوي.

– يمكن وصفها بأنّها نظرية معطاءة إذ؛ بدراستها للّغة كنشاط اجتماعي – لاسيما أنّها خاضعة للفلسفة التواصلية – تملك أن تثير حيويّة في ميدان تعليميّة اللّغات، وتجعل المتعلم يموج حيوية في استقبال اللّغة، فهي لا تتوقف عند حدود البنية بل تحاول أن تنزله في سياقات تواصليّة معينة. تسعى نظريّة النحو الوظيفي إلى إقامة مشاريع تحقّق ما يعرف بالكفاية الإجرائيّة مثل: تعليميّة اللّغات والنقد الأدبي، الترجمة، والحاسوب ...

– تعدّ الوظائف الدلاليّة والتداوليّة وظائف كليّة/واردة بالنسبة لجميع اللّغات في حين أنّ الوظائف الوجهيّة/التركيبيّة هي وظائف غير كليّة، ولذلك قلّصت الوظائف التركيبيّة إلى وظيفتين فقط هما الفاعل والمفعول.

– وردت الوظائف الدلاليّة في كتب "المتوكل" في أمثلة ولم يخصّص لها درس مستقل، وهذه الوظائف بحاجة إلى بحوث شاملة، تعمل على ضبطها وإحصائها ومفهمتها بدقة.

– تعاني الجملة من تحديد الوظائف إذ؛ ما أورده المتوكل حول الوظائف تتناول جملاً منتقاة معزولة، ويمكن إسناد الوظائف في الجمل الحواريّة المعزولة والقصيرة، لكن إسناد الوظائف وتحليلها في جمل النصوص الطويلة خصوصًا السرديّة تحتاج إلى إعادة نظر وتقليب الفكر فيها. وحتى ولو اعتمدنا الوظائف في نسختها النصيّة فإنّه تحدّث عنها بإيجاز ومازالت تحتاج إلى دراسات معمقة نظريّا، وتحتاج أيضا إلى اختبارات تطبيقيّة من شأن هذه الدراسات التطبيقيّة أن تصادف أنماطًا عديدة من الجمل، لا سيما أنّ الجمل تموج حيويّة وسياقيّة في هذه النظريّة.

– استطاعت نظريّة النحو الوظيفي أن تخلق منظومة مصطلحيّة شكلت نسقها المعرفي رغم حداثتها، ذلك أنّ مصير النظريات مرهون بمدى قدرتها على تشكيل منظومة مصطلحيّة تعلن العلم وتجمعه.

– استطاعت نظريّة النحو الوظيفي أن تقدِّم دراسة شاملة لمختلف علاقات الجملة (الدلاليّة، التركيبيّة، التداوليّة).

– تقسِّم نظريّة النحو الوظيفي الجملة اعتمادًا على نوع المحمول لا على العنصر المبدوء به، كما تقسمها من جهة أخرى اعتمادًا على عدّده.

– الجمل المعقدّة والفعليّة كثيرة في سورة يوسف مقارنة بالجمل البسيطة والاسميّة، ذلك لأنّ السورة تسرد وتحكي، فالجمل لا يمكنها أن تنفصل عن بعضها للتوالد والتناسل السردي،

فكانت الجمل المعقّدة كثيرة، وقد حمل هذا التعقيد الجمل الفعليّة التي تدلّ على الحدث فتناسل بذلك السرد أحداثًا وأعمالاً وحالات، فالمحمولات الفعليّة تدلّ وقائعها على العمل والحدث والحالة في حين اكتفت الجمل البسيطة والاسميّة بأن حملت محمولاتها واقعة الوضع عمومًا، ومن ثمّة فدلالته على العمل أو الحدث أو الحالة ضئيلة، فالوضع إذ ذاك يشخصّ حالة ثابتة مستقرة تتخلّل السرد المتغير.

– المحور في جمل سورة يوسف – عمومًا – مثلته شخصيات القص.

– البؤرة في سورة يوسف وردت متقاسمة بين بؤرة مقابلة وبؤرة جديد، فالسرد بقدر ما يحمل معلومات جديدة بقدر ما يحمل معلومات معطاة، فلا يمكن للسرد أن يستمر من بداية القص إلى نهايته جديدًا، حتّى وإن كان جديدًا فسير الأحداث وحبكها والتقدّم في السرد يحوِّل المعلومات إلى بؤر مقابلة.

– وردت وظيفة المنادى في السورة بكثرة لتقويّة الحوار في السورة وللتعبير عن المسافة بين الشخصيات المتحاورة.

– لم يرد الذيل في الجمل لأنّ القصّة واقعيّة، ولا يمكن أن يرد في كلام الله معلومات موضّحة ومعدلة على مستوى الجملة، فالجمل مضبوطة من حيث المعلومة، ويمكن للذيل أن يرد على مستوى النص، وذلك رحمة بذاكرة المخاطب ولعدم التشويش على فهمه وخشوعه وهو يقرأ السورة.

– ورد بقلة المكون المبتدأ لأنّ الاهتمام كلّه حملته المحاور/الشخصيات داخل الحمل وكانت الجمل قصيرة ومختصرة تعبّر عن واقعيّة سرديّة.

قائمة المصادر

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

المصادر والمراجع:

1.أحمد المتوكل، دراسات في نحو اللغة العربيّة الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1986.

2.ـــــــ آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط1، الرباط، 1993.

3.ـــــــــ اللسانيات الوظيفيّة، مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1989.

4.ـــــــــ الوظائف التداوليّة في اللغة العربيّة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.

5.ـــــــــ الوظيفة بين الكليّة والنمطيّة، دار الأمان، ط1. الرباط، 2003.

6.ـــــــ الوظيفة والبنية، مقاربة وظيفيّة لبعض قضايا التركيب في اللغة العربيّة، منشورات عكاظ، الرباط، 1993.

7.ـــــــــ قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة: بنية الخطاب من الجملة إلى النص، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 2001.

8.ـــــــــ قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفيّة، البنية التحتيّة أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1995.

9.ـــــــ قضايا اللغة العربيّة في اللسانيات الوظيفية: بنية المكونات أو التمثيل الصريفي التركيبي، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1996.

10.ـــــــــ قضايا معجميّة، المحمولات الفعليّة المشتقة في اللغة العربيّة، اتحاد الناشرين المغاربية، الرباط، 1988.

11.ـــــــــ من البنية الحمليّة إلى البنيّة المركبيّة، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1987.

12.ـــــــــ من قضايا الرابط في اللغة العربيّة، منشورات عكاظ، الرباط، 1987.

13.ـــــــــ مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1979.

14. ـــــــــ الجملة المركبة في اللغة العربيّة، منشورات عكاظ، ط1، الرباط، 1988.

15.ابن يعيش: شرح المفصل، منشورات اتحاد كتاب العرب، 1997.

16.أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور، لسان العرب، تع: علي شيري، ط1، 1988، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

17أحمد مومن: اللّسانيات –النشأة والتطور–، ديوان المطبوعات الجماعية، بن عكنون، الجزائر، ق3.

18.أوستين: نظريّة أفعال الكلام، (كيف ننجز الأشياء للكلام)، تر: عبد القادر قنيني، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2008.

19.أندريه مارتيني: مبادئ اللّسانيات العامة، تر: سعدي زبير، دار الآفاق، الأبيار، الجزائر.

20.إيناس كمال الحديدي: المصطلحات النحويّة في التراث النحوي في ضوء علم الاصطلاح الحديث، دارالوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندريّة، مصر، ط1. 2002.

21.تمام حسّان: الأصول – دراسة إبيستمولوجيّة للفكر اللّغوي عند العرب، النحو، فقه اللّغة، البلاغة–، عالم الكتب، القاهرة، 2000.

22.ـــــــــ: البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2000.

23.التواتي بن التواتي: المدارس اللّسانية في العصر الحديث ومنهاجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، الرويبة، الجزائر، 2008.

24.جاك موشلار وآن روبول: التداوليّة اليوم، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربيّة للترجمة، لبنان، ط1، 2003.

25.جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع (الفلسفة في العالم الواقعي)، تر: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف، الجزائر، المركز الثقافي العربي، المغرب، الدار العربيّة للعلوم، لبنان، ط1، 2006.

26.جون ليونز: تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1988.

27.جيليان براون وجورج يول: تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1994.

28.حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي: أسئلة اللّغة أسئلة اللّسانيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2009.

29.حافظ إسماعيلي علوي: التداوليات (علم استعمال اللّغة)، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011.

30.خالد ميلاد: الإنشاء في العربيّة بين التركيب والدلالة – دراسة نحويّة تداوليّة –، جامعة منوبة، المؤسسة العربيّة للتوزيع، تونس، ط1، 2001.

31.خليفة بوجادي، في اللّسانيات التداوليّة –مع محاولة تأصليّة في الدرس العربي القديم–، بيت الحكمة، العلمة، ط1، 2009.

32.رامان سيلدن: موسوعة كمبريدج للنقد الأدبي8، من الشكلانيّة إلى ما بعد البنيوية، تر: مج من الباحثين، إشراف: جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط1، 2006.

33.روبارتديبوجراند: النص والخطاب والإجراء: تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2007،

34.سيد قطب: في ظلال القرآن، دار الشروق، مصر، ط35، 2005، م4.

35.شكري المبخوت: دائرة الأعمال اللغويّة (مراجعات ومقترحات)، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ط1، 2010.

36.صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، دار التنوير، لبنان، ط1، 1993.

37.الطاهر بومزبر: التواصل اللّساني والشعريّة – مقاربة تحليليّة للنظريّة رومان جاكبسون منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.

38.طه عبد الرحمان: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام.

39.الطيب دبة: مبادئ اللّسانيات البنيويّة –دراسة تحليليّة إبستمولوجيّة – دار القصبة للنشر، الجزائر، 2001.

40.عبد السلام المسدي: التفكير اللّساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، ط2، 1986.

41.عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط5، 2004.

42.عبد اللطيف حماسة، النحو والدلالة مطبعة المدينة، القاهرة، 1989.

43.عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: تفسير القرطبي، تح: سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2005، م9، م10.

44.عبده الراجحي: التطبيق النحوي، دار النّهضة العربيّة للطباعة والنشر، بيروت، 1986.

45.علي آيت أوشان" اللّسانيات والديدكتيك – نموذج النحو الوظيفي من المعرفة العلميّة إلى المعرفة المدرسيّة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1، 2005

46.علي آيت أوشان: اللّسانيات والبيداغوجيا نموذج النحو الوظيفي الأسس المعرفية والديداكتيكية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1998.

47.فخر الدين الرازي: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ط2، 2004، م9.

48.فرانسوازأرمينكو، المقاربة التداولية، تر، سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، 1987.

49.فرديناند دي سوسير: محاضرات في علم اللّسان العام، تر: عبد القادر قانيني، أفريقيا الشرق، المغرب، 2008.

50.كورناي: اللّسانيات البنيوية، نقلا عن مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليدية.

51.مبارك حنون: مدخل للّسانيات سوسير، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1987.

52.محمد أبو ريان وعلي عبد المعطي: أسس المنطق الصوري ومشكلاته، دار النهضة العربيّة، لبنان، ط1، 1976.

53.محمد الأوراغي: نظريّة اللسانيات النسبيّة، دار الأمان، الرباط.

54.محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984، ج12، ج13.

55.محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، دار الطليعة، بيروت، 1984.

56.محمد محمد يونس علي، مدخل إلى اللّسانيات، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1.

57.محمود أحمد نحلة: مدخل إلى دراسة الجملة العربيّة، دار النهضة العربيّة، بيروت، 1988.

58.محمود فهمي زيدان: في فلسفة اللّغة، دار النهضة العربية، بيروت،1985.

59.محي الدين محمد الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، اليمامة للنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق- بيروت، ط7، 1999، م3، م4.

60.مسعود صحراوي: التداوليّة عند علماء العرب -دراسة تداوليّة لظاهرة الأفعال الكلاميّة في التراث اللّساني العربي-، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2005.

61.مصطفى الغلاييني: جامع الدروس العربيّة، موسوعة في ثلاثة أجزاء، دار الحديث، القاهرة، 2005.

62.مصطفى غلفان: اللّسانيات التوليديّة -من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدنوي مفاهيم وأمثلة- ، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2010.

63.مصطفى غلفان: اللّسانيات العربيّة الحديثة، -دراسة نقديّة في المصادر والأسس النظريّة والمنهجيّة- ، جامعة الحسن الثاني،عينالشق،كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة رسائل

64.مصطفى غلفان، اللّسان التوليدية - من النموذج ما قبل المعيار إلى البرنامج الأدوني: مفاهيم وأمثلة -، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010.

المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربيّة، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميريّة، مصر، ط1، 1973.

65.موريس أنجرس: منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية(تدريبات علمية)، تر: بوزيد صحراوي وآخرون، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2004.

66.ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللّغة، المؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، ط2، 1985.

67.ميلكاإيفيتش: اتجاهات البحث اللّساني، تر: سعد مصلوح، وفاء كامل، الجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميريّة، ط2، 2000.

68.نعوم تشومسكي: البنى التركيبية، تر: يؤيل يوسف عبد العزيز، منشورات عيون بالإشتراك مع دار الشؤون الثقافية العامة ، الدار البيضاء، ط2، 1987.

69.نعيمة الزهري: الأمر والنهي في اللغة العربية، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة الأطروحات والرسائل:2، جامعة الحسن الثاني، عين الشق.

70.نواري سعودي: الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين المليلة، الجزائر، 2007.

المجلات:

عبد الله بن دجين السهلي: المنطق اليوناني – تأريخه العقدي، وتعريفه ومنهجه العلمي–، مجلة جامعة الملك سعود، م20، العلوم التربوية والدراسات الإسلاميّة (3).

يحيى بعيطيش: الوظائف التداوليّة في رواية ريح الجنوب، مجلة علامات، ج1، م13، 2004.

هـ.المراجع باللغة الأجنبيّة:

1. Gean Dubois etautres: Dictionnaire de linguistique et des sciences du langue،larouss،paris، edition، 1999.
2. John .r Searle: les actes de langage, Paris, collection savoir herman, 1972, nouveau tirage, 1996.

و.الرسائل الجامعيّة:

1. الطاهر شارف: المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور – سورة البقرة أنموذجا –، جامعة الجزائر، 2006/2005.

2. يحيى بعيطيش: نحو نظريّة وظيفيّة للنحو العربي، رسالة دكتواة. جامعة قسنطينة، 2006/2005.

فهرس المحتويات

فهرس الموضوعات:

مقدّمة: 1

الفصل التمهيدي:

تحولات الدّرس اللساني (من البنية إلى الوظيفة).....07

الفصل الأول:

نظريّة النحو الوظيفي.....43

أولا: مصطلح النحو.....45

1-النحو/ اللّسانيات:.....45

أ. من حيث ظروف الإنتاج:.....45

ب.من حيث موضوع الدراسة:.....45

ج.من حيث الهدف:.....45

د. المنهج:.....46

2- النحو فرعاً من فروع اللّسانيات:.....46

3- النحو بمعنى النموذج:.....46

4-النحو بمعنى النظرية:.....46

ثانيا: المنشأ والمبادئ المنهجيّة:.....50

ثالثا: إشكاليّة الجملة.....79

رابعا: الجهاز الواصف.....101

الفصل الثاني: الوظائف التركيبيّة والدلاليّة والتداوليّة.....129

أولا: الوظائف الدلاليّة:.....133

ثانيا– الوظائف الوجهيّة/التركيبيّة: (الفاعل والمفعول):.....149

ثالثا – الوظائف التداوليّة:.....153

1–الوظائف التداوليّة الداخليّة:.....158

أ. البؤرة:.....159

ب. المحور:.....163

2–الوظائف التداوليّة الخارجيّة:.....165

أ. المبتدأ.....165

ب. الذيل:.....166

ج. المنادى:.....167

رابعًا: علاقة الوظائف بالبنيّة المكونيّة:.....171

أ. علاقة البنيّة الوظيفيّة/الوظائف بالبنيّة المكونيّة إعرابا:.....172

ب. علاقة البنيّة الوظيفيّة بالبنية المكونيّة موقعة:.....175

الفصل الثالث:

تحليل جملة سورة يوسف عليه السلام.....178

1–تصنيف الجمل في سورة يوسف.....179

2–تحليل العلاقات الدّلاليّة والتركيبيّة والتداوليّة 200

3–القوة الإنجازيّة للجمل:.....220

خاتمة.....332

قائمة المصادر والمراجع: 392

فهرس الموضوعات:.....247